كتابي

١٠ قروش

حلمي مراد

"نفرتيتي" العصرية !

لوحة فوتوغرافية من روائع الفنان "ارمان"

كتابى

كتاب شهرى لتلخيص الكتب العالمية

يصدر أول كل شهر

صاحبه ورئيس تحريره : حلمى مراد

فنار الكتاب

مصباح الفكر عند الاغريق

مدير التحرير : محمد بدر الدين خليل

الكتاب التاسع والسبعون (السنة السابعة) ـ أكتوبر ١٩٥٨

الاشتراكات ومجموعة الاعدادالسابقة : اقرأ التفصيلات بالداخل

الادارة : عمارة الجندول ـ ١٤ شارع ٢٦ يوليو ـ بالقاهرة

تليفون ٥٩٥٥٦

محتويات الكتاب

الموضوع — الصفحة

الموضوع	الصفحة
قراءات ومشاهدات ! ... للمحرر	٧
أبنـاء المعارضـــة ! ... قصـــة مصرية بقلم : صـالح جودت	٣٥
ويل للمغلوب ! ... للمؤلف والفنـان العـالمى : ف . ماتانيـا	٤٧
الأندلسية اللعوب ! ... أروع تحفة قصصية للكاتب الفرنسى : بيير لوى	٦٧
حديث عن الحب ! ... لاديب الاغريق الخالد الذكر : بلوتارك	٩٩
المرأة .. بين الحلم والواقع ! ... تمثيلية رائعة للكاتب الأيطـالى : لويجى بيرانديللو	١١٧
نساء وراء الاسرار ! ... قصص « أشهر جاسوسات العالم » كما استقاها منهن ومن السجلات الرسمية : كيرت سينجر	١٢٩
الحياة ونظام الكون ! ... اطرف تحليـل علمى لنظام الكون .. للعالم الكبير : هـ . سبنسر جـونز	١٥١
العالم المفقـــود ! ... للقصصى الانجليزى الكبير : سير آرثر كونان دويل	١٧٧

نسخ انيقة ((مقصـــوصة الاطراف))

تعد خصيصا للمشتركين فى ((كتابى)) و ((المطبوعات))

◆ اذا اردت الحصول على نسختك من « كتـابى » أو « مطبوعات كتابى » انيقة نظيفة « مقصوصة » من جميـع أطرافها ، فاشترك فى السلسلتين ، او احداهما ، تضمن وصول الأعداد المذكورة اليك فى عقد دارك ، اينما كنت ، بالبريد « المسجل » وفى مظروف مغلق .

ارسل فورا الى الادارة (١٤ شارع ٢٦ يوليو بالقاهرة) اذن بريد بقيمة الاشتراك الموضحة ادناه ، لأية مدة ترغب فيها .. واذا كنت بعيدا عن مكتب البريد فى هذه الساعة أو كان المكتب مغلقا ، وخشيت أن تنسى الموضوع او تهمله لو ارجاته ، فتناول قلما من فورك واكتب الينا « برغبتك » فقط فى الاشتراك ، وسوف نتولى نحن تذكيرك بالأمر بخطاب خاص فى فترات متفاوتة ، لنساعدك على تنفيذ رغبتك ، حتى تحققها .. فلا ترجىء الكتابة الآن ، واذكر أن الارجاء والتسويف هما ألد أعداء الانسان ، فهما يحرمانه من كل فرص السعادة او النجاح .

فى القطر المصرى والسودان : ١٠ قروش عن كل عدد (باذن بريد أو حضوريا بالادارة) . فى سوريا ولبنان والعراق والأردن والحجاز : شيك أو تحويل على احد بنوك القاهرة بما يوازى ١٢ قرشا مصريا عن كل عدد ، او كوبونات دولية بـ ١٣٠ مليما مصريا عن كل عدد . فى بقية بلاد العالم : شيك او تحويل على احد بنوك القاهرة بما يوازى ١٣ قرشـا مصريا عن كل عدد . والرجا عدم ارسال نقود داخل الخطابات سواء العادية أو المسجلة .

قراءات ومشاهدات

رسول السلام الذى فقدته الانسانية

لم تكن وفاة البابا ((بيوس)) الثانى عشر ، نكبة للكنيسة الكاثوليكية وحدها ، وانما كانت مصابا أحزن الانسانية جمعاء ، والعالم بأسره .. فان ((يوجينيو ماريا جيسيبى بتشيللى)) ــ وهو اسمه الاصلى ــ لم يكن رئيس طائفة بذاتها فحسب ، ولم يكن رأس كنيسة معينة فقط ، وانما كان داعية من دعاة السلام ، فى زمن يتعرض فيه السلام لقلاقل واضطرابات تكاد تعصف به فى بعض الاحيان

ولقد كانت حياة « بتشيللى » ــ أى « السلام » ، اذا ترجمنا اسمه الايطالى ــ قدوة لكل انسان يرغب فى أن يخدم الانسانية ، غير ناظر الى مصلحته الخاصة .. فلقد كرس جهوده فى سبيل اقرار السلام ما استطاع الى ذلك سبيلا ، وكان يعطف على منكوبى الحروب والمؤامرات الدولية ، دون نظرا الى ما اذا كانوا من رعايا كنيسته أو لم يكونوا .. فلم يكن اهتمامه بلاجئى فلسطين ــ مثلا ــ بأقل من اهتمامه بالذين شردتهم الحرب العالمية الثانية من اتباع الكنيسة الكاثوليكية.

اجل ، كانت حياته قدوة للعاملين من اجل الانسانية والسلام ، وانى لالخصها لك ــ فيما يلى ــ عن الصحفى المؤرخ الامريكى « دونالد روبنسن » ، الذى تخصص فى جمع وتسجيل سير العظماء المعاصرين :

يحذق تسع لغات ويدرس القانون

• **ولد** « بوجينيو بتشيللى » فى أسرة رومانية وثيقة

ألصلات بالكنيسة . فكان جده « مارك انتونيو » بتشيللى ، هو الذى أنشأ صحيفة « لوسير فاتورى رومانو » ، لسان الحال الرسمى للفاتيكان .. وكان أبوه « فيليبو بتشيللى » عميد كلية « محامى مجمع الكرادلة » ، وهى التى تخرج محامى الفاتيكان . ومن ثم كان من الطبيعى أن يتجه « يوجينيو » الى الكنيسة ، فما أن بلغ السابعة عشرة من عمره ، حتى قرر أن يصبح قسا .. واستطاع أن يحصل على الدكتوراه فى اللاهوت ، من الكلية البابوية ، فى سنة ١٨٩٨ . ثم رسم قسا فى العام التالى .

ولكنه لم يطمئن الى أنه بلغ غايته بذلك ، بل واصل دراسته ، حتى حصل فى سنة ١٩٠٢ على الدكتوراه فى القانون المدنى والقانون الكنسى . وقد أوتى ولعا عجيبا باللغات ، وموهبة فذة لتحصيلها ، فاستطاع أن يحذق تسع لغات كلاما وكتابة . وقد اجتذب أنظار سلطات (الفاتيكان) بهذا النبوغ ، فلم يلبث أن أصبح وكيلا لوزارة الخارجية فى حكومة (الفاتيكان) ، فى أوائل الحرب العالمية الاولى . وقد شمر البابا « بنيديكت الخامس عشر » باهتمام خاص بهذا الشاب ، فراح يتتبع خطواته . وسر بما كان له من جهود فى فترة الحرب ، فلم يلبث أن رسمه أسقفا فى سنة ١٩١٧ ، ثم عينه قاصدا رسوليا فى ميونيخ .. وعندما توفى « بنيديكت » ، ورث عنه خليفته ـ البابا بيوس الحادى عشر ـ اهتمامه

بتشيللى ، فعينه ــ فى سنة ١٩٢٥ ــ مبعوثا بابويا لحكومة فايمار الجمهورية ، وهى الحكومة التى خلفت النظام القيصرى فى ألمانيا . ثم رقى بتشيللى فى المرتبة الكنسية ، فأصبح « كاردينال » فى سنة ١٩٢٩ . وتولى وزارة الخارجية البابوية فى سنة ١٩٣٠ .

الرئيس الاعلى للكنيسة

• وفى هذا المنصب ، قدر له أن يحظى بما لم يحظ به أحد ممن تولوا المسائل الخارجية للفاتيكان قبله . فقد قام برحلات عديدة ، زار فيها كثيرا من البلاد .. وكانت بينها زيارة للولايات المتحدة الامريكية ــ فى سنة ١٩٣٦ ــ طاف خلالها بأرجائها ، وقطع حوالى ٨٠٠٠ ميل فيها .

وفى سنة ١٩٣٩ ، كان «الكاردينال بتشيللى» هو الذى وقعت على عاتقه المهمة الكبرى .. مهمة ابلاغ العالم ــ فى ١٠ فبراير من ذلك العام ــ ان «البابا بيوس الحادى عشر .. قد مات !» .

واجتمع « مجمع الكرادلة » لينتخب « البابا الجديد » . ولكن اجتماعه كان أقصر اجتماع من نوعه ، فان الاقتراع لم يجر لاكثر من ثلاث مرات ، ثم فوجىء أكثر من ١٥٠٠٠ شخص ــ احتشدوا فى ساحة القديس بطرس ــ بخيط من الدخان الابيض ، ينبعث من مدخنة كنيسة « سيستين » التاريخية بالفاتيكان ، مبشرا بانتخاب « بابا » جديد للكاثوليك . ووسط هتافات القوم ، أعلن أن الكاردينال « يوجينيو ماريا جيسيبى جيوفانى بتشيللى » ، قد انتخب « **نائبا للمسيح ، وخليفة للقديس بطرس ، وأسقفا لروما ، ورئيسا لاساقفة ايطاليا ، وبطريركا للغرب ، ورئيسا أعلى للكنيسة العامة** » .. وصاحب **السلطان الاعلى على جميع المؤمنين برسالة الكنيسة الرومانية الكاثوليكية .. وعاهلا لدولة الفاتيكان ورئيسا لحكومة هذه الدولة** التى تعتبر أصغر دولة مستقلة على الارض ، والتى

تتكون من مدينة (الفاتيكان) .. اى من ١٠٨ أفدنة تقريبا ، يقيم فيها ١٠٠٠ شخص ، ولها بريدها الخاص ، وعملتها الخاصة ، واذاعتها الخاصة ، ومواصلاتها اللاسلكية والسلكية الخاصة ! .. واصبح اللقب والاسم الرسمى لبتشيللى هو : « البابا بيوس الثانى عشر » ..

مشكلتان .. قبل الحرب وبعدها

• **وكانت** الحرب العالمية الثانية ، أول مشكلة ديبلوماسية عويصة اضطر البابا بيوس الثانى عشر الى مواجهتها : فقد كان كل من المعسكرين المتحاربين — الحلفاء والمحور — تواقا الى أن يظفر بتأييد البابا والفاتيكان .. وكانت كل من الكتلتين تضم جموعا من الرومان الكاثوليك ، الذين يدينون بالولاء الروحى للبابا !

وأوحت الحكمة والديبلوماسية الى بيوس الثانى عشر ، بأن ينتهج سياسة حيادية بين الكتلتين ، ثم راح يعمل من أجل اقرار السلام ، ويسعى — فى السر والعلن — الى أن يحمل الحلفاء والمحور على أن يتهادنا ، وعلى أن يتفاوضا كى يعيدا الى العالم سلامه وطمأنينته !

ولكن انتهاء الحرب ، وضعه أمام مشكلة أعظم وأخطر .. فلقد أقلقه انتشار الشيوعية ، حتى اذا اشتدت المشكلة — ابان ازمة الكاردينال ميندزنتى ، فى المجر — شن « البابا » هجوما حامى الوطيس على الشيوعية ، وذهب الى درجة أن أصدر قرار بحرمان اتباعها من الشيوعية . ولكنه لم ينس — فى غمرة المعمعة — واجب رسل السلام ، فلم يخرج بالصراع عن حدود المبادىء ، ولم ينزلق الى المهاترات السياسية أو الديبلوماسية .

ولم يكن « بيوس الثانى عشر » جامدا ، بل انه كان ذا عقلية متطورة ، متجددة .. **فكان أول « بابا » استخدم الآلة**

الكاتبة ، والتليفون ، وآلة الحلاقة الكهربائية ، والسيارة .. وكانت الموسيقى هي خير تسلية له في أوقات فراغه ، بل انه كان يعزف بنفسه على الكمان !

كذلك كانت له آراء في العلم . فقد عارض نظرية النشوء والارتقاء ، وحرص على أن يبرهن على صحة ما جاء في « التوراة » والكتب المقدسة ، من أن الجنس البشري انما انحدر من « آدم » وحده .. كما كانت له آراء في حرية الصحافة ، منها : « ليس من المباح لشخص أن ينشر ما هو خطأ ، أو ما هو معروف بأنه زيف ، أو ما هو مدبر لان يهدم البنيان الخلقي والديني للافراد ، والسلام والانسجام بين الشعوب »

٧ مبادىء .. لدستور الصحافة

وعلى ذكر المبادىء التي أوضحها البابا بيوس الثاني عشر ، فيما يتعلق بالصحافة ، قرأت لك في كتاب « كيف تقرأ صحيفة » لادجار ديل ، بمكتب البحث التربوي بجامعة ولاية (أوهايو) الامريكية ، هذا الحديث الطريف :

ان المهمة الرئيسية للصحف ، هي أن تنقل الى العنصر البشري ما يشعر به أعضاؤها ويؤمنون به حقا . ومن ثم فان الصحافة تتطلب من المشتغلين بها أوسع مجال للذكاء والمعرفة والتجربة والخبرة ، الى جانب موهبتي الملاحظة والتفكير المنطقي ، على أن تكونا طبيعيتين ، وعلى أن تلقيا من المران ما يرهفهما

ثم يسترسل الباحث ، فيفصل المبادىء التي أقرتها جمعية محرري الصحف الامريكيين — في ٢٨ ابريل سنة ١٩٢٣ — كناموس للصحفيين وللصحف :

• **المسئولية** : لا يقيد حق الصحيفة فى أن تجتذب القراء ، سوى اعتبارات الصالح العام

• **حرية الصحافة** : يجب أن تعتبر حقا حيويا للجنس البشرى ، فى حدود القانون ، والحكمة التى تقتضى مراعاة بعض الاوضاع

• **الاستقلال** : وهو التحرر من كافة الالتزامات اللهم الا الوفاء للصالح العام .. فتنمية أية مصلحة عامة تناقض الخير العام ، لا تتلاءم مع الامانة الصحفية ، مهما يكن المبرر لها .. كما أن من انتهاك الامانة المساهمة فى تحرير تعليقات يعرف الكاتب انها تنأى عن الحقيقة

• **الاخلاص ، والصدق ، والدقة** : فالصحيفة ملزمة بأن تكون صادقة .. والعناوين الكبيرة فيها يجب أن تطابق محتويات المقالات التى تنشر تحتها

• **عدم التحيز فى الاخبار** : اذ يجب أن تكون الاخبار بمنأى عن أى تعصب أو تحريف وفقا لوجهة نظر خاصة .. وهذا لا ينطبق طبعا على المقالات والتعليقات التى تعبر عن آراء

• **الانصاف** : فيجب أن لا تنشر الصحيفة اتهامات غير رسمية ، تمس السمعة أو الاخلاق ، دون أن تتيح الفرصة للمتهم كى يفضى بدفاعه . ويجب ـ بوجه عام ـ عدم نشر اية اتهامات خطيرة ما لم تكن معروضة على القضاء . ومن الواجب ـ والواجب المشرف ـ للصحيفة أن تصحح ما تكون قد ارتكبته من أخطاء فى نقل الوقائع أو الآراء .

• **الاحتشام ومراعاة الآداب** : فليس من الاخلاص أن توفر الصحيفة من المواد ما فيه ايعاز بالانحدار الخلقى ، كذلك الذى يوجد فى تفصيلات الجرائم والرذائل .

السجن يكشف عبقريته

والحديث عن الصحافة ، يسوقنا الى الحديث عن الادب . وقد لفتت نظرى ـ خلال الشهر الاخير ـ ظاهرة طيبة فى مصر ، تلك هى فوز أحد نزلاء السجن بجائزتين فى مسابقة للقصة . وقد سمح له بأجازة من السجن ، كى يتسلم جائزتيه من السيد كمال الدين حسين ، وزير التربية والتعليم بالحكومة المركزية .. وهذه الظاهرة ان دلت على شىء ، فانما تدل على ارتقاء الوعى الثقافى ـ من ناحية ـ وعلى ارتقاء الحياة والمعاملة فى سجوننا ، من ناحية أخرى ..

وقد ذكرنا هذا النبأ السار ، ببعض أدباء ـ فى الشرق والغرب على السواء ـ كان السجن لديهم أشبه برياضة للنفس ، وبعزلة تساعد على الانتاج الادبى . وقد اخترت من هؤلاء كاتبا أحبه كل منا ، فى مرحلة الصبا .. ذلك هو « دانييل ديفو » مؤلف رواية «روبنسن كروزو» ..

ولد « دانييل ديفو » ـ فى سنة ١٦٦١ ـ لاب كان قصابا فى لندن . وقد وجهه أبوه نحوالدراسة الدينية ، ليغدو قسا . ولكن « دانييل » لم يلبث أن تحول عن هذا الاتجاه ـ بعد أن قضى فى الدراسة خمس سنوات ـ ليعمل لدى صانع للجوارب .. وأثناء عمله هناك ، انساق الى معمعة الاضطراب السياسى الذى كان يسود انجلترا فى تلك الفترة !

يسجن الى أن يرضى عنه الملك

• ذلك لان العرش الانجليزى تعرض لتيارات سريعة ، فى تلك الحقبة . ففى سنة ١٦٨٩ ، اعتلى « وليم أوف أورانج » عرش انجلترا ، فوجد نفسه محوطا بالدسائس والمؤمرات التى

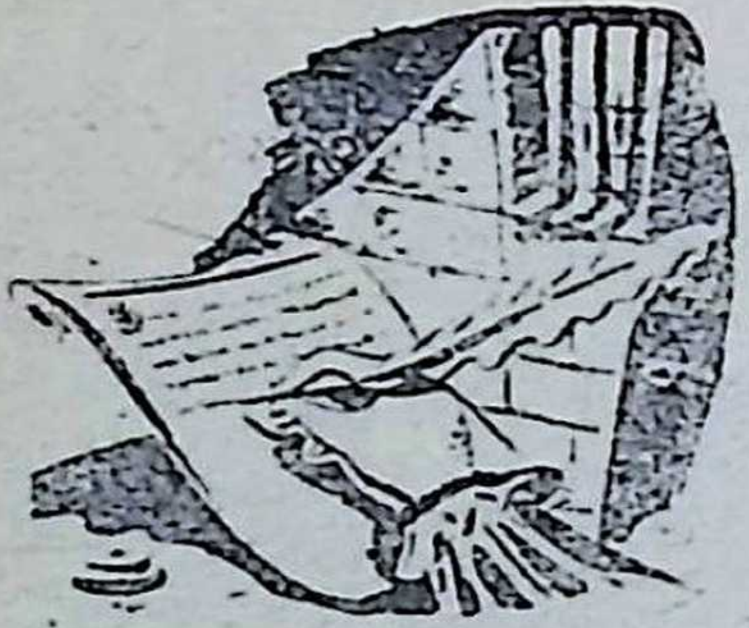

كان يحوكها « جيمس الثانى » ـ الملك المخلوع ـ لاسترداد عرشه . واضطر « وليم » الى أن يعمد الى القوة لقمع الاضطرابات وحركات العصيان التى قامت فى البلاد .

وخاض « ديفو » المعركة مع جيش « وليم الثالث » فى (هينلى) . ولكنه حين عاد الى عمله فى لندن ، وجد أن تصرفاته قد أوقعته فى ديون ، وأن الدائنين كانوا فى قلق على ديونهم ، فاتخذوا اجراءات كان من شأنها ، أن تلقى به فى السجن . ولم يجد « دانييل » مخرجا سوى أن يهرب الى (بريستول) ، حيث عاش هناك متخفيا .

على أنه لم يكف فى مخبأه عن كتابة المنشورات السياسية اللاذعة . وكان مقذعا فى هجوه وانتقاده ، حتى أنه أثار ثائرة الرأى العام عليه ، فأحرقوا أحد كتبه علنا ـ ذات يوم ـ وصدر أمر بالقاء القبض عليه .. بل عينت جائزة قدرها خمسون جنيها ، لمن يقبض عليه !

وألقى القبض عليه فعلا ، فقضى عليه بغرامة باهظة ، وبأن يعرض على الجمهور فى سجن (التخشيبة) لثلاثة أيام ـ للتشهير به ـ وبأن يسجن الى أجل يتوقف على مزاج حاكم البلاد ورغبته . على أن الناس الذين سخطوا على « ديفو » وأحرقوا كتابه ، لم يكادوا يرونه معرضا للانظار ، للتشهير به ، حتى راحوا يرمونه بالزهور .. **وهكذا الناس دائما ، يسخطون يوما ، ويرضون يوما آخر !**

وفى « زنزانته » ، عكف « ديفو » على الكتابة والتأليف وعندما طال أجل السجن ، لم يجد « ديفو » بدا من أن يغير مبادئه السياسية ، وأن ينحاز للجانب الآخر ، فى سبيل استرداد حريته . ولكن هذا لم يؤد الا الى حرمانه من ثقة

الناس ورضاهم ، فأصبح مكروها من الجميع !

يعيش فى خوف على حياته

• **على أنه** استطاع أن يظفر بالاعجاب فى غير ميدان السياسة ، فقد أوتى خيالا خصيبا ، وأسلوبا بديعا ، مما جعله يتألق فى ميدان الادب ، ومما جعل كتبه تلقى رواجا . وقد وضع ٢٠٠ كتاب ، منها « روبنسن كروزو » الذى نشر للمرة الاولى فى سنة ١٧٣١ ، والذى لقى شهرة عالمية ، حتى أنه ترجم الى جميع اللغات تقريبا .

ومن أعجب الامور ، أنه كتب هذه القصة وهو مختبئ ، مشتت البال ، اذ كانت حياته فى خطر !

وقد كان اضطراره الى العيش فى الاخطار دائما ، سببا فى أن فكر فى طريقة تتيح للمرء تضامن المجتمع فى المحافظة على حياته ، أو فى تعويض ابنائه عنها .. ويقال ان أفكاره فى هذا الصدد ، ساهمت فى ابتداع نظام التأمين على الحياة .. وهو النظام الذى ظهر الى الوجود بعد قرن من عهد « ديفو » !

النار تفضح من يوقدها !

ولقد شهد الاقليم الجنوبى من الجمهورية العربية المتحدة ـ فى الفترة الاخيرة ـ أسبوع الحرائق ، الذى نظم لتنمية الوعى الشعبى ضد الحرائق والاسباب المؤدية لها . وقد ذكرنى هذا بمقال قرأته فى مجلة ((كافالكيد)) الاسترالية ، الكاتبة ((مارى فايننج)) ، فنتمال الخصه لك لطرافته .

منذ عهد قريب ، شغل بوليس (ميلبورن) بحريق تام فى أحد منازل المدينة ، فاتى على المنزل بأسره . وكان صاحب البيت وأسرته قد رحلوا ـ قبل ثلاثة أيام ـ ليقضوا فترة فى

مدينة اخرى ، فلم ينج من الحريق ، سوى الملابس القليلة التى حملوها معهم . واستثار ريبة البوليس امران : أولهما فجاءة اندلاع النار وسرعة انتشارها فى البيت .. وثانيهما أن صاحبه كان قد أمن عليه — لدى احدى شركات التامين — بمبلغ كبير ، قبل ذلك بزمن غير طويل . وهكذا نشط البوليس للبحث والتحرى ، **فلم يلبث أن كشف عن أن صاحب البيت كان يعانى ضائقة مالية شديدة ، وأن تفكيره المعوج هداه الى أن يحتال على شركة التأمين . ودبر خطته بحيث يكون بعيدا عن البيت هو وأسرته .. بل بعيداً عن المدينة . وقد استعان بمن أشعل النار مستخدما فى ذلك البترول .**

وهكذا ألقى القبض عليه ، بتهمة اشعال النار عمدا .

جنون الحريق

• **وتنحصر** حوادث الحريق فى ثلاثة أنواع عادة : الحريق عفوا — اى قضاء وقدرا — والحريق المتعمد ، و .. جنون الحريق .

ومن العسير التفريق بين النوعين الثانى والثالث ، فان المصاب بجنون الحريق ، يشعل النار متعمدا ، لان منظرها يستهويه ، ولان اشعالها يرضى رغبة فى نفسه . ولقد منيت (ايرلندا) — قبيل الحرب العالمية الثانية — بطائفة من الحرائق ، كانت تنصب دائما على الكنائس . وعندما اكتشف الفاعل — فى النهاية — ظهر انه كان يضمر بغضا شديدا للاديان ، وحقدا على مؤسساتها ! .. **وقد شهدت الثورة الفرنسية ألوانا من هذا الجنون ، ولكنها كانت جماعية ، لا فردية . اذ أن سخط العامة على الارستقراطيين كان يدفعهم الى احراق القصور ومؤسسات الطبقة الارستقراطية فى فرنسا .**

ولعل أشهر مجنون بالحريق هو « نيرون » الذى أحرق (روما) ، وراح يغنى

أما الحرائق الناشئة عفوا ، فتترتب على أسباب عديدة .. كما يحدث حين يلقى إحد المدخنين بقية من سيجارته فى اهمال ، ودون أن يتبين اين تسقط . وكما يحدث حين تتسلط أشعة الشمس الحامية على جسم قابل للاشتعال ..

ومن الطبيعى أن يتساءل المرء : كيف يتسنى معرفة سبب الحريق ، والحزم بما اذا كان معتمدا ، أو عفوا .. والجواب يتمثل فى الاساليب التى تتبعها فرق الاطفاء فى تحديد السبب ، ويستعين الاخصائيون – فى ذلك – بالتحليل الكيمياوى .. فتفاعل حفنة من الرماد مع مواد كيمياوية معينة ، قد يثبت أن الحريق تم باستخدام البنزين ، فيكون هذا قرينة على أن اشعال النار كان متعمدا .. **وهم بأساليبهم يستطيعون أن يعرفوا أين بدأ الحريق ، وفى أى اتجـاه انتشر** . وبفحص الاجسام المحترقة ، وقطع المعادن الملتوية التى يصادفونها ، يصلون الى أمور كثيرة تميط اللثام عن الحقيقة .

لا نجاة لمشعل الحريق

• **ولعل** فرص افلات الجانى – الذى يشعل الحريق عمدا – أقل من فرص افلات القاتل .

وقد حدث – فى فبراير سنة ١٩٣٩ – أن أمن احد ثراة تجار الجلود فى (نيو ساوث ويلز) على حياته بأربعين الفا من الجنيهات ، ثم رحل مع صديق له الى (نيوزيلندا) لقضاء

فترة من الوقت . واستأجرا بيتا صغيرا على شاطىء البحر. ولكن النار شبت فى البيت ـ فى ثانية ليالى اقامتهما ـ واستطاع الصديق أن ينجو ، وأسرع بابلاغ البوليس ، قائلا أن صديقه تاجر الجلود لم يستطع النجاة . وفعلا عثر البوليس بين الانقاض على عظام بشرية محترقة ، فاثبت وفاة التاجر .

على أن أسبابا استجدت ، دعت الى أن يفحص الطبيب الشرعى العظام المحترقة فحصا دقيقا .. وكانت هذه بداية لسلسلة من التحريات ، أظهرت أن العظام كانت لجثة سرقت من أحد القبور الحديثة ، فى مدافن (ويكوميت) بنيوزيلندا . وسرعان ما نشط الجهاز البوليسى ، حتى ثبت ان تاجر الجلود كان على قيد الحياة ، واستطاعت السلطات القاء القبض عليه وعلى صديقه ! .. وكان هذا دليلا جديدا على أن الجريمة لا تجدى .. مهما تكن دقة الخطة !

أوشك المجرم ان يفلت

• **واحيانا** يكون الحريق وسيلة لاخفاء معالم جريمة .. كان يقتل مجرم شخصا ، ثم يشعل النار فى المكان لتحترق الجثة ، ويبدو أن الاحتراق هو سبب الوفاة .. ولكن البوليس ـ فى جمع أرجاء العالم تقريبا ـ أصبح من الخبرة والدراية ، بحيث يستطيع أن يكتشف أمثال هذه الجريمة . وقد وقع فى انجلترا ـ فى سنة ١٩٣٠ ـ حادث كاد أن يكون مثالا للجريمة الكاملة ، اى التى يوفق فيها المجرم الى اخفاء كل دليل يرشد اليه أو الى الجريمة . فقد وجدت فى (نورثهامبتونشاير) سيارة محترقة ، وبداخلها جثة بلغ من احتراقها أن تعذر الاستدلال منها على صاحبها . **على أن أرقام السيارة ، لم تطمس تماما بفعل النار ، ومن ثم تسنى للبوليس الاهتداء الى أن السيارة كانت لسمسار تجارى متجول .**

وما لبث البوليس أن عثر على شاهدين مرا بالقرب من السيارة والنار تلتهمها ، فى ليلة الحادث . وقد ذكرا انهما شاهدا شخصا أنيقا - بدون قبعة - يخرج من حفرة على جانب الطريق ، ويسير مبتعدا ، وفى يده حقيبة صغيرة . وهكذا أصبح لدى البوليس خيطان يستطيع أن يتتبعهما .. **فقد عرف صاحب السيارة - ولا بد أنه صاحب الجثة - كما راح يبحث عن الشخص الانيق الذى كان على مقربة من الحادث .. وشيئا فشيئا ، ظهر أن أوصاف الانيق كانت تطابق أوصاف صاحب السيارة !**

وثارت شكوك البوليس ، فجد فى البحث . وسرعان ماظهر أن صاحب السيارة كان رجلا مستهترا ، تورط فى علاقات غرامية كثيرة ، وتزوج من عدة نساء - فى آن واحد - مع أن القانون الانجليزى يحرم تعدد الزوجات . ومن ثم ، رأى أن « الموت » هو المخرج الوحيد . ولكنه لم يكن قد شبع بعد من متع الحياة ، فما العمل ؟

وذكر الرجل - بعد أن وصلت اليه يد العدالة - الاسلوب الذى اتبعه .. فقد صادف فى طريقه - فى تلك الليلة - رجلا يسير فى الطريق الموحشة ، وقد أضناه التعب ، وجن عليه الليل ، فأظهر كرما بالغا ، بأن أوقف سيارته ، وعرض على الرجل أن يقله الى أقرب مكان مأهول . **وما أن استقر الرجل فى السيارة ، حتى ضربه السمسار على رأسه فأفقده الرشد ، ثم هبط من السيارة ، وأشعل فيها النار !**

ولكن الارقام التى لم تنصهر تماما ، والشاهدين اللذين قادتهما المصادفة الى أن يمرا بالمكان فى تلك الليلة ، أفسدا على المجرم خطته الدقيقة !

النار لا تأتى على كل شىء

✦ **ولقد** واجهت السلطات فى انجلترا يوما ، سلسلة من

الحرائق التى كانت تشب فى مخازن الجمارك ، ومخازن التجار ، والمصانع .. ولم يعد ثمة شك لدى السلطات فى أنها جميعا مدبرة ، لا سيما وقد ثبت أن كل حريق منها كان يبدأ باشعال النار فى كمية من زيت السيارات . واستطاع البوليس أخيرا أن يهتدى الى نوع الزيت ، والى متعهدى بيعه .. حتى انتهت به التحريات والابحاث ، الى أن الفاعل كان شابا فى السادسة عشرة من عمره ، مصابا بجنون الحريق !

والمجرم الذى يشعل النار متعمدا ، ينسى دائما أن النار لا تأتى على كل شيء .. وان ثمة أشياء ، لا تحترق عن آخرها ، أو أنها ـ حسب تركيبها الكيمياوى ـ تخلق عند احتراقها موادا كيمياوية جديدة ، يمكن أن ترشد الى سر الحريق ، وبالتالى الى فاعله !

زفاف .. فى مخدع جليدى !

وعلى ذكر « الجنون بالحريق » ، يحدثنا التاريخ عن نوع مناقض ، هو « الجنون بالجليد » .. فقد أوحى الجنون يوما الى الملكة « آن » ملكة روسيا ، أن تنتقم من عشيقها ـ حين خطر له أن يتزوج ـ فاتخذت من الجليد سلاحا للانتقام .. فتعال نقرأ معا هذه القصة الطريفة :

كان كل ذنبه ، أن زهوه بشبابه أوحى اليه أن فى وسعه أن يتخذ الى جانبه زوجة ، مع بقائه عشيقا للامبراطورة .

وهكذا تزوج الامير « ميخائيل جاليتسين » .. ولعل « آن » امبراطورة الروسيا ـ التى كانت قد اتخذته خليلا ـ قد

أدركت أن أقل تغير فى معاملتها له قد يثير الاقاويل والاشاعات.، **ولعلها شاءت له أن يأخذ من المتعة بقدر ما يرضى نفسه ، ليكون انتقامها منه من الفظاعة بقدر تلك المتعه !**

وسواء كان هذا أو ذاك ـ أو كلاهما ـ فان « آن » لم تغير شيئا من معاملتها لعشيقها ، ولم تبد ما ينم عن أتفه استياء داخلها لزواجه .. بل كظمت غيظها ، ومضت تتربص به دائرة السوء ! .

عروس شوهاء لعشيق الامبراطورة

• وشاء الحظ أن يعجل لها بالفرصة .. ففى يناير سنة ١٧٤٠ ، ماتت الزوجة التى اختارها « ميخائيل » .. واذ ذاك ، نشطت « آن » للانتقام الرهيب ! .. فما ان ووريت زوجته التراب ، وانقضت أيام الحداد ، حتى فاجأت الامبراطورة «ميخائيل» بمشهد ومسمع من حاشيتها ، قائلة :

ـ اننا ليؤلمنا حقا أن يستسلم «الامير ميخائيل» للحزن ، ويعز علينا أن يعيش كاسف البال ، كئيب الطلعة .. لذلك رأيت أن أعوضه عن زوجه الراحلة ، بزوجة أخرى !

وأسقط فى يد «ميخائيل» .. فقد كانت رغبه الامبراطورة أمرا لا يرد .. ثم وجف قلبه حين فوجىء بأن الامبراطورة قررت أن تختار له بنفسها زوجته المقبلة ! ..

وفى صمت وخفاء ، ارسلت « آن » رسلها يبحثون عن اقبح امرأة فى امبراطوريتها الواسعة ..

وفى أعماق الصحارى الاسيوية ، التقط رسول خبيث امرأة دميمة شوهاء ، لم تطلع الشمس على أقبح منها خلقة .. وكانت فوق ذلك بلهاء ، معتمة العقل !

وما أن اطمأنت الامبراطورة الى ذلك ، حتى خطر لها أن تضفى على الانتقام شيئا من السخرية .. فأمرت بأن يوضع

« ميخائيـــل » و « عروســـــه ! » فى قفص يحمله فيل الى الكنيسة ، حيث عقد القـــران .. ثم أمرت فأقيمت مأدبة كبيرة ، اجلس فيها العروسان وسط زمرة من أحقر الخدم مكـــانة ..

وبعـــد المـــأدبة ، أعلنت الامبراطورة أنها قررت أن ينعم « ميخائيل » بشهر عسل هنىء ، فى قصر كانت قد أمرت بأن ينشأ خصيصا لهذه المناسبة ..

سرير من الجليد

• **وما** أن عرف « ميخائيـــل » أن القصر بنى عـــلى نهر (نيفا) الذى كانت مياهه متجمـــدة اذ ذاك ، حتى أيقن أن الامبراطورة تسوقه الى حتفه ! .. ولم يخطىء حدسه ، اذ كان القصر مشيدا من كتل من الجليد .. وكانت حجرة النوم فى وسطه تماما ، **وقد جهزت بسرير من الجليد ، يحمـــل حشـــيات ، من طبقات جليدية ، وستائر نحتت من الجليد الخالص .. وقد استقرت على وسادته طاقيتان جليديتان ، ووضع على الارض أمامه ، زوجان من « الشباشب » .. من الجليد أيضا !**

واقشعر بدن « ميخائيل » اذ بلغ موكب العروسين هـــذا السرير .. وتلفت حوله ، فاذا الحراس يحيطون به وبعروسه احاطة السوار بالمعصم ، فلم يملك سوى الاستسلام ..

وتقدم المرافقـــون من الحاشية فجردوا العروســـين من ثيابهما ، وحملت الثياب الى الخارج .. ثم حملوهما ، فألقوهما على السرير .. و .. تمنوا لهما ليلة هانئة !! .. ثم انصرفوا تاركين الحراس أمام باب المخدع الرهيب ، ليحولوا دون فرار العروسين قبل أن يطلع الصبح .. وما نظن أن المســـكينين رأيا خيطا من ضياء ذلك الصبح !

حزار من العناق !

وهكذا هو الحب .. كلما استعرت حرارته ، تعرض المحبوب للخطر .. فهو اذا أثار غيرة عاشقة ، حفزه على الانتقام ، وربما فقد — فى هذا الانتقام — حياته .. بل ان نعيم الحب ذاته ، لا يخلو من اخطار ، كما سترى فى هذا المقال الذى عثرت لك عليه ، وأنا أتصفح مجموعة « المجلة الطبية البريطانية » :

كانت الفتاة — وهى تقف فى عيادة الطبيب — بادية الدهشة والحيرة . وما لبثت أن قالت : « ولكن هــذا غير معقول يا دكتور .. كيف يكون أحد أضــلاعى مكســورا ، دون أن أفطن ؟ » . فتناول الطبيب الصورة التى التقطتها أشــعة « أكس » لضلوعها ، وعرضها للضوء قائلا : « اننى لا أحدثك عن وهم تصورته .. هاك الصورة تفقديها بنفسك ! .. أترين هذا الصدع ؟ »

ولم تستطع الفتاة أن تمارى أو تجــادل ، فقــد أظهرت الصورة صدعا فى أحد ضلوعها ، كان من الوضوح بحيث لم تقو عيناها على انكاره . وقال الطبيب ، وهو يشهد حيرتها : « حاولى أن تتذكرى ! .. ان الالم الذى جئت تشكينه — فى البداية — لم يكن يبدو ذا علاقة بكسر فى الضلوع . **ولكن هذا الكسر كان هو السبب الحقيقى . ولقــد قلت انك أحسست به — لاول مرة — فى مساء الثلاثاء . فماذا فعلت فى ذلك اليوم ؟ »**

وراحت الفتاة تفكر ، دون أن يبدو على وجهها اى انعكاس ينم عن شىء معين .. وفجأة ، تضرج وجههــا ، وقالت فى خجل : « لم يحدث شىء يادكتور ، فقد كنت طيلة ذلك اليوم فى خمول وتقاعد ، اذ اننى كنت مهمومة .. كنت على خصام

مع خطيبى ! .. ولكنه جاء فى المساء ، واصلح ذات البين ، وكفر عن ذنبه .. وكان عنيفا فى تفكيره ، اذ أخذنى فى احضانه ، وراح يدور بى فى الحجرة ، وهو يشد ذراعيه حولى ، كأنه من رجال العصور الاولى ، الذين لم تهذب المدنية ضراوتهم ! »

وأدرك الطبيب السبب .. ان عنف ضمات الخطيب قد تجاوز درجة احتمال ضلوع الفتاة ، وهما فى غمرة الفرحة الطاغية بالصلح !

ماتتا فى أحضان حبيبيهما !

◆ ولقد كان الضرر بسيطا فى هذا الحادث .. أجل بسيطا ، اذ أن هناك ما هو أشد منه ! .. فلقد حدث منذ سنوات ، ان ماتت « فلورنس كاريل » وكانت فى الثانية والعشرين من عمرها ـ بين ذراعى حبيبها « ليسلى براونر » ، الذى كان من الموظفين الكتابيين باحدى الشركات ، فى لندن ..

كان الشابان قد أعلنا خطبتهما ، وأخذوا يتأهبان للزواج .. وراحا ـ فى تلك الليلة ـ يستأنفان بحث خططهما ، وهما فى أوج السعادة ، كما صرح « براونر » أثناء التحقيق .. وحلقت بهما الاحلام الهائمة ، بعيدا عن الدنيا . وفى لحظة اشتد فيها بالشاب الابتهاج ، طوق الفتاة بذراعيه ، وشدها الى صدره فى عنف أهوج .. والظاهر أنه فى هذا العناق ، ضغط بقعة من عنق قلب « فلورنس » ـ كما قال أحد أقطاب الطب الحادث ، فيما بعد ـ فتسبب فى شلل عصب حيوى .. وماتت الفتاة !

ولقد وقع حادث مشابه فى (مارسيليا) ، فى سنة ١٩٣٣ ، فان حسناء باريسية تدعى « جان برتران » ذهبت الى الميناء لاستقبال خطيبها ـ « فيكتور ريتييه » ـ الذى غاب عنها طويلا ، اذ كانت الحكومة قد انتدبته لمهمة رسمية فى الصين .

وما ان رست السفينة ، حتى راح « ريتييه » يشق لنفسه طريقا وسط المسافرين ــ دون أن ينتظر دوره ــ وقد استبد به الشوق الى خطيبته .. وقفز أخيرا على الارض ، واندفع اليها ، كما اندفعت اليه ، فى عناق حار ملهوف .. وفجأة ، تجمدت القبلات على شفتى الشاب ، اذ أحس بفتاته تتهالك بين ذراعيه ، ثم تسقط ميتة !

فقد كسرت احدى فقرات عنقها !

على أن هذه المآسى نادرة لحسن الحظ ، فليست بالعاشقين حاجة الى أن ينزعجوا ، أو يخافوا العناق .. كل ما هنالك انهم يجب أن يترفقوا ، فلا يطلقوا لضراوة عواطفهم العنان !

الانسان والقمر .. دائما !

مرة أخرى ، باء صاروخ أمريكى بالفشل .. فقد أطلقت أمريكا صاروخا أريد به أن يصل الى القمر ، ويدور حوله . وانطلق الصاروخ فعلا .. واخترق نطاق الهواء المحيط بالارض ، ولكنه انحرف عن طريقه ، وشدته الجاذبية الارضية ، فعاد الى الارض من جديد ! .. وما أبعد الفارق بين الانسان الذى يحاول اليوم الوصول الى القمر ، وبين الانسان منذ أجيال قريبة ، حين كان ينظر الى القمر كأعجوبة غامضة ، يحيطها بالشائعات والخرافات .. فتعال نستعرض بعض هذه الخرافات كما ألخصها لك عن كتاب : « أقوام قديمة » !

انك اليوم تنظر الى خسوف القمر ، أو كسوف الشمس ، كظاهرة طبيعية ، ترقبها باهتمام ، لمجرد ارضاء الفضول الذى هذبته العقلية العلمية .. ولكن الاقوام القديمة لم تكن تعرف ما تعرفه انت اليوم عن الكسوف والخسوف من حقائق علمية ، ومن ثم فانها كانت تنسج حول كل من الظاهرتين

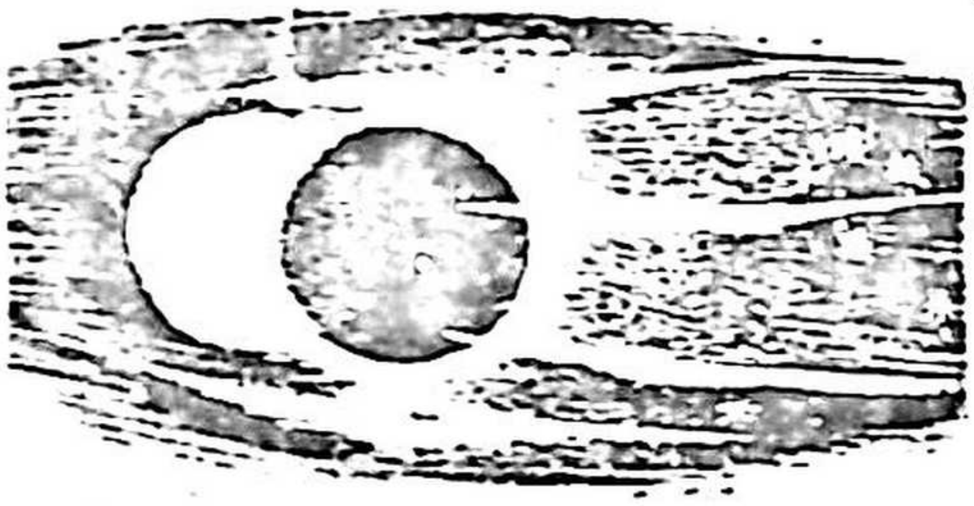

أساطير خرافية ، وتعزو احتجاب الشمس – فى أولهما – واحتجاب القمر – فى ثانيهما – الى شر أراده الشيطان !

الوحش الذى يعض القمر !

• وكان الاعتقاد السائد هو أن شيطانا ، أو عفريتا ، أو وحشا ، كان يهاجم الشمس والقمر ، ويعضهما . وكان الناس يخالون أن هذا الكائن الشرير لن يلبث أن يتحول الى الارض ، فيعضها هى الاخرى .. وكان هذا الاعتقاد يحملهم على أن يحاولوا ارهابه ، فكانوا يخرجون الى الخلاء مسلحين ، وهم يصيحون ، ويدقون الطبول ، ويطرقون كل جسم معدنى يحدث صوتا ، حتى يرهبونه بالضجيج .. ولعل هذا هو منشأ العادة التى لا تزال تشاهد فى بعض القرى البعيدة ، اذ يخرج الصبية الى الحقول – عند حدوث الخسوف أو الكسوف – وهم يدقون على الصفائح الفارغة !

وكان أهل الصين يقولون أن هذا الكائن الشرير تنين هائل .. أما الفرس فكانوا يعتقدون أنه أفعى جبارة ..

اما اهل المكسيك القدامى ، فكانوا يعتقدون أن الخسوف والكسوف انما يحدثان نتيجة شقاق بين الشمس والقمر ، وان أحدهما – فى غمرة الشجار – يتغلب على الآخر ، فيظل يضربه حتى يجعل جسمه أزرق ! .. فاذا عاد القمر أو الشمس الى شكله الطبيعى ، قالوا أنه تغلب على الجانب الآخر ، ليخفى عن الناس عاره !

وكان الاغريق والرومان – رغم حضارتيهما – يعتقدون أن

الكسوف والخسوف نذيران بالشر والنحس حتى ليقال أن (سيراكيوز) أرسلت قواتها يوما لتغير على (أثينا) . وتصادف أن تعرض القمر للخسوف — فى الليلة السابقة على المعركة — فاذا التشاؤم يستبد بالقائد الاثينى ، مما أثر على عنايته باستحكاماته وخططه الدفاعية .. وكانت النتيجة أن منيت « أثينا » بالهزيمة !

كسوف الشمس ينقذ (ليديا) من الغزو !

• ولقد لعب التشاؤم من الكسوف والخسوف ، دورا مغايرا ، فى مناسبة أخرى . ففى سنة ٥٨٥ قبل الميلاد ، سار جيش ميدى كبير ، لغزو (ليديا) .. وكان من ضخامة العدد والعدة ، بحيث لم يكن ثمة شك فى انه سيتغلب على (ليديا) .

وحار « الياتيس » — ملك ليديا — فى أمره ، فأشار عليه « ثاليس » — أحد الحكماء السبعة فى اليونان ، فى ذلك الوقت — بأن يعمل على تأجيل **المعركة الفاصلة حتى اليوم الثامن والعشرين من شهر مايو ، اذ تنبأ العرافون بأن الشمس ستحتجب فيه . ثم تحول الحكيم فراح يشيع فى كل مكان ، أن الآلهة تعطف على الليديين ، وقد غضبت لتعرض مدينتهم للخطر ، وانها قررت أن تعلن البشر بغضبها بأن تحجب الشمس عن الدنيا ، فى اليوم الذى تبدأ فيه المعركة الفاصلة .**

وعندما احتجبت الشمس فى ٢٨ مايو سنة ٥٨٥ قبل الميلاد ، أيقن الناس جميعا بصحة ما قاله الحكيم « ثاليس » حتى أن المحاربين الميديين أوجسوا من غضب الآلهة ، فكفوا عن القتال . ولم يجد قائدهم بدا من أن يأمر بالانسحاب ، ويسعى فى طلب الصلح

كيف كنت تتصرف ؟

وبعد هذه المواد ، التى قد يكون فيها شيء من الجفاف ، أدعوك الى بعض الرياضة العقلية ..

ان فى الحياة اليومية كثيرا من المآزق التى تصادف المرء ،فيحتار ويضطرب ويرتبك ، اذا هو ترك لاعصابه وعواطفه الزمام ، فتتجمع وتعرقل عقله عن أن ينشط للعمل ، فيبتكر الحيلة الناجعة .. ولكن شيئا من الهدوء والاتزان ، كفيل بأن يساعد المرء على العمل السريع الصائب، لانقاذ الموقف .. وقد اعتادت مجلة «ستردای ايفننج بوست » ، أن تنشر مواقف من هذا النوع ، لتساعد قراءها على أن يروضوا عقولهم على التفكير السريع . وقد اخترت لك الموقف التالى :

كنت أشرف على ساحة اللعب للاطفال الصغار . فى حى من اكثر أحياء نيويورك ازدحاما ، واذا بطفل يدفع رأسه بين القضبان المتوازية ، التى يتألف منها سياج الملعب .. وفجأة ، انحشر رأس الطفل بين قضيبين ، ولم يستطع أن يخرجه . فراح يصرخ مذعورا ، مستنجدا .

وأثار الاطفال الآخرون ـ ومن كان موجودا هناك من أهلهم ـ ضجيجا زاد من حرج الموقف ومن الارتباك .. واقترح البعض استدعاء البوليس .. واقترح آخرون استدعاء رجال الاطفاء .. وقال البعض أن الحل العملى هو استدعاء حداد

يقص القضيبين اللذين انحشر بينهما راس الطفل ..

أما انا فلم أتردد ، ولم أستسلم لحيرة ما ، وانما .. لن اقول لك الآن ماذا فعلت ، ولكنى أسألك : **ماذا كنت تفعل - أو تفعلى - لو أنك كنت مكانى ؟**

فكروا قليـــــلا ، واكتبوا ما ترون من حيل ، على ورق أمامكم ، ثم .. انتظروا حتى **آخر صفحة فى هذا الباب**

فى حانة « انكوشا »

والآن ، تعالوا نقرأ معا قصة طريفة ، من أدب جديد علينا .. أنه الادب الرومانى . والقصة من مجموعة من القصص للأديب الكبير « ميهايل سادوفينو » ، كتبها على نمط « ألف ليلة وليلة » .. أنها لون جديد ، فتعال نختبر مذاقه :

دم الشقيق !

كان « يونيشا » يعنى بطرفى شاربيه باحدى يديه ، وقد امسك قدح الخمر بيده الاخرى ، وتأهب لكى يروى القصة التالية ، حين ولج المكان راهب اقبـــل من المنطقة الجبلية

وجلس الراهب وطلب قدحا من الشراب ، شغل به بعض الوقت ، بينما كان الحضور يرقبونه . وما لبث ان قال اخيرا : «ايها المسيحيون الطيبون، لقد لذت بالصمت مدة ، ثم شعرت بأن لا بد لى من أن أتحدث اليكم ، وأنا فى طريقى الى كنيسة القديس « هارالمب » ، لاقضى عمرى فى الصلاة ، عسى أن يغفر

لى الله خطاياى .. ان اسمى « جرمان » ، وهذه أول مرة اترك فيها الجبال ، وآتى الى هنا ... »

وسأله أحد الحضور عمن يكون القديس « هارالمب » هذا ، فقال : « لم يكن ثمة من يفوقه شهرة فى بلاط الامير يوما ! .. **لقد كان هذا منذ عهد بعيد .. كان « هارالمب » هذا أحد الحراس الخاصين بالامير ، ثم قدر له ـ ذات يوم ـ أن يتمرد على خدمة الامير ، ففر الى الغابات ، وشق عصا الطاعة ، وأخذ يغير على دور الريف ومزارعه ، فيحمل منها الاسلاب ، ويلوذ بمخابىء فى الغاب** .. وكان من الحرص بحيث عرف بكل مسالك الغاب ومنافذها ، فسيطر عليها ، ولم يكن اى امرىء ينطلق باحثا عنه ليظفر بأكثر من خنجر أو رصاصة من « هارالمب » اليقظ ، تورده حتفه !

« وعندما كثرت جرائمه ، واشتدت وطأته ، اجتمع عدد كبير من المزارعين والتجار والعامة ، وارتموا على قدمى الامير وهم يبكون ، مستجيرين به . فأمر الامير رجاله بأن ينطلقوا فى أثر « هارالمب » وعصابته . ولكن هؤلاء استطاعوا أن يقضوا على عدد كبير من مطارديهم .. وظلت فظائع « هارالمب » تتفاقم ، حتى اشتد غضب الامير . فجمع رجاله وكبار المسئولين ، وراح يناقشهم الحساب وهو مهتاج . ثم التفت الى الحاكم العام لاعالى (مولدافيا) ـ وهى المنطقة التى عاث فيها « هارالمب » فسادا ـ وانذره بأنه سيعدمه ، ما لم يأته براس « هارالمب » ..

* * *

« **واشنند** جزع الحاكم . وفى خوفه على حياته ، جرؤ على ان يقول : « ان هارالمب صعب المراس يا صاحب السمو ، ولا قدرة لاحد عليه ، الا لشقيقه « جورجى بيونارد » رئيس حرسك . **فهذا رجل أمين ، وشجاع مقدام ، وقد فاضت**

نفسه استنكارا لاعمال أخيه .. وفى رأيى ـ يا صاحب السمو ـ أن من الاجدى أن تستدعيه ، وأن تأمره بأن يأتى بأخيه ! »

« وراح الامير يعبث بلحيته فترة ، ثم قال أخيرا : « لعمرى ، انها لفكرة ! »

« واستدعى الامير رئيس حرسه ، وعرض عليه أمر أخيه ، ثم قال له : « اننى أمهلك أسبوعين يا كابتن جورجى ، فاختر من تشاء من الرجال ، وانطلق لتأتى به حيا أو ميتا .. فان أخفقت ، فاننى أنذرك بأن عينيك لن تريا ضوء النهار بعد هذه المهلة ! »

« ووجم الكابتن جورجى برهة ، بينما كانت أنظار الحضور مسلطة عليه ، وما لبث أن ترنح فى وقفته قليلا ، ثم انحنى فقبل يد الامير ، وهو يقول : « سمعا وطاعة يا صاحب السمو ! » .. وانصرف

* * *

« واختار جورجى خمسين من رجال الحرس الاشداء ، سلحهم أتم تسليح ، وانطلق على رأسهم ، دون أن يضيع وقتا .

« وسرعان ما كانت البعثة تقفو أثر « هارلمب » ، وتطارده من مخبأ الى مخبأ . فلما كان فجر اليوم التالى ، استيقظت وأمى على طرقات على نافذة كوخنا ، فى قرية (بوزيينى) . وقفزت أمى من مرقدها ، ففتحت الباب . ودخل صديق لنا والماء ينصبب منه ، اذ كان المطر شديدا طيلة الليل .

« وكنت قد عهدته مليحا ، شامخ الانف ، معتزا بنفسه . ولكنه فى هذه المرة بدا مشعثا ، وطلب من أمى ـ بسرعة ، وبصوت أجش ـ بعض القوت .. وراح يتكلم وهو يأكل . ومن فيض كلامه ، احتفظت بهذه الجملة فى ذاكرتى : « ان أخى

جورجي يتعقبني ، وكأنني ذئب ! »

« ولم يصب كثيرا من الاكل ، اذ كان فى عجلة . فقد سمع فى الخارج أصواتا ووقع أقدام . وتسللت أمي خلف النافذة ، ثم هتفت : « اهرب يا هارالمب ، فان أخاك قد أقبل ، وهم قد طوقوا الحديقة ، وأصبحت حياتنا جميعا مهددة !

* * *

« وسمعته يزمجر ، ثم شهر مسدسيه ، واندفع نحو الباب . وأمسكت أمي بيدى ، وقادتنى الى الساحة الخلفية للدار .. ومن خلال الاشجار ، رأيت أعوان « هارالمب » متأهبين لاطلاق النار . واذ ذاك .. **اذ ذاك فقط ، عرفت من هو ذلك الصديق الذى كان يتردد علينا .. عرفت من يكون « هارالمب » بالنسبة الينا ، فقد راحت أمي تنتحت بصوت خافت ، وهي تضمنى اليها .. وأدركت أننا فى خطر !**

« وفجأة ، أقبلت كتيبة من الفرسان ، فسمعت أصواتا من كل مكان .. وازداد الفرسان دنوا من كل مكان . وسمعت « هارالمب » يتمتم لاتباعه ، فألقوا السلاح وانفضوا من حوله : ومن بين الفرسان ، اندفع فارس ضخم الجثة ، أسود الشاربين ، فتنهدت أمي وقالت : « ها هوذا أخوه ! »

« **وصاح الرجل وهو يلوح ببلطة فى يده : « تعال ، وسلم نفسك ! » . فأجابه طلق نارى من « هارالمب » . واذ ذاك اندفع قائد الحرس نحوه ، وهوى ببلطة ، فقطع رأسه ..** وصرخت أمي فى جزع ! .. واقبل الفرسان من كل جانب ، فأحاطوا بالمكان ، وقبضوا على أعوان قاطع الطريق ! .. بينما كانت عينا القتيل ، تتطلعان بحزن نحوى ، وهما فى الرأس الملقى على الارض !

* * *

« **وقال الامير** لجورجي ، حين عاد اليه برأس هارالمب :

« ثمن أي شيء تهفو أليه نفسـك ! » . فأجاب جوزجي في خضوع : « لقد صدعت بأوامرك يا صاحب السمو ، ولكني اتوسل اليك ان تسمح لي باعتزال منصبي ، لالوذ بمسقط راسي ، وأقضي العمر اكفر عن ذنبي .. فلقد ارقت دم اخي ابن ابوي ! »

« وكان منظرا أذاب قلب الامير ، حتى أنه بكى وأبكى من كانوا في مجلسه . ومن ثم أعفى جورجي من الخدمة ، ومنحه ضيعة .. ثم شعر بجسامة ذنبه ، اذ ساق أخا الى أن يقتل أخاه ، ولهذا رأى أن يكفر عن هذا الذنب بان ينشيء كنيسة لهرالمب .. هى التى أسعى اليها الآن ! »

وكان الجلوس في حانة « أنكوشا » ينصتون وكان على رؤوسهم الطير . فلما انتهى ، تنهدوا في اسى، ورفعوا كؤوسهم الى افواههم !

كيف كنت تتصرف ؟

حل المشكلة المنشورة فى صفحة (٢٩)

• كان الحل الذى اسعفتنى به البديهة ، هو ان طلبت الى احد الحضور ان يرفع الطفل الى اعلى ، ثم يديره على جانبه .. ودفعت جسم الطفل كله — وهو على جانبه — خلال القضيبين، الى خارج السور !

أبناء المعارضة!

قصة مصرية بقلم:

صالح جودت

دعانى صديقى الممثل الكبير الى الغداء فى مطعم «الارميتاج» .. وأشهد اننى لم أره فى حياتى ــ وقد عرفته منذ عشرين سنة ــ أكثر مرحا مما كان فى ذلك اليوم .

وتركنا سيارتنا أمام « الارميتاج » بعد الغداء ، وجعلنا نمشى تلك المشية اللطيفة الرتيبة بين شوارع الحى ،ملتمسين بصيصا من شمس يناير العزيزة ، حتى أدركنا مفترق الطرق بين شارع توفيق وسليمان باشا ، وهناك رأينا جمعا من الصبية والصبيات يجلسون على الارض ، فى أسمال بالية ووجوه شاحبة ، يتنافسون فيما جمعوا من أعقاب السجاير طيلة الصباح

ورحت أتطلع اليهم برهة ، ثم نظرت الى صديقى الممثل الكبير وقلت له : « هؤلاء هم الذين تتخذ منهم مسرحياتك أبطالا وبطلات . أليس كذلك ؟ »

فتوقف هنيهة عن السير ، وأطرق ولم يتكلم ، ثم غادرته تلك الابتسامة الحلوة والروح المرحة اللتان شهدتهما عليه منذ أن لقيته تلك الظهيرة ، وتجهم وجهه ، وتقطب جبينه .

ثم تابعنا مسيرنا وكأننا مسيران لا مخيران ، حتى اجتزنا شارع فؤاد الى الجزء الشعبى منه عند بولاق

وكنت أحدثه أو أسأله عن شىء ونحن سائران ، فأحس انه لا يلقى الى بالا ، ولا يجيب سؤالا ، وللمرة الاولى فى تاريخ صلتى به ، أحس أن سنه الحقيقية ، التى يخفيها عن الناس . قد أوشكت على الستين ، فقد بدت مقروءة على كل قسمة من قسماته !

* * *

وفى بولاق ، انعرج بى صاحبى الى منعرج ، ووجدنا نفسينا

امام مقهى بلدى متواضع ، فاقترح ان نجلس فيه ، لنحتسى كوبين من الشاى

اية مفارقة ! غداء فى « الارميتاج » نهضمه بكوبين من الشاى فى مقهى شديد التواضع بحى بولاق !

ولكن صاحبى لم يكن فى حالة تسمح بمناقشته . فجلسنا ، وسكتنا حتى انطوت ايدينا على الشاى الدافىء ، فبدأ يتكلم :

« هؤلاء الصغار الجالسون على الارض عند مفترق الطرق . ماذا تسميهم ؟ »

فلم احر جوابا ، فاستطرد يقول : « **لا شك أنك أنت .. وأنا .. وغيرنا من الناس ، نسميهم أبناء الاوباش . ولكن هل خطر ببال أحدنا فى يوم من الايام أن الفارق بيننا وبينهم صغير جدا ؟ انى أوثر أن أسميهم « أبناء المعارضة » كما سماهم الكاتب الفرنسى المشهور « جى دى موباسان » . هل تستطيع وأنت لم تتجاوز الاربعين بعد ، أن تجيب على هذا السؤال : كم امرأة فى حياتك ؟**

كم امراة فى حياتى ؟ هذا سؤال لم يوجهه الى احد من قبل ! بل لعلى لم أوجهه الى نفسى قط ! ومع ذلك دعنى احسبهن .. زينات .. نللى .. زهيرة .. لطيفة .. ميرفت .. أوه ، ان الحسبة طويلة ، لن يتسع لها الوقت الباقى على افتراقنا !

قلت له بكل ايجاز : « عشرات من النساء »

فابتسم ابتسامة مرة ، وقال لى : « عشرات وانت دون الاربعين .. فكم من النساء فى حياة مثلى وانا رجل أكثر فرصا منك ، لاننى أقف على المسرح ، ولاننى قاربت الستين ، أجل .. انا فى السادسة والخمسين وان كان الناس لايدركون ذلك . ومع هذا ، فانا لا ازال عزبا .. لم يقترن اسمى باسم امراة — من الناحية الرسمية — فى يوم من الايام .

* * *

وتوقف صديقى الممثل الكبير ليرشف رشفة من كوب الشاى قبل أن يبرد ، ثم قال : « عشرات ومئات من النساء فى حياتنا – أنت وأنا – بينهن المتزوجات والمطلقات ، والغاضبات من ازواجهن ، والمترملات .. ولهن أولاد كثر قد يتجاوزون المئات ، ولعل .. بل لا شك أن لنا فى هؤلاء الاولاد نصيبا . **أجل .. قد يكون لك منهم ولدان أو ثلاثة أربعة ، صبيانا وصبيات ، وقد يكون لى أنا منهم أكثر من ذلك ، ونحن لا نعرف عنهم شيئا ، لاننا أنكرناهم ، وفئة منهم أنكرناها ، وأنكرتها أمهاتهن الاخريات ، وألقين بها فى عرض الطريق ، وتبناها القدر !** .. هؤلاء من أعنى بهم « أبناء المعارضة » .. وهؤلاء من تسميهم أنت ويسميهم المجتمع ، بأبناء الاوباش ، أليس كذلك ؟ »

وسرح ببصره فى أفق قريب ، ثم أشار الى بيت من طابقين ، يتنفس بعبير الطبقة المتوسطة الطيبة ، لا يزال يحتفظ بالمشربيات الشرقية الجميلة مكان النوافذ ، وقال فى صوت كأنه ينبعث من أعماق الماضى البعيد : « هذا البيت .. ترى من يسكنه الآن ؟ »

ثم أبرقت عيناه كأنما يريد أن يهتك جدران المنزل ليعرف ساكنيه ، ومضى يقول :

« فى هذا البيت ، منذ اربعين سنة الا قليلا ، كانت تسكن الطابق الارضى أسرة ريفية الاصل ، لها ابن كان طالبا معى بالمدرسة الاعدادية . وكانت تربطنى به زمالة حلوة وصداقة وثيقة ، وكنت كثير التردد عليه فى المساء ، لنستذكر معا .. وكنا نلمح – ونحن ساهران بين الكتب والكراسات ، فى بعض الايام – صبية حلوة فى نحو السادسة عشرة ، تقفز على سلم البيت فى رشاقة ، وهى تروح وتجىء لقضاء حاجة لاهلها ،

واهلها يسكنون الطابق العلوى من البيت . **ولم تكن الفتاة تثير فى أحدنا شيئا رغم صباها الناضج ، لا لانها ليست مليحة — فقد كان نصيبها من الملاحة مقدورا — ولكن لانها لم تكن من ذلك النوع العابث الماجن ، بل كانت تغلب عليها براءة تثير العطف والحنان** ، ولا سيما بعد أن عرفت من صاحبتى انها يتيمة الاب ، الذى كان موظفا صغيرا طيبا مات فى حادث ؛ وتركها لامها ، وخلف لهما وراءه معاشا ضئيلا يعيشان منه عيشا ادنى الى الكفاف ، وقد بكت الام زوجها طويلا حتى جف نور عينيها ، ولم تعد تلمح غير الظلام ».

* * *

وسكت الممثل الكبير برهة وهو يسرح بصره فى البيت المتواضع ثم استطرد يقول :

— ومرت شهور العام الدراسى ، وجاء الامتحان وانتهى . وذهبت عصر يوم الى المدرسة ، وكانت فرحتى مجنونة حينما وجدت اسمى واسم صاحبى بين الناجحين ، المنقولين الى السنة الرابعة الثانوية ، فجعلت أعدو فى الطريق حتى بلغت داره لاكون اول من يحمل اليه البشرى . فوجدته وحيدا فى الدار ، اذ كان أهلوه قد سافروا الى البلد ، وتركوه ينتظر نتيجة الامتحان . وما كدت اراه حتى جعلت أعانقه وأقبله بفرحة تكاد تطير بكلينا ، فرحة النجاح . وقررنا أن نحتفل بهذه المناسبة احتفالا لم نصنع مثله من قبل

قال لى : « نشرب ! »

قلت : **« أتقصد خمرا ؟ »**

قال : « وهل يحتفل الناس بغير خمر ؟ »

قلت : **« ولكن ... هل نحتملها ؟ »**

قال : « نجربها .. نحن الآن فى السنة الرابعة ، أعنى اننا على أبواب المدارس العليا .. أبواب الرجولة .. فلم لا نفعل

مثلما يفعل الرجال ؟ ! »

« وخرج صاحبى الى بقال يجاور البيت (وأشار الممثل الكبير الى حانوت كواء وقال : « كان البقال فى هذا المكان بالضبط ») وعاد يحمل زجاجة من الكونياك .. وجئنا بكأسين . وجعلنا نعب الخمرة عب الغشيم ، ونضحك .. نضحك ملء أشداقنا من لا شيء ، ونقول كلاما عجيبا ، ونتصايح دون أن ندرك أن لنا شركاء فى البيت ، وأن بالطريق مارة ، وكأن الدنيا قد خلت لنا وحدنا . وتلعثمت ألسنتنا ، وتعثرت الكلمات على شفاهنا ، وفجأة رأيت صاحبى يميل على مقعده . ثم يسقط على الارض وهو يهذى بهمهمة غير مفهومة . فتحاملت على نفسى ، وحملته بكل ما بقى من قواى ، ولست أشك اننى استغرقت ساعة على الاقل ، حتى استطعت ان احمله الى مخدعه ، وأحاول ان اوقظه من الغشية التى ضل فيها ، والاغماء الذى سيطر عليه . وأخيرا .. خفت عليه أن يموت وأنا معه وحدى ، واعتراني جبن هائل .. سرحت بخيالى الثمل ، أتصور المأتم ، وأهله القادمين من الريف يبكونه ويمزقوننى لانى قتلته ، والعدالة ممسكة بتلابيبى تقدمنى للمحاكمة ، وتزج بى فى السجن الى أن يثبت اننى برىء .. فهرعت الى الطابق الاعلى أطرقه بشدة الجبان الثمل ! وكان أهل البيت نياما فى تلك الساعة .. كانت حوالى العاشرة من الليل . وتحاملت السيدة المسكينة على نفسها تتحسس الطريق الى الباب ، حتى فتحته لى ، وسألتنى : « من انت ؟ »

— لا تؤاخذينى يا سيدتى ، أنا صاحب جاركم التلميذ الذى يسكن الطابق الارضى

« وهنا كانت ابنتها قد استيقظت من نومها وغالبت النعاس ، وجاءت وراء أمها تتبين النبأ . قالت الام : « ما به ؟ »

— انه متعب ... مغشى عليه

« فاتجهت السيدة بجسمها نحو ابنتها ، وقالت لها :
ـ فتحية ... خذى زجاجة ماء الورد ، وساعدى الافندى فى تدليك وجه سي أحمد (وكان هذا اسم صاحبى) ويديه وقدميه حتى يفيق ...
« وعادت السيدة تتجه نحوى قائلة : « والنبى يا افندى ، لا تتركه حتى يفيق . ولا تؤاخذنى فى تقصيرى ، فأنا فاقدة البصر ، لا أنفعكم بشىء . وسى احمد أمير ، وأهله أمراء ، وهم فى البلد ، وهو اليوم أمانة فى عنقى ... أرجوك أن ترعاه ، وستساعدك بنتى فتحية على افاقته ، وأنا لن أنام حتى تقولا لى انه أفاق .

* * *

« وعدت الى صاحبى ، ولحقت بى فتحية وفى يدها زجاجة ماء الورد ، وما زلنا به ندلك وجهـــه وأطرافه ، وأنا لا أكاد أستطيع أن أقف على قدمى من فرط ما شربت ، واحس اننى لست أقل منه حاجة الى هــذه النومة ، والى ماء الورد .. حتى تفتحت عيناه ، وأفاق على تعب وشــكر لنا صــنيعنا ، وقال انه بخير ، ولكنه يريد أن ينام ، فأحكمنا عليه الغطــاء ، وسرعان ما غط واستغرق فى نوم عميق ، فأخرجنا المصباح من غرفته ، وخرجنا الى الردهة ، وقالت لى فتحية : « تصبح على خير ! » ..
« وهنا استيقظ الشيطان ... فمــا أن أحسست أننى وهى فى خلوة ، حتى أطفأت الخمر كل بصيص فى صدرى من نور الضمير ، ووجدتنى مندفعا نحوها أمسك بها من يديهــا وأســألها : « الى أين ؟ »
ـ أنا صاعدة الى أمى لاطمئنها على سى أحمد .
ـ وتعــودين ؟
ـ ولم اعود ؟

ـ أنا أريدك ..

« واندفعت نحو الباب أغلقه حتى لا تخـــرج ، ولم يدع الشيطان فى قلبى ذرة من الرحمة ولا الاشفاق على هذه البراءة الطاهرة »

لقد رأى الناس صـــديقي الممثل الكبير ، يقف على المسرح ويقطع القلوب بمـــا ينزف من دموع تقتضـــيها اياه مواقف التمثيل ، **ولكنى رأيته يومئـذ ينزف دمعة كبيرة حينما وصل الى هذا القدر من القصة ... دمعة صادرة عن قلبه ، لمأساة فى الحياة ، لاعلى خشبة المسرح .** ومضى يتابع قوله :

ـ وفى الصباح ، مر بى صاحبى ، فأنكرت نفسى خشـــية ما يكون . ولم أحس شيئا من الطمأنينة الا بعد أن انصرف، وترك لى مع الخادم وريقة يقول فيها انه مر بى ليودعنى قبل سفره الى البلد ... اذن فهو لم يعـــلم ، والا .. لكان له موقف آخر ... ترى ألم تحدث فتحية أمها بشيء ؟

« ومرت الايام ، وشغلنى حب الفن عن متابعة الدراسة ، ولم تجد نصائح أبى ولا أمى فى أن تثنينى عما اعتزمت مـــن الاشتغال بالمسرح فانقطعت الصلة بينى وبين صاحبى أحمد، ولم أره ولست أعرف مصيره حتى اليوم .

* * *

« وانقضت سبع سنوات عـــلى تلك الليلة الثملة ، وذات يوم ، قادتنى قدماى الى هذا الحى ، والى هـــذا المقهى الذى نجلس عليه الآن ، وكانت ساعة قيلولة محـــرقة ، ولم يـــكن

بالمقهى غير صاحبه الاول ، الحاج بيومى ، رحمه الله .. مات منذ أعوام قريبة . فلما رآنى الحاج بيومى وحدى ، أراد أن يؤنس وحشتى على غير معرفة ، شأن أولاد البلد اللطاف ، ورحنا نتجاذب أطراف الحديث فى شتى الامور ، وأسأله أسئلة عابرة عن الحى ،وأهل الحى ، وأصحاب البيوت وساكنيها ، فذكرت له اسما كان قد علق بذاكرتى ، هو اسم والد فتحية . فتنهد الحاج بيومى طويلا ، وقال :

ـ أكنت تعرفه ؟

ـ أجل .. كان موظفا مع أبى :

ـ رحمة الله عليه ، والله ما كان يستاهل ما جاز على بينته .

« فسألته متبالها : « هل مات ؟ مسكين ! »

ـ لقد مات مرتين .. مات يوم مات .. ومرة أخرى يوم مات عرضه .

« ومضى الحاج بيومى يحدثنى بما كنت اريد أن أعرف .. قال ان فتحية كتمت الامر عن أمها العمياء المسكينة ، ومر شهر وراء شهر وهى مطوية على عارها لا تتكلم ، حتى جاء اليوم المحتوم بعد تسعة أشهر ، وأصيبت بحمى النفاس بعد أن وضعت طفلها .. **وعبثا حاول طبيب الصحة وأهل الحى وأمها المسكينة أن يستخرجوا كلمة واحدة من فمها ، فقد لزمت الصمت وطوت سرها معها الى أن فاضت روحها فى اليوم الثالث من الوضع** . وأما طفلها ، فقد تولت رضاعته خادمة فى بعض بيوت الحى ، وأما الام التعسة ، فقد ماتت مقهورة بعد هذا بشهر أو نحو ذلك ، وشيعت جنازتها على نفقة الخيرين من أهل الحى .

« وسكت الحاج بيومى عند هذا الحد من القصة ، دون أن يشفى غلتى من أمر الغلام وما صنع به القدر . وكنت أغالب نفسي وأحارب مشاعرى حتى لا يدرك الحاج بيومى

أمرا من وراء اهتمامي بالقصة . فلما أن سكت ، لم أجد بدا من أن أسأله وأنا ارسم ابتسامة مصطنعة الهدوء على فمي : « والطفل ، ماذا صنع الله به ؟ »

فطأطأ الحاج وقال : « الطفل ؟ ... قلت لك ان خادمة فى الحى تولت رضاعته فى بيت مخدوميها ، وبقى فى البيت حتى بلغ الرابعة أو الخامسة من عمره . **ولكنه بقى على مضض ، فقد كان طفلا كريها ، لا يثير فى نفس أحد من أهل البيت ، ولا من الحى ، ولا فى مرضعته نفسها ، شيئا من العطف .** كان أعرج الساق ، دميم الوجه ، أبله العقل ، شرير النفس . وحدث يوما أن قوى الشر الابله فى نفسه فهم باشعال النار فى البيت الذى يؤويه ، لولا أن دهمته ربة البيت فى البداية ، فطردته شر طردة . ومنذ يومئذ وهو فى عرض الطريق ، يقتات بمخلفات البيوت ويلبس الاسمال ، وينام فى ميضاة المسجد ، أو فى اى قبو من أقبية البيوت اذا غفلت عيون أصحابها » .

« فاطرقت فى ذهول ... ثم صحوت حتى لا أكتب على قسماتى أثر الفضيحة فيقرأها الحاج ، ثم سألته : « ترى اين هو الآن ؟ »

فأشار الحاج باصبعه الى ركن غير بعيد من الطريق ، وقال : « هناك .. مع هذه الثلة من أبناء الاوباش جامعى أعقاب السجاير يقامرون بالاعقاب »

* * *

« **وتصنعت** تأخر الوقت ، ونظرت الى ساعتى واستأذنت الحاج متعذرا بأن لدى موعدا هاما ، والا ما حرمت نفسى حديثه الظريف . وانصرفت وئيد الخطى متجها الى حيث أشار ، **فرأيت الصبى الابله ، والكل يسخرون منه ، ويضربونه على قفاه ، وهو يزك بقدمه ويعدو خلفهم فى**

بلاهة ، ويصيح صيحات منكرة شوهاء ، فوقفت على مقربة منه أتأمله .. أتأمل هذا الوجه النكر ، أيمكن أن يكون ولدى ؟
تمليته مرة ومرات .. حقا ، لقد كان صورة كاريكاتورية منى ! .. لو جاء مصور ماهر ، وأراد أن يرسمنى مشوها معالم وجهى ، لكنت صورة كبيرة لهذا الطفل ! وأقبل الطفل نحوى فى بلاهة يضع يده القذرة على ملابسى ، ضاحكا ضحكة كريهة بلهاء ، فابتعدت .. ونفحته عشرة قروش تناولها وابتعد فرحا دون أن يقول كلمة شكر .. كأنما أحس عقله الباطن أنه مفروض على أن أنفق عليه ، **لانه ولدى !**

« وتابعت طريقى مطرقا كئيب النفس .

« انهم يقولون عنه الآن انه من أبناء الاوباش ... أنا الاوباش ... ألست أباه ؟ »

* * *

وسكت الممثل الكبير سكتة طويلة ، وتركنى أتطلع اليه فى شغف الى بقية القصة ، فلما لم يتكلم ، قلت له : « ألم تره بعد ذلك ؟ »

« فأجاب فى حزن : « لم أنم تلك الليلة ! .. وفى الصباح التالى ، ذهبت الى الحى ، وتجنبت الحاج بيومى ومقهاه حتى لا أثير فى نفسه ريبة ، واتجهت الى ثلة الصغار جامعى الاعقاب ، فأحسنت اليهم ، ثم استدرجتهم فى الحديث متسائلا عن صاحبهم الابله ، **فقالوا لى أنه أشترى بالقروش**

التى منحتها له كمية من البترول ، وحاول أن يشعل النار فى ميضأة المسجد لولا أن عناية السماء أنقذت بيت الله قبل أن تستفحل النار .. وهرب الابله !

« الى أين هرب ؟ .. هذا مالا نعلمه ، ولا يعلمه أحد حتى اليوم . لعله فى السجن .. لعله مات .. لعله لا يزال فى الطريق ! »

وعادت دمعة من دموع الحقيقة لا التمثيل ، تجرى على وجه الممثل الكبير

القرن الخامس عشر « الامبراطورية الرومانية المقدسة » ، وانما كانت طيفا لها .. وكانت بين القسطنطينية والتحول من المسيحية الى الاسلام خمسون عاما .. وكانت امريكا على بعد مائة عام من الاكتشاف ، فليس من يحس لها وجودا !

عملاقان يقتسمان آسيا

• وفى تضاؤل أوربا وتفتتها وتداعيها ، كانت آسيا ــ كالعهد بها ــ محتفظة بما توارثته من تقاليد عن البابليين ، والاشوريين ، والكلدانيين ، والفرس .. فان هذه التقاليد نبعت من صميم الحضارات ، فظلت ثابتة ، راسخة .. وظلت آسيا موطن الاباطرة العظام . كل ما فى الامر انها لم تكن امبراطورية واحدة ، شأنها أيام « جنكيز خان » ، وانما كانت موزعة بين حاكمين عملاقين ، جبارين ، ينفرد كل منهما بالحكم والامر فى الشطر الذى كان يشغله من مسرح الشرق ..

كان « **بايزيد** » الاول ــ سلطان الاتراك العثمانيين ــ يخيم على حدود أوربا ، وقد امتازت حملاته المفاجئة ــ التى تجاوزت خط الحدود ــ بضراوة وقسوة أكسبته اسم « الصاعقة » .

وفى الجانب الآخر .. فى الشطر الشرقى ، كان يهيمن على الميدان شخص يدانيه عظمة وقوة ، ان لم يفقه .. **شخص أعرج ، كان ابن رئيس لعشائر التتار ، واستطاع ــ بقوة شخصيته ، وبقسوته ، وبمقدرته ، وبضراوته .. كلها معا ــ أن يقيم لنفسه عرشا فى (سمرقند)** . ذلك هو « تيمور الاعرج » ، أو « تيمور ــ أى ــ لينج » ــ بلسان قومه ــ أو « تيمورلنك » كما حرف الاسم فى سجلات التاريخ ! .. كان كما وصفه شاعر انجليزى فى عهد الملكة اليزابيث :

« ملك ولكن ما من اله فى مجده ! !
« اذا سأل نال ، واذا أمر أطيع ..
« ويجتاز (بيرسوبوليس) على جواده كاعصار مظفر ! »

وقد مد « بايزيد » أطراف امبراطوريته شمالا وشرقا ، وبسط « تيمورلنك » ملكه جنوبا وغربا !

حرب باردة .. بين بايزيد وتيمورلنك

• ولكن الشرق لم يكن — على سعته — ليحتمل عاهلين ، كلاهما منفرد بالسلطان والامر فى مجاله ، وكلاهما مقدام ومحارب .. فكان الصدام بينهما أمرا لا مفر منه . ولقد اتبع « تيمورلنك » تقليد « جنكيز خان » .. تقليد الارهاب ، ووفق فيه الى درجة أن الولايات السبع والعشرين — التى كانت تحت ربقته — كانت تحس بكعبه الحديدى فوق رقابها ! .. ولم يكن عدد الملوك الذين يحنون له الجباه ، ليقل عن تسعة .. **وكانت ربقته مفروضة من (آرال) الى نهر (الجانجز) والخليج الفارسى ، ومن سور الصين — التى كانت بالنسبة له بمثابة أرض الميعاد ، والتى لم يقدر له قط أن يهزمها — الى حدود آسيا الصغرى !**

وفى الجانب الآخر ، كان « بايزيد » ، على رأس عنصر محارب ، وقد فرض سلطانه على كثير من الشعوب ، منها الاكراد ، وأهل المشرق ، والمراكشيون ، والغرب ، واهل الشام ، والسلافيون .. وبعض التتار ، الذين كان تيمورلنك نفسه ينتمى اليهم ! .. **كانت امبراطوريته قد ابتلعت أكثر القوميات فى أوربا والشرق الاوسط !**

ووقف الجباران وجها لوجه ، ولا أمل فى أن يفكر أحد منهما فى تحالف او تهادن .. فكانت النتيجة ، أن اندلعت

كان ((بايزيد)) أشبه بالصاعقة . ..
(لوحة بريشة الفنان ماتانيا)

النار .. نار الحرب ! بدأت بمعركة طلقاتها الكلمات والعبارات .. ثم سارت الخطابات بينهما تزيد الاوار وتؤججه !

بين الصاعقة والرعد القاصف !

• وكتب تيمورلنك يوما الى غريمة « بايزيد » يقول :
« أى أساس عادل ترتكن اليه جراتك ؟ .. افتتشدق بذكر المعارك ، وأنت الذى لم تكسب سوى مناوشات ضيئلة فى غابات الاناضول ؟ .. أفتجرؤ على أن تلوح بهذه الانتصارات الزرية كدليل على اقدامك ؟ .. اننا ما احجمنا عن أن نعاملك معاملة الفيل للنملة ، فنسحقك تحت كعبنا ، الا لانك قد هزمت الكفار ، اتباعا لاوامر القرآن . **فلا تستنفزنا بعد اليوم ، والا فان السيف سيطاح به من قبضتك ، وان كانت بركات رسول الله لقد حلت به لما فعلته بالكفار . الا ثب الى رشدك ، وفى الوقت متسع للندم .. وتجنب يا صاعقة وطأة رعدنا القاصف ، الذى ينذر بالعاصفة فوق راسك المغرور ! »**

واغتاظ التركى ، وتفجرت حمم غضبه فى كلمات :
« لتكن جيوش عشائرك فوق كل حصر وعد ، ولتمرق سهام التتار كما لم تمرق سهام يوما ما ، ولكن .. ما جدوى كل ذلك أمام سيوف رجالى المنيعة البتارة ؟ .. **ان الامراء الذين لاذوا بظلى يحتمون من ظلك سيعيشون فى رعايتى وحراستى ، وسآويهم فى فسطاطى . فتعال وابحث عنهم هناك ، اذا جرؤت !** .. فلتكن زوجاتى طالقات ثلاثا ، ومحرمات على فراشى ، ان انا هربت منك ! .. اما اذا خانتك الشجاعة واحجمت عن ملاقاتى ، فلتكن زوجاتك محرمات عليك ، او فلتضمهن أحضان الاغراب ! » .

الجراد يجتاح أرض بايزيد

• ولم يكن رد « تيمورلنك » خطابا ، وانما جاء رده امرا أصدره ، فاذا التتار يحشدون جموعهم .. وفى معسكراتهم انطلق النفير ، وتردد نداؤه فحملته الرياح من واد الى واد ،

ومن تل الى تل .. وسرعان ما لبى النـــداء ثمانمـائة ألف محارب قوى ، مقدام ، طائع لتيمورلنك .. ثمانمائة ألف ذئب متعطش للدماء ، تواق الى الاســلاب .. ثمانمائة ألف من التتارى ، ساروا وراء قائدهم ، منحدرين جنوبا !

وشقوا طريقهم فى أرض الاتراك ، فخضبوها بالدماء أولا ، ثم سودوها بالنار والدمار ، ومسحوا مدنها مسحا .. كانوا كالجراد ، لا يبقى ولا يذر . ثم ارتدوا عائدين ، وقد توجوا رأس « تيمورلنك » بأكاليل الغار والنصر ، وارضوا نفســه وفثأوا غيظه .

ولكن « بايزيد » لم يقعد عن طلب الثأر ، يدفعه الى ذلك قدر مكتوب له فى صفحة الغيب .. ومن مدينة (سـيفاس) — فى (كابادوشيا) — التى كان التتار قد محقـوها محقـا ، انطلق « بايزيد » فى سنة ١٤٠٢ ليرد الى عدوه المنتصر الكيل كيلين ، فزحف على (أنقرة) .. وما شعر السلطان الفخور — الذى كان ينتمى الى عنصر كريم أبى — ان نجمــه كان فى أفول . فان الافراط كان قد امتص قواه ، وأطاش حكمته . وضلل رأيه .. الافراط فى كل شىء .. فى الحـــرب ، وفى الترف ، وفى اللهو .. كان — من حيث العمر والجسم — فى مقتبل العمر ، ولكن الحياة التى كان قد عاشـها ، والغضب الاهوج الجامح الذى تولاه ، راحا يدفعانه دفعا الى قبضــة عــدوه !

غلطة تؤدى الى هزيمة

. وراح قادة جيوشه يتوسلون اليه كى يرجع عن غايته ، فقد كان طريقه يمتد فى أرض يعز فيهـا المـاء .. وكان ربع قواته من التتار ، وقد يحن الدم للدم ، وتغلبهم النعرة للاصل ، فيهجرون صفوفه ، ويتخلون عنه ، ان لم ينضموا الى عدوه .. وكانت جيوشه كلها ، بما ضمت من عناصر وقوميــات ،

مكبلة بأغلال من كراهيته والسخط عليه ، لا سيما وان أجور أفرادها لم تكن تؤدى ، لان بذخ السلطان وحاشيته ، كان يستنفد كل الموارد !

وما كان « بايزيد » ليجهل كل هذا ، ولكنه لم يحفل به .. ومع أنه عرف أن « تيمورلنك » قد حول مجارى جداول بأسرها عن طريقه ، ليزيد من حرمان الجنود الزاحفة من الماء ، الا انه لم يكترث .. وما كان بحاجة الى الماء ، لانه - برغم تعاليم دينه - كان يشرب النبيذ ، ولانه لم يكن يرجو لظمأه ريا الا .. من دماء غريمه .. تيمورلنك !

وغرر به ذكاؤه - فى سورة الغضب والتهور - فخيل اليه أن من الدهاء السياسى والعبقرية العسكرية ، ان يجعل تتار جيوشه فى المقدمة ، ليكونوا طعما لاستدارج عدوه ، أو لقمة تسد فم الاسد وتقف فى حلقه ، وليكونوا درءا للاتراك . **ولكنه نسى أن الفرار يغدو أيسر على القوات التى فى الطليعة ، منه على القوات التى فى المؤخرة .. أو لعل القدر هو الذى أنساه !**

وهذا هو الذى حدث .. فما أن وقعت أولى ضربات الحرب ، وانهمرت قذائف اللهب الاغريقية من صفوف تيمورلنك على صفوف الاتراك ، حتى داس التتار - الذين كانوا تحت أمرة بايزيد - لواء هذا السلطان ، وانضموا الى أبناء جلدتهم ، أنصار تيمورلنك !

قاهر الرجال يذوق مرارة الاسر

◆ **ولكن** قذائف اللهب لم ترهب العثمانيين ، بل اندفعوا فى هجمات مستميتة .. ولكن اقدامهم وبسالتهم لم يكونا مجديين ، فان فرسان التتار اندفعوا يطوقون جناحى الاتراك ، وهم كالاعصار الجامح ، ويقطعون على قواتهم طريق التراجع والتقهقر .

واعتصم « بايزيد » بمرتفع من الارض ، يحف به حراسه من أهل (الناصرة) ، ثم راح يقاتل فى بسالة يصفها لنا مؤرخ من بنى جلدته ــ هو « شولوكزاده » ــ بهذه العبارات :

« وظل الصاعقة ممسكا ببلطة ثقيلة من بلطات القتال ، يلوح بها فى الهواء ، فاذا هوت ، فليس من حاجة الى ضربة ثانية .. وراح يشتت الاعداء ، كما يشتت الذئب قطيع الغنم ! »

ولكن ، ما قيمة الشجاعة ، أزاء الكثرة الماحقة ، المنيعة الدائبة فى زحفها ؟

وهكذا قدر لبايزيد ، سلطان الاتراك العثمانيين ، وصاحب النصر فى عشرات المعارك ، وقاهر الرجال الذى لم يغلب من قبل ، أن يؤخذ أسيرا ، وهو على قيد الحياة . فانتزعت بلطته المجللة بالدماء من قبضته ، وغلت يداه .. وسيق مقهورا الى خيام التتار .. وكانت هذه نهاية الصراع !

كبرياء .. ورحمة .. وغدر !

◆ **وكان** يعرف المصير الذى ينتظره .. المصير الذى أعده له غريمه « تيمورلنك » .. لقد كانت جمهورية (روما) ، هى الموطن الاول للصيحة الخالدة : « الويل للمغلوب ! » ، ولكنها لم تكن يوما قريبة من الحقيقة ، قربها فى هذا اليوم . فقد كانت تجرى فى عروق تيمورلنك دماء عنصر جبل على القسوة .. بل انه كان يعيش عليها .. وبها .. ولها !

ولكن « بايزيد » لم يكن أقل كبرياء واعتزازا بكرامته من أى تتارى ، ولو كان « تيمورلنك » نفسه . **وفى فلسفة الشرق التصوفية ، أقر بالواقع ، وان لم ينزل عن عنجهيته ، فواجه قاهره ــ الذى اقتيد ليمثل بين يديه فى منتصف الليل ــ وهو رافع الرأس ، ثابت الجنان ..** وتألقت فيه ــ للحظة ــ روح الرجل الذى كان من الممكن أن يصير اليه لو لم يتعرض

للغدر ، ولو لم يعمه الغضب ، ولو لم يفسده الاسراف .. فاذا به يبدو فى هزيمته أعظم مما لو كان قد انتصر .. وفى كبرياء ، واستهتار ، وازدراء ، وجلد ، وقف ينتظر القضاء !

وكان لذلك أثره على ((تيمورلنك)) .. ولاول مرة فى عمره استجاب لداعى الرحمة . ولعله ما رحم آلا لان ((بايزيد)) أبى أن يطلب الرحمة ! .. وأمر السلطان المنتصر ، بأن يعامل غريمه المغلوب ، كضيف مكرم ! .. ولكن الضلال الذى ران على بصيرة « بايزيد » لم يكن قد فارقه ، فحمل الرحمة على محمل الضعف ، والاحترام على محمل الجبن ، فأطمعه هذا فى غريمه .. واذا به يحاول الهرب . ولكن الغدر أسخط تيمورلنك كما لم يسخطه الخصام والحرب .. ولم يقو فى هذه المرة على أن يكبح جماح نقمته !

روح تتخبط .. فى ظلمات الاسر

• **ولكن** انتقام « تيمورلنك » لم يتمش مع التقليد الذى درج على اتباعه .. تقليد البطش العنيف . ولا تمثل فى وضع « بايزيد » فى قفص يطوف بالبلاد ، امعانا فى تحقيره واذلاله ، كما زعم شعراء الغرب — أمثال « راسين » — جهلا بلسان القوم ، واغترارا بترجمة خاطئة .. فان الكلمة التى ترجمت على انهـا « قفص » ، كانت تعنى — فى الواقع — محفة . **فقد أمر السلطان الغالب ، بأن يحمل السلطان المغلوب على محفة ، وهو مكبل بالاغلال ، وكأنه امرأة ! .. وكانت المحفة أقسى وأمر من القفص ، على نفس الاسد الاسير !**

وفى جوف الليل ، راح « بايزيد » — فى أغلاله .. أغلال الجسد واغلال الروح — يفكر فى زوجاته اللائى خلفهن بلا حام ولا نصير .. وأخذ يستعرضهن واحدة فواحدة :

تمثل فى ظلمات ليله وأسره وهوانه ((ديسبينا)) ، **الاميرة العربية** ، التى تزوجها عقب انتصـاره الدموى فى معركة

.. وكان يتمثل فى ظلام الاسر ، صور زوجاته الحبيبات ..
(من رسم ماتانيا)

(كوسوفو) .. المعركة التى فقد فيها أبوه حياته ، واغتيل فى أثرها أخوه « يعقوب » ، فآل العرش اليه هو .. ترى ما الذى يصير اليه أمر « ديسبينا » العربية الحسناء ، ذات البشرة البيضاء ، والشعر الاصفر الخفيف ؟ !

وتمثل ((ماريا)) ، **حفيدة ملك المجر** .. حفيدة « سيجيسموند » الذى قدر له فيما بعد أن يغدو امبراطورا على الولايات الجرمانية ، والذى كان قد حاول أن يرفع عن القسطنطينية حصارا فرضه عليها « بايزيد » عشر سنوات ، فهزمه العملاق الشرقى فى معركة (نيقوبوليس) ، وسبى حفيدته رمزا للانتصار !

ثم .. ((**انجلينا**)) **اليونانية** ذات القوام المهيب ، والطلعة النبيلة ..

لقد كانت كل منهن أشهى ثمرة ظفر بها فى معركة من معاركه .. كانت كل منهن وساما يسجل شجاعته وجرأته واقدامه .. وسام لا يزين صدره ، وانما يزين قلبه !

تقاليد فى مآدب ((تيمورلنك))

• **فماذا** يكون مصيرهن ؟ .. أفينقلن من (بروسا) – حيث كان يصونهن من كل عين ، الى (كوتايا) حيث يغدون

نهبا للعيون جميعا ؟.. أينقلن من «الحريم» الذى كن يتقلبن فيه بين أحضان العز والترف ، الى بلاط « تيمورلنك » حيث الذلة والمهانة .. وحيث تستباح أعراضهن ؟

كان هذا أفظع ما خشيه « بايزيد » .. وكان مجرد التفكير فيه ، أشد وقعا على نفسه من كل تعذيب وتحقير !

ولكن هذا هو ما حدث فعلا ! .. فان ضراوة غضب السلطان التتارى ، أوحت اليه أن يتخذ من نساء أسيره أداة للامعان فى تعذيبه واهانته .. لقد كانت الساعة ساعة نصر «تيمورلنك» ، فأباح لنفسه كل شىء .. و «الويل للمغلوب» ، لا سيما اذا كان هذا المغلوب قد غدر بالرأفة ، وحاول الفرار !

وأقيمت سرادقات كبيرة للمآدب التى قرر « تيمورلنك » أن يحتفل فيها بانتصاره .. وكان لمثل هذه الحفلات تقاليد انطوت على كثير من الغلظة النابية ، وعلى كثير من الاباحية الفاجرة . فكان « الاتيكيت » يقضى بأن يتقدم سيدان من كبار التتار ، الى كل وافد على الحفل ، فيرفعانه من تحت أبطيه ، ويحملانه حملا الى حضرة السلطان . وعند قدمى « تيمورلنك » ، يغصبان الضيف على سلسلة من مظاهر الخضوع والذلة . واذ ذاك فقط ، يفلتان المسكين ، ليتخذ المكان المعين له ! .. وكانت الخمور تقدم للحضور ، وقد قضت التقاليد بأن لا بد من أن يعب الجميع منها عبا ، حتى يثملوا .. وما دام سيد القوم ثملا ، فلا بد للجميع من أن يكونوا سكارى !

تقاليد فى حفلات التتار

● **هكذا** كتب « كلافيجو » الذى أوفده ملك أسبانيا الى بلاط « تيمورلنك » يوما .. كانت المأدبة لا تعد ملائمة لعظمة السلطان ، الا اذا ثمل الضيوف ففقدوا كل سلطان على انفسهم .. وكان يوكل بكل ضيف ــ أو اثنين ، على الاكثر ــ عبد

يجثو أمامه ، وابريق الخمر فى يده .. **وكلما فرغت كأس الضيف ملأها من تلقاء نفسه ، ودون أن يصغى الى اعتراض أو اعتذار ، فانما كل واجبه هو أن يملأ ويعطى !**

ومن ناحية أخرى ، لم يكن للضيف أن يعتذر ، فان اعتذاره كان يعتبر اهانة للسلطان .. ولم يكن له أن يرفع الكأس الا بعد أن تمتلىء الى حافتها ، فليس من اللائق بمقام السلطان أن تكون الكأس ناقصة ! .. وكانت أباريق الخمر تملأ المكان ، ولكن أحدا من الضيوف لم يكن ليشهد ما فى جوفها من خمر ، وانما عليه أن يشرب فحسب .. كما كانت النساء والجوارى يرحن ويغدون ، ولكن أحدا لم يكن يجسر على أن يطـرف برمش عين نحوهن ! .. فقد كان الحراس يقفون وسـط الضيوف ، وسيوفهم مشهرة !

عارية الا من كبريائها

• وفى هـذا الاحتفال بالذات .. احتفال « تيمورلنك » بانتصاره على « بايزيد » ، وقفت على رأس النسـاء امرأة جامدة كأنها تمثال .. وجميلة كأنها تمثال ، أيضا ! .. **امرأة ملتفة العود ، ذات بشرة مرمرية ، وجمال وضاء متألق ، وعزة وكبرياء ، فكأنها ربة من الارباب . تلك كانت « ديسبينا » الزوجة الشرعية للملك المهزوم ، وقد سولت للملك المنتصر نفسه أن يأمر بسوقها الى الحفلة ، لتقف عارية أمام الجميع ، لا يزينها سوى رأس مرفوع فى شمم وأباء !**

وعندما أمرت بأن تتحرك أخيرا ، سـيقت الى عرش « تيمورلنك » ، فسارت فى خطوات متئدة ، مهيبة .. وقسرت على أن تبدى له الخضوع ، فأدته فى جلال ، وركعت — وهى عارية الا من كبريائها — عند قدمى السلطان .. وما أن أشرق جمالها فى السرادق ، حتى خفض الحضور كؤوسهم ، وأفاقوا من سكرهم ، واتجهت أبصارهم جميعا اليها ، رغم التقاليد .. عدا أبصار الحراس ، فقد اتجهت أبصارهم الى الاسد المغلول

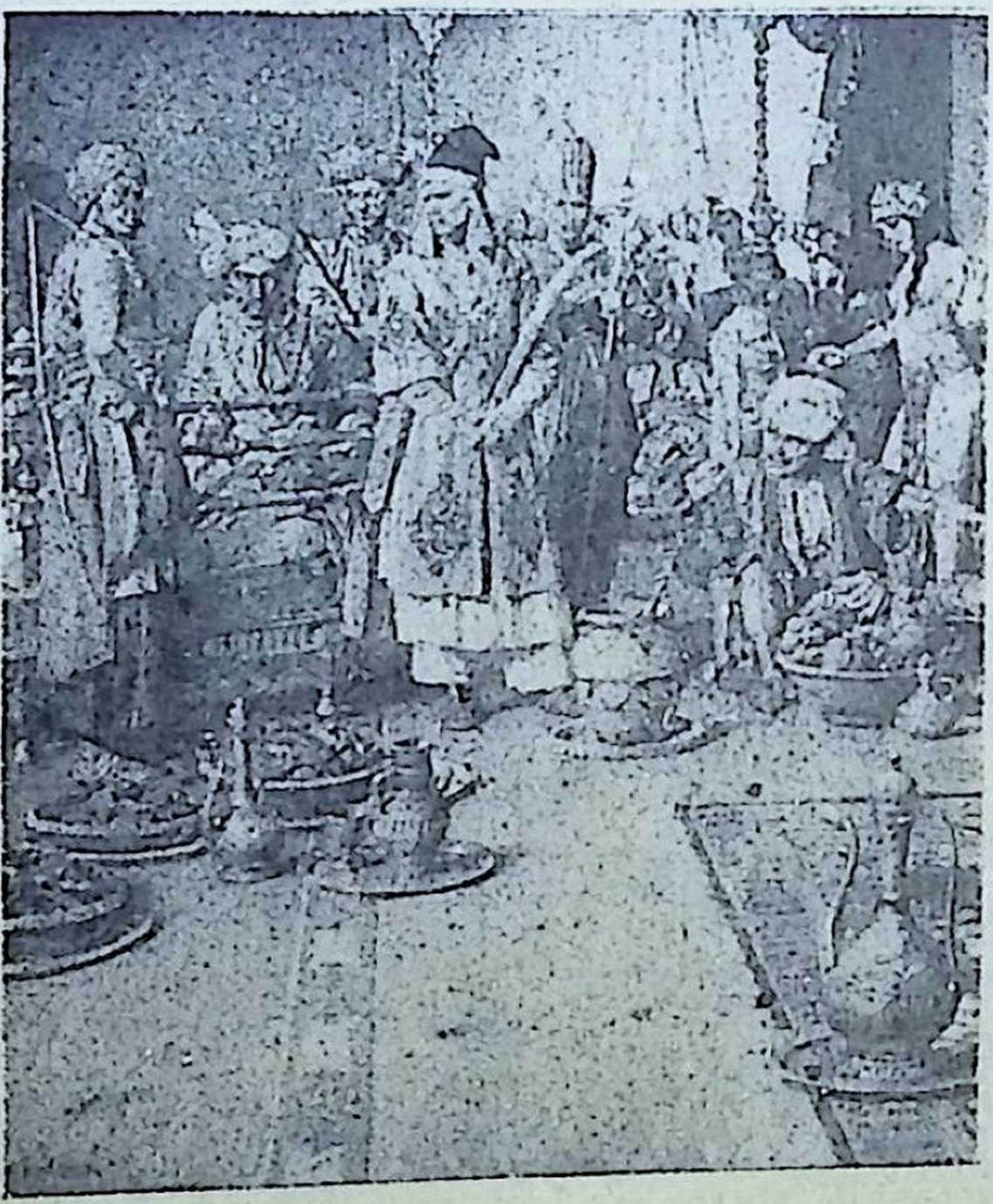

.. وكانت أباريق الخمر تملأ المكان .. والحراس يقفون وسيوفهم مشهرة .. (لوحة بريشة الفنان ماتانيا)

فوق المحفة ، خشية نقمته رغم أنه كان راسفا فى القيود !

ولكن الاسير لم يتحرك ، بل جمد فى مكانه .. وجمد بصره على « ديسبينا » وقد غامت على عينيه غشاوة — وجمد عقله ، فلم يعد يفكر أو يعى .. **جمود فى جمود ! .. فها هى ذى زوجته قد انتزعت من حمى « الحريم » — وكأنما انتزع قلبه من بين ضلوعه — وتعرضت لدنس نظرات طاغية زنيم ، تجرد من أبسط قواعد اللياقة الانسانية والمشاعر النبيلة !..**

وليت الامر اقتصر على هذا ، بل أن « ديسبينا » الحبيب تلوثت بأدران نظرات السكارى ، فى سرادق فاجر مأفون !

بيضاء فى اطار أسمر ؟!

• وفى غمرة الذهول ، تحركت يد « بايزيد » المغلولة . تبحث عن سيفه ، بحركة غير واعية .. ولكن السيف كان قد انتزع منه ! .. وتأججت فى فؤاده نار كاوية ، لاذعة ! .. اذن، فهذا هو الانتقام الذي أراده « تيمورلنك » ! .. انتقام لم يخل ـ رغم وضاعته ـ من نزوة ساخرة ، فلقد كانت سمرة البشرة هي طابع التتار ، وكانت « ديسبينا » بيضاء كالحليب .. فكأنما لذ للطاغية التتارى ان يضع هذا البياض الناصع ، فى اطار اسمر تكون من حاشيته وضيوفه !

وكانت هذه المفارقة الساخرة واضحة ، والا .. فلماذا أذن « تيمورلنك » لنساء حريم غريمه كلهن بأن يسقن الى بلاطه كاسيات فى أكمل لباس ، وترك هذه البيضاء وحدها عارية ؟ ! .. لا ، بل أمر بأن تظل عارية ، وتوعدها بأن يذبح أبناءها على مشهد منها ، حين تأبت وترددت ؟!

واضطرت أخيرا الى أن تضحي بحشمتها ، انقاذا لاولادها .. وهى تضحية ترددت فى اغاني البدو ، التى اطلقت على « ديسبينا » اسم « أيديسينا » !

ونقل « بايزيد » من السرادق محطمـــا ، فان « دانتى » ـ الشاعر الايطالى المجيد ـ لم يخطىء يوم قال : « ليس أشد أسى وحزنا ، من أن يتذكر المرء أيام سروره وأمجاده ، فى غمرة التعاسة والشقاء ! » .. وقد كان من أشق الوان العذاب على نفس « بايزيد » ، أن يتذكر زوجاته ، وأيام هنائه معهن ، والامجاد التى مكنته من الظفر بهن .. وهو يشــهد زوجته الجبيبة تتعرض عارية لادنس النظرات ، وهو مهيض الجانب ، معدوم الحيلة ، مقيد بالاغلال ، لا يملك أن يدرأ عنها ـ وعن نفسه وعرضه ـ الهوان !

تيمورلنك يصعد الى جواده على ظهر بايزيد

• على أن نهاية عذاب « بايزيد » لم تكن قد حانت بعد ، فقد أمعن الجبار الاعرج فى النكاية به ، حتى لقد جعل منه تكأة يصعد عليها بساقه العرجاء الى صهوة جواده .. على مشهد من أدنى الحراس مكانة !

وكان يحاول أن يجد عزاء ، فى تعليل النفس بأن أحد أبنائه الستة لن يلبث أن يعمل على تخليصه من أساره . ولكن هذا الامل كان يختلط بالقلق – كلما طال الانتظار – فيفرى فؤاده ، ويزيد من وطأة العذاب على نفسه ! .. ثم جاءت صدمة قاسية ، يوم أن علم أن «سليمان» – وهو أحد هؤلاء الستة ، لم يصن مجده ولا كرامته ، بل فر أمام « محمد » – حفيد تيمورلنك – فى جبن خسيس .. فر دون أن يصمد لحظة ، أو يوجه الى العدو ضربة واحدة ! .. بل الانكى من هذا ، أن أحدا من قومه لم يعترض التتار الهمجيين ، وهم يتخذون من مساجد الله حظائر لخيلهم !

ولم تقف المصائب عند هذا الحد ، بل أن « محمدا » احتل (بروسا) ، التى كان « بايزيد » يتخذها مقرا له . فما أن استقر بها التتارى ، حتى أسرع اليه اليهود يخطبون وده ، ويعرضون عليه ولاءهم ، ويشفعون لانفسهم لديه بأنهم يعبدون نفس الرب الذى يعبده المسلمون . وانتهز «محمد» الفرصة ، فأخذ عليهم المواثيق ، ووعدهم بأن لا يصابوا بضر أو أذى ! .. وما أن اطمأن التتارى الى ولائهم ، حتى دعاهم الى اجتماع فى معبدهم ، يحضره كافة أفراد الطائفة .. واذ اجتمعوا ، أغلقت أبواب المعبد فجأة ، وانهالت عليه قذائف اللهب، فحرق جميع من كانوا بداخله !

.. وأخيرا ، مات بايزيد

• **وكانت** هذه الانباء تحمل الى « بايزيد » أولا بأول ، حتى تشتد حسرته لما كان يصيب بلاده .. ولكم تفتتت كبده وهو يسمع بأراضيه تجتاح ، وبالخراب يستشرى فى ملكه ، وبالعرش ـ الذى كان يعتز به ـ ينهار ..

ووقعت (أزمير) ـ التى كانت بهجة أطماعه ـ فى أيدى التتار ، فأعملوا فيها التخريب .. وقطعوا رؤوس ألف من السكان ، عز عليهم الفرار ، أمام الاعصار الوحشي الجائح .. **وأقيم نصب لتخليد ذكرى الانتصار التتارى ، فاذا الجماجم تحل فى بنيانه محل الاحجار !!**

وفى (أفيسوس) ، استقبل جحافل الغزاة التتار ، موكب من أطفال المدينة ، خرجوا يرحبون بهم ، وينشدون لهم الاناشيد . فما أن سمعهم القائد التتارى ، حتى صاح : **« ما هذا الضجيج ؟ .. أي ظن أهل المدينة أنهم بهذا يفثأون غيظى وينفون نقمتى ؟ .. دوسوهم تحت سنابك الخيل ! »**

كل هذه الانباء ترامت الى أذنى « بايزيد » ، فكانت تحز فى قلبه وئيدا ، ولكنها لم تقتله .. ثم ساق اليه القدر أخيرا ـ وبعد ثمانية أشهر من الاسر ـ الصدمة التى قضت عليه .. ولا ندرى ، أكانت هذه رحمة من القدر أو نكاية ! .. **فقد نمى الى « بايزيد » أن ابنته قد زفت قسرا الى قائد تتارى يدعى « ينى ـ شير » ، فكان زواجا أقرب الى الاغتصاب !**

وهكذا مات « بايزيد » ، وهو فى الثامنة والاربعين من عمره .. وقيل انه مات بالسكتة القلبية ، ولكن .. أفكان قد تبقى لديه ـ بعد كل هذا ـ قلب ؟ !

أضواء على النهاية !

• **قبس** واحد من الشعور الانسانى ، يشرق على هذه

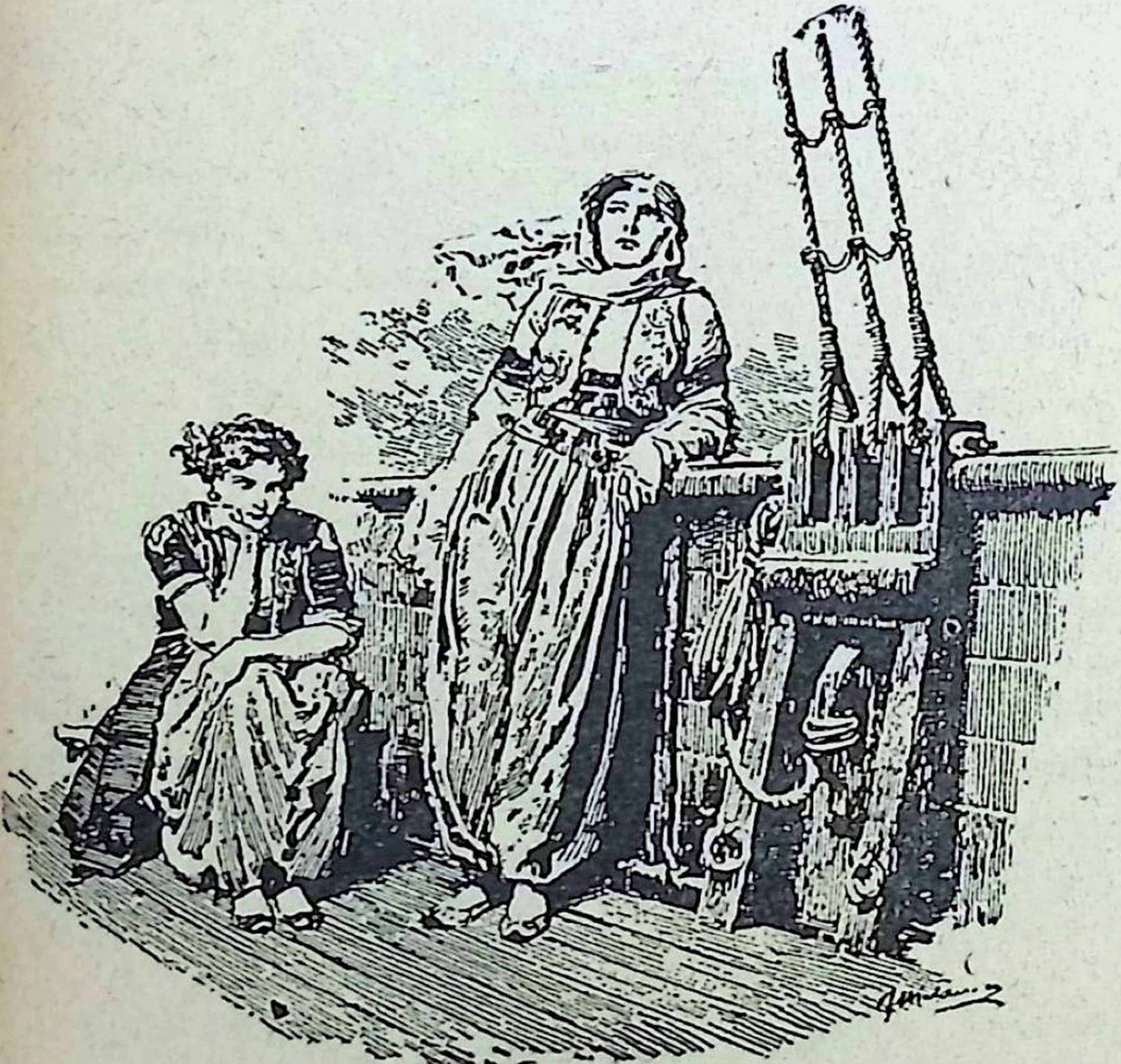

.. وقدر لماريا المجرية وانجلينا اليونانية ، أن ينعمن ببعض النور . اذ أرسلهما ((تيمورلنك)) - مع ما أرسل من هدايا - الى هنرى الثالث ملك أسبانيا .. (لوحة من رسم الفنان ماتانيا)

القصة ، فيبدد بعض ظلمات الحقد والنقمة والنكاية .. ذلك أن الطغاة التتار ، لم يشاءوا أن يحرموا زوجات ((بايزيد)) من أن يعرفن بالمصير الذى لقيه زوجهن .. وبقدر ما ابتهجن

الآنسة اللعوب !

أروع تحفة قصصية لمؤلف "افروديت"

الكاتب الفرنسي الكبير: بيير لوى

أدق أسرار طبيعة الانثى

◆ اشتهر الروائى الفرنسى الاشهر ((بيير لوى)) ، ببراعة فائقة فى التغلغل فى أعماق نفسية الانثى ، للكشف عن أدق أسرار طبيعتها وفطرتها . وقد كانت قصة ((أفروديت)) – التى قدمها لك ((كتابى)) ملخصة ، فى العدد (٣٣) – مثالا رائعا لهذه الموهبة البارعة ، التى أوتيها ((بيير لوى)) . وهو فى القصة التى نلخصها لك فيما يلى ، يرقى بها الى درجة النبوغ . فقد اختار بطلة لقصته فتاة أسبانية عذراء ، أوتيت من الدهاء ما لم تؤته الغانيات اللائى يحملن فى صدورهن وعقولهن تجارب أعوام طويلة ..

على اننى لن أكشف لك غوامض القصة ، حتى لا تفقد بهاءها .. فلأدعك لتقرأها وتستمتع بها !

لا ينفض عيد المرافع (الكرنفال) – فى أسبانيا – فى يو « أربعاء الرماد » ، وانما هو يستأنف بعد أربعة أيام ، فى يو الاحد السابق على الصيام الكبير . فاذا (أشبيلية) تموج بالناس ، وقداستبدلوا بثيابهم أسمالا حمراء وزرقاء وصفراء اتخذوها من أقمشة الستائر وشباك البعوض (الكلات البالية .. ويؤلف الصبية فرقا يصارع بعضها بعضا .. وتزدحم النوافذ بالفتيات ذوات الشعور السوداء الغزيرة وقد أقبلن من كل حدب على المدينة ، والمراوح تروح وتجئ أمام وجوههن استرواحا للنسمات .. ويسود الهرج والضحك طرق المدينة الضيقة !

وفى يوم أحد كهذا – الثالث والعشرين من فبراير سنة ١٨٩٦ – راح ((أندريه ستيفنول)) يرقب دنو نهاية (الكارنفال) فى أشبيلية ، فى شىء من الاستياء ، اذ أن هذا الاسبوع الحافل بالغرام – بطبيعته – لم يتح له مغامرة جديدة ، وهو الذى أرته زياراته العديدة لاسبانيا ، كيف تعقد الروابط بين القلوب

وتفك بسرعة ، فى هذه البـلاد التى لم تزل بكرا .. ومن ثم بدا له يوم الاحد هذا ـ بوجه خاص ـ خاويا بدرجة عجب لهـــا !

ودقت عشرون ساعة فى المدينة ، مؤذنة بالرابعة بعدالظهر، فيمم « أندريه » صوب طريق (لاس ديليشياس) المحفوفة بالاشجار الوارفة ، على الضفة اليسرى لنهر (الجواد الكبير) الملىء بالسفن . وكان (الكرنفـال) قـد بلغ أوجـه ، فراح « أندريه ستيفنول » يشق طريقه بعناء ، وسـط النـاس والعربات ، وقد تعالت أصوات الباعة ـ من الصبية ـ ينادون عارضين البيض الذى تكدس فى سلال ، وقـد افرغ من المح والزلال ، وحشى بالورق الرفيـع ، ليتراشـق به السـادة والسيدات . فقد كانت تلك معركة البيض . وكان «أندريه» قد ملأ جيوبه بهذه القذائف غير المؤذية ، فشرع يقذفها بشدة بالغة ، حتى لقد كسر باحدى قذائفه مروحة رقيقة من لحاء السلحفاة ..

وكانت العـربات تمر محملة بالنساء ، وبالعشـاق ، وبالاسرات .. وكثيرا ما وقعت عيناه على عيون رائعـة ، فان بنات (اشبيلية) لا يغضضن أبصارهن ، بل يتقبلن تحيات العيون التى يبدو انهن يجتذبنها الى عيونهن اجتذابا !.. وان هى الا سـاعة ، حتى بدأ « أندريه » يفكر فى الانسحاب .

وفيما كانت يده تقلب آخر بيضة بقيت فى جيبه ، لمح الشابة التى كسر مروحتها تبرز فجأة .. وكانت رائعـة الجمال ، وقد وقفت فى عربتها تخوض المعـركة متهدجة الانفاس ، محمرة الوجه ، عارية الرأس ، بادية الطرب .

وكانت تبدو فى الثانية والعشرين ، وان كانت ـ فى الحق ـ فى الثامنة عشرة . وما كان من شك فى أنها أندلسية .. كانت من ذلك الصنف الذى يحظى بالاعجاب بين الجميع ، والذى ينبت من مزاج الدم العربى بدم « الفاندال » ، وابنـاء سـام

بأبناء الجرمان ، فيحشد فى واد صغير من وديان أوربا ، ك
ألوان الكمال المتناقضـــة لدى العنصرين ! .. وكأنما ك
جسدها اللدن يفصح عن كل انفعـــال عاطفى ، حتى ليخ
المرء أن بوسعه أن يستشف أفكارها ، ولو حجب وجهها ..
وحتى ليذهله أن يخال أنها تبتسم بساقيها كما تتكلم بخصره
.. وكانت جدائل شعرها مسترسلة ، غزيرة . أما وجنتاه
البالغتا النعومة ، فقد لاحتا وكأنهما اصطبغتا بالزهر الاحمر،
فى حين كانت جفونها مكحولة بالفطرة !

وسعى « أندريه » حتى سلم عربتها ، واخذ يحدق بامعان
فى وجهها ، وقد حدثه وجيب قلبه بأن هذه المرأة توشك أن
تلعب دورا فى حياته . **فتراجع وسط الزحام ما استطاع
وأخرج من جيبه البيضة الاخيرة ، وكتب عليها بالرصاص
كلمة واحدة ، هى من أعجب الافعال فى اللغة الاسبانية ، اذ
أنهـــا تعنى « أريد » ، و « اشتهى » و « أحب » ، فى آن
واحد !.. وهى تتشكل حسب لهجة القـائل ، فهى اما أمر
واما رجاء .. وتريث حتى حانت من الحسناء نظرة اليـه ،
فألقى اليها البيضة فى رفق ، فتلقفتها** . وكأنما حدست أنها
تشتمل علىّ رسالة ، فدستها فى حقيبة حريرية صغيرة ..
وفى تلك الاثناء ، اندفع تيار الناس والمركبـات ، فحملهـا
سريعا ، وغابت عن عينى « أندريه » .

وسار الهوينا محزونا ، ساخطا على الحظ الذى قطع عليه
هذه المغامرة ، وقد داخله اليأس من أن يعثر على تلك المرأة
فى (اشبيلية) المزدحمة الصاخبة .. ومن أدراه أنها تقيم فى
(اشبيلية) ؟ .. وراح طيفها يتراءى له ، وقسماتها تتمثل
لعينيه ، فتزيد من لوعته . وفيما هو مستغرق فى أفكاره ،
سمع حوذيا يدعو لافساح الطريق بصوت خشن ، فلجأ الى
باب بيت مفتوح . واذ ذاك مرت عربة كانت الشابة فيها .
فما ان لمحته حتى القت اليه بيضة ــ كانت فى يدها ــ بنفس

الرفق الذى كان قد ألقى به بيضته .. وقبل أن يفيق من ذهوله ، كانت العربة قد اختفت .. وكانت كلمة « أريدك » لا تزال مقروءة ، فلم يكتب الى جوارها شيء ، ولكن أثرا من سن دبوس بدا عند نهاية الحرف الاخير ، وكأنما كانت الشابة تجيب عن الرسالة بالكلمة ذاتها !

* * *

وجرى « أندريه » فى أثر العربة ملهـوفا ، فلحق بها فى اللحظة التى دلفت فيها ببطء الى ظلال منزل أحمر ، فى ساحة النصر (بلازا ديل ترينفو) . وانفتحت أبواب الدار الحديدية ، ثم أغلقت على شبح أنثى ولجت مسرعة .. ولم يستطع « أندريه » أن يحمل نفسه على مبارحة المكان دون أن يعرف شيئا عنها ، فدق جرس الدار فى أقدام ، واذا بشاب — فى زى رئيس الخدم — يبدو خلف قضبان الباب ، ويسـأله بغيته ، حتى اذا ادرك أنه لم يكن على معـرفة بأهل الدار انحنى ، ورفع ذراعيه اشارة الى أنه كان يطلب مستحيلا ، ثم ابتعد دون أن يفتح الباب أو يتناول البطاقة .. وفى وقدة الغيظ ، دق « أندريه » الجرس مرة ثانية ، فثالثة ، على أمل أن تفطن السيدة الى الرنين . وما تذكر أن (الكرنفـال) الاسبانى لا يبيح سوى حريات عابرة ، لا سبيل الى امتدادها الى الحياة العادية بنفس الرضى والقبول . ومن ثم فقـد ظل البـاب مغلقا ، والبيت ساكنا وكأنه مهجـور ! .. وراح « أندريه » يتمشى أمام النوافذ والشرفات ، ولكنه لم يحظ بلمحة من الوجه المرتقب . وسأل بائع كبريت — فى ركن من ظلال الدار — فلما شعر الرجل بقطعة النقود التى دسها فى يده ، أجاب بعد أن كان يتجاهل : « ما ينبغى ان أخبرك ، خشية أن اغضب السيدة .. على أننى لن اذكرها بسوء ، بل سأذكر اسمها فحسب .. انها السيدة « دونا

كونشيبسيون بيريز » ، زوجة دون مانديل جارسيا »
— وهل زوجها يقيم فى أشبيلية ؟
— لا .. انه فى بوليفيا .. بلد فى أمريكا

وعاد « أندريه » الى فندقه ، وهو غير مطمئن البال يوجس من أن لا يلقى حظا فى السعى الى غايته ، برغم غياب الزوج .. وخيل اليه أن تحفظ بائع الكبريت ، كان يشى بوجود عاشق آخر .. وما كان تصرف رئيس الخدم ليكذب هذا الشك . ولم يكن قد بقى على عودة « أندريه » الى (باريس) سوى أحد عشر يوما ، فهل تكون كافية ليظفر بحظوة لدى هذه الشابة ؟

وفيما كان يلج الفندق — وهو سارح فى هذه الهواجس — أسلمه البواب خطابا لا يحمل عنوانا . فأسرع أندريه يفضه ، واذا فيه هذه السطور البسيطة ، كتبت على بطاقة زرقاء :

« **مرجو من دون أندريه ستيفنول ألا يحدث كثير ضجة ، وان لا يدلى باسمه أو يسأل عن اسمى . واذا قدر له أن يتمشى فى الساعة الثالثة — غدا — فى طريق (امبالم) ، فستمر به عربة ، وربما توقفت عن السير** » !

وشعر بالحياة تبتسم له .. وسيطر عليه طيف اللذائذ المرتقبة ، فراح يبحث عن مصغرات لاسم المرأة كى يدللها بها : « كونشيبسيون .. كونشا ، كونشيتا ، شيتا » !

★ ★ ★

استيقظ « أندريه » — فى الصباح التالى — على يوم مشرف .. أبدا ما تذكر أنه استيقظ يوما على صباح بهيج كهذا ، فبسط ذراعيه ، ثم ضمهما الى صدره ، وكأنه يصور لنفسه العناق المرتقب .. ثم خرج يسير على غير هدى ، فاذا قدماه تحملانه عفوا الى ميدان النصر .. ولكنه تذكر ما أوصته به من احتياط ، ولعله خشى أن يغضب « خليلته ! » اذا مر أمام

بابها ، أو لعله لم يشأ أن يبدو ملهوفا . فسار على الرصيف الآخر ، دون أن يلتفت الى يساره ، حتى بلغ متنزها كانت بقايا معركة (الكرنفال) لا تزال تكسو أرضه . واذا به يلتقى بدون « ماتيو » ، الذى كان قد حمل توصية اليه ، فى أول مرة زار فيها أسبانيا .

وكان « دون ماتيو دياز » أسبانيا فى حوالى الاربعين من عمره ، مثقفا ، حالت ثروته الهائلة دون أن يمارس حياة حافلة بالعمل ، **وقد أشتهر ـ بوجه خاص ـ بالغموض الذى اكتنف مخدعه ، والذى عرف بكرم مثواه .. لذلك كانت دهشة « أندريه » بالغة ، اذ سمع من دون ماتيو أنه نبذ العبث والبذخ !**

وسارا جنبا الى جنب ، على ضفة النهر ، فلم يكف « دون ماتيو » عن التشدق بعظمة (الجواد الكبير) . ثم تحول ينعى أمجاد أسبانيا البائدة ، وما لبث أن التفت الى أندريه قائلا . « آمل أن تأتى فتتناول الغداء معى .. واذا سمحت لى ، فسأستبقيك الى المساء ، لاريك خيلى ! » . فأجاب أندريه : « سأقبل الغداء ، دون النزهة ، فانى الليلة على موعد لا أستطيع أن أخلفه ! »

ـ امرأة ؟ .. لا تخف ، فلن أوجه اية أسئلة ! .. ولكن ، حذار من النساء ! .. لست أدعوك الى الفرار منهن ، لاننى عشت معهن ، ولو أن حياتى بدأت من جديد ، لكانت الساعات التى قضيتها معهن من الساعات التى يسرنى أن أستردها !

ولم يكد « أندريه » يستوعب نصف حديث « دون ماتيو » أثناء الغداء ، اذ كان مستغرقا فى أفكاره . وكان وجيب قلبه يشتد كلما اقترب الموعد .. وكان على استعداد لان يضحى بكل شىء فى سبيل أن يدفع عقرب الساعة خمسين دقيقة الى الامام .. حتى اذا أشتد به الاضطراب ، وضاق بالصمت ، قال : « لقد كنت دائما جميل النصح لى يا دون ماتيو ، فهل

تسمح لى أن أفضى اليك بسر ، لاسألك المشورة ؟ » . فلما وجد من الاسبانى قبولا ، قال له : « أتعرف حسناء من أشبيلية تدعى دونا كونشيبسيون جارسيا ؟ »

وأجفل ماتيو ، وردد الاسم مرارا ، ثم قال : « الا قل لى بالله ، أهى « بيريز » ؟ .. كونشا بيريز ؟ » .. وحار أندريه فى هذا الانفعال الفجائى ، فآثر أن يتحفظ قليلا ، واكتفى بأن قال : « أجل » . فعاد الآخر يقول : « كونشيبسيون بيريز دى جارسيا ، ٢٢ ميدان النصر ، فى الثامنة عشرة من العمر ، ذات شعر فاحم ، وفم .. » . وقاطعه أندريه قائلا : « اجل .. فمن هى ؟ » . فأصر الآخر قائلا : « بل ما الذى تعرفه انت عنها ؟ »

ـ لقد قابلتها بالامس لاول مرة ، ولم أسمع بعد صوتها !

ـ **اذن ففى الوقت متسع ! .. انها امرأة تعتبر شريفة ، اذ ليس لها أكثر من أربعة أو خمسة عشاق ، وهذه عفة فى أيامنا ! .. وهى ذات ذكاء فذ .. فذ ! كما أن معرفتها بالحياة من أعلى طراز ، ثم أنها ذات رقص لا تقاوم فتنته ، وهى تجيد الكلام اجادتها الرقص ، وتحذق الغناء حذقها الكلام !**

وراح أندريه يحملق فيه صامتا ، فأمسك الرجل بكميه ، واخذ يهزهما مع كل كلمة قائلا : « ثم أنها أسوأ النساء .. أتفهمنى ؟ .. أسوأ نساء الارض . ولن يغفر الله لها ! » . فنهض أندريه قائلا : « ومع ذلك فليس لى أن لا أقبل موعدا ضربته لى ! » . ولكن دون ماتيو استبقه الى الباب وهتف : « أستحلفك أن تنصت الى ! .. دعنى أكلمك حديث رجل لرجل .. حديث رجل يستوقف عابر سبيل ليحذره من خطر جسيم ، فأهيب بك أن لا تقدم ، بل تراجع ، وانس هذه المرأة ، اذا شئت أن تعرف الطمأنينة ، والليالى الوادعة ، والحياة الخالية من الهموم .. اذا لم تشأ أن يأتى يوم تقارن

فيه ماضيك بمستقبلك كشطرين أولهما فرح والآخر حزن ، فلا تقرب كونشيبسيون بيريز . اهرب منها هربك من الموت . دعنى أنقذك منها ! »

وما لبث أن غير لهجته وسحنته وقال : « على المرء أن لا يفى بأول موعد تضربه له امرأة يا سيدى .. لأنها لن تأتى ! » .. وبهت « أندريه » لحرارة صاحبه والحافه ، فمال الى أن يعرف ما كان لديه من حجج .. وجلسا يدخنان فى صمت ، ثم قال ماتيو بصوت خفيض : « والآن ، سأروى لك نبأها ! »

★ ★ ★

قال ماتيو : « منذ سنوات ثلاث ، لم يكن الشيب قد دب فى شعرى ، وكنت أخالنى فى الثانية والعشرين ، مع اننى كنت فى السابعة والثلاثين . وما كان بوسع امرىء أن يقنعنى بأن شبابى أشرف على نهايته . ولقد قيل لك أننى كنت زير نساء ، وهذا ظلم ، فقد كنت أبجل الحب الى الدرجة التى تقينى أن أغشى بيوت الفسق ، وما قاربت امرأة لم أهم بها حبا ، حتى أنك لتندهش اذا تبينت قلة عدد عشيقاتى ..

« ولقد عرفت كونشا بيريز منذ ثلاث سنوات ونصف السنة ، فى فصل الشتاء .. كنت عائدا من فرنسا فى ٢٨ ديسمبر ، والبرد قارس فى القطار السريع ، والجليد يتراكم فيسد طريق القطار ، ويضطره الى الوقوف – بين آن وآخر – ريثما يخلى العمال له السبيل . وقضينا الليل والقطار يسير بنا وسط الاخطار المحدقة – من جراء الثلوج – والصمت الرهيب يخيم علينا .. حتى اذا كان اليوم التالى ، وقف بنا القطار فى (آفيلا) . وعلمت انه لن يتحرك قبل اربعة أيام . فأمرت بنقل متاعى الى نزل بتلك البلدة الشبيهة بالمنفى . ولكن اقامتى لم تدم لاكثر من أربعين ساعة ، ثم

وجدتني اجرى متعثرا على الجليد ، لالحق بالقطار ، اذ رؤى ـ فجأة ـ أن يستأنف رحلته .. وما أن ضمتني المقصورة ثانية مع اربعة من الانجليز استسلموا للنعاس ، حتى ضقت بالوحدة ، فتركت حقيبتى ، وحملت « بطانيتى » ، وانتقلت الى مركبة الدرجة الثالثة ، التى كانت حافلة بالنساء الاسبانيات .. وكانت مقسمة الى أربع مقصورات ، بحواجز لا تعلو على مرفق المرء ، وقد ضمت الى جانب النسوة ملاحين ، وثلاثة من الطلبة ، وراقصة نورية ، وشرطيا .. وراحوا يتكلمون جميعا فى وقت واحد ، وبأصوات رفيعة حادة !

« وفجأة ، وقف القطار من جديد ، وقد سد الجليد طريقه من امام ومن خلف .. ولما إكتشف الركاب أن القطار محاصر ، تحولوا الى الراقصة ، وما زالوا بها حتى قامت ترقص .. وسرعان ما نسينا البرد والليل . وفى غمرة الضجيج المرح ، لمحت فتاة صغيرة تغنى فى الركن المقابل لى .. وكانت ترتدى ثوبا أحمر ـ جعلنى أوقن من أنها اندلسية ـ وقد اختفى كتفاها وصدرها الصغير تحت دثار (شال) أصفر اللون ، والتف حول وجهها منديل أبيض اتقاء للبرد . وكان كل امرىء من الحضور قد عرف أنها نشأت فى مدرسة سان جوزيه ، فى آفيلا .. وانها كانت فى طريقها الى (مدريد) ـ حيث كانت أمها ـ وانها كانت بلا صديق أو خليل ، وأن اسمها « كونشيبسيون بيريز » . وكان صوتها عجيبا ينفذ الى القلب ، كما كانت تجيد اختيار الاراجيز والرباعيات العاطفية المثيرة . ولامر ما ، اختارت الفتاة أغنية اغتاظت لها الراقصة الغجرية ، فسرعان ما تشاتمتا .. ولم ترهب الصغيرة الموقف ، بل صمدت له ، حتى اذا صاحت فيها الراقصة : « يا بنت ! » ، صاحت وهى تضرب على ثدييها الصغيرين : « بل انا امرأة ! » .. واذ ذاك تماسكتا ، فلم أجد بدا من أن أفرق بينهما . وتقدم الشرطى فصفع « كونشا »

فى خشونة رعناء ، وجرها الى مقصورة أخرى من المركبة

« وما لبث القطار أن عاود سيره ، وقد ركن القوم الى النوم . وبقيت وحدى أرقب القمر الزاهى ، والكون الذى غمرته الثلوج .. واذا طيف المغنية الصغيرة يهفو بخاطرى ، فملت على حاجز المقصورة التى كنت فيها .. ووجدتها خلف الحاجز - على قيد ذراع منى - نائمة وقد انفرجت شفتاها ، وانعقدت ذراعاها تحت الدثار ، ومال رأسها على كتف جارتها ! .. **وكانت أهدابها طويلة جدا ، وأنفها دقيقا لامعا ، وقد سقط الظل على شفتيها .. وظللت حتى انفجر أهفو الى ذلك الفم العجيب ، الذى جمع بين براءة الطفولة ووقدة الحساسية ، حتى عز على أن أدرى أكانت - فى حلمها - تمد شفتيها الى حلمة ثدى المرضعة ، أم الى شفتى الحبيب !**

« وعندما بلغنا غايتنا أخيرا ، ساعدتها على انزال متاعها ، وكان ست لفافات . ورغبت فى أن أحملها عنها فأبت ، ووزعتها على أبطيها ويديها ، ثم أسرعت منصرفة .. وغابت عن ناظرى ! .. وما لبثت أن نسيتها فى زحمة الاعمال !

* * *

« **وفى** أثناء الصيف ، صادفتها فجأة فى (أشبيلية) .. كنت قد نفضت يدى من غرام ، فضقت بوحدتى فى دارى ، ورحت أهيم بعيدا عنه من الصباح حتى المساء .. وبعد ظهر ذات يوم ، وجدتنى أدخل مصنع التبغ .. وكانت القاعة الطويلة التى تضم العاملات أشبه بالصحراء فى جوها ، حتى انهن كن عاريات تقريبا الى خصورهن .. **وكن خليطا عجيبا من عجائز وفتيات ، سمينات ونحيلات ، حبالى ومرضعات .. كان هذا الحشد العارى يضم كل نوع الا العذارى .. ربما !**

« وسرت خلال صفوفهن ، أتأملهن يمنة ويسرة ، ومنهن من تسألنى صدقة ، ومنهن من كانت ترمينى بفاحش ،

الفكاهات ، وهن يرفقن كلماتهن بحركات واشارات نابية . ولم اكن اجيبهن بشيء ، وانما رحت أرمقهن في عريهن بفضول، وأيديهن النشيطة تلف مالا حصر له من أوراق التبغ بسرعة . وتوقفت اكثر من مرة أمام نماذج رائعة الجمال من الجسد الانثوى ، لا يرى المرء لها مثيلا فى غير أسبانيا . حتى اذا هممت بأن ابرح المكان ، سمعت بالقرب منى صوتا خفيضا ماكرا يقول : « اذا أعطيتنى درهما — أيها الفارس — غنيت لك أغنية صغيرة ! » . **وذهلت اذ عرفت فيها « كونشا » ، وقد ارتدت ثوبا كسا كل جسمها فيما عدا العنق ، وراحت تسوى بعض زهيرات الرمان فى شعرها الاسود الغزير**

« وسألتها كيف جاءت الى هذا المكان ، وكيف تركت المدرسة التى كانت تتعلم بها فى (آفيلا) ، فقالت : « ان الفتيات حين يعدن اليها من الباب ، يغادرنها من النافذة .. وأنا لم أعد اليها خشية أن أرتكب خطيئة ! » .. وارتجفت حين علمت أنها كانت تقيم مع أمها ، فان العاشق قد يكون وقاء للفتاة الاسبانية ، أما الام فهى مصدر ضياعها ! ..

« والقيت اليها بقطعة ذهبية ، ثم غادرتها بعد أن عركت اذنها فى رفق .. وفى شباب السعداء لحظة يقلب لهم الحظ فيها ظهر المجن . وكأنما كانت القطعة الذهبية هى النرد الذى سجل خسارتى فى مقامرتى مع الحظ ، فما أن غادرت المكان ، حتى لحقت بى « كونشا » مهرعة ، وكررت شكرها لى بصوت زاخر بالمعانى .. كانت القطعة الذهبية تعادل أجر شهر كامل ! .. وقالت : « هيا رافقنى الى أمى ، فأنت صديقى .. لقد كنت لطيفا معى ، ولكنك ابيت أن تسمع أغنيتى ، ولذلك فسأعاقبك ، واقضى عليك بأن تغنى لى هذه الاغنية » . ومالت على أذنى تردد :

« هل من يسمعنا ؟ .. لا ! أفأنبئك اذن ؟ .. أجل !
« ألك عشيق آخر ؟ .. لا ! أفتريديننى عشيقا ؟ ..

« أجـل !

« وأردفت قائلة : « هكذا الاغنية ، وليس هذا جـوابى طبعا ! » . فسألتها : « أفهذا لانك لا تحبيننى .. أم لان لك صاحبا ؟ » .. وأسرعت تجيب : « لا ، ليس لى أحـد .. وانى لاراك فاتنا ! »

ـ اذن فلماذا لا يكون الجواب الذى فى الاغنية جوابك ؟

ـ اننى تقية جدا ، أيها الفارس ، وان لم أنذر نفسى لله .. ثم اننى .. عذراء !

« قالت هذا فى رزانة جعلتنى اقف فأسائل نفسى عما كان يدور فى رأس هذه الصبية الشـديدة التمرد ، الشـديدة الاثارة ! .. ولم يسعفنى فكرى برأى ، ولكننى أيقنت من أنها كانت تروق لى ، واننى كنت فى نشوة اذ عثرت عليها ثانية !

★ ★ ★

« ولم يكن البيت مما تطمئن اليه النفس ، حتى لقد رابنى أمر الفتاة .. ولكنى لم أشأ أن إتسرع فى الحكم ، بل تبعتهـا الى الطابق الاعلى ، فدقت الباب ثلاثا ، ثم فتحته دون عناء ، وصاحت : « أماه ! .. لقد أحضرت صـديقا ! » .. وكانت الام سمراء ، مغضنة الوجه ، راحت تفحصنى بنظراتها فى غير اطمئنان . ولكن مسلك الصبية أثبت لى أنها صاحبةالسلطان فى البيت .. وما أن رأت المرأة القطعة الذهبية فى يد ابنتها حتى عقدت يديها على صدرها ، وهتفت : « يا الهى ! .. من اين لك هذا ؟ »

« ورويت لها بسرعة لقاءنا فى القطار ، ثم فى مصنع التبغ . وما لبثت أن حولت مجرى الحديث الى حياتهما الشخصية ، فعلمت أن الام كانت أرملة مهندس لقى مصرعه قتيلا ، وخلفها بلا مورد للرزق .. قصة كثيرا ما سمعتها ـ ان صـدقا أو كذبا ـ وهى تنتهى عادة بالبكاء والاسى ! .. وراحت المرأة

تقول : ((ما أشد ما تتعرض له امرأتان وحيدتان ! .. آه ، أيها الفارس ، ان أسباب الغواية لا تعوز أولئك الذين يصغون اليها . وكان بوسعنا أن نغدو من الأغنياء ، لو أننا اتبعنا سبل السوء .. ولكن الخطيئة لم تزرنا ليلة واحدة ، وانا لنثق بالله الذى يعرف المتوكلين عليه !))

((وكانت ((كونشيتا)) قد فرغت – فى هذه الاثناء – من التزين امام مرآة معلقة الى الجدار ، وأخذت تبتسم فى رضى . بينما استطردت الام : ((آه ، ما أشد همى حين اراها تنصرف الى المصنع فى كل صباح ! .. أى سوء هناك ! .. ان أولئك الفتيات لم يؤتين شيئا من حمرة الخجل فى خدودهن .. ولو أن كونشا استمعت اليهن ، لما رأيتها بعد ذلك ! .. ان نصائح النساء أشد افسادا للفتيات من نظرات الرجال !.. اننى لا أحب أن تكون لكونشا صديقة – صغيرة كانت أو كبيرة – فما بالك وفى المصنع خمسة آلاف !))

((فقلت : ((اذن ، فلا تدعيها تعود اليه)) . ووضعت على المنضدة ورقتين ماليتين ، فاذا صيحات ، ودموع .. ثم هزت العجوز راسها ، وقالت ان لا مناص هناك من أن تعود كونشا الى المصنع ، لان المبلغ كان كفيلا بأن يسدد بعض ديونهم فحسب . فضاعفته ، ثم انصرفت متكتما عواطفى

((وفى الساعة العاشرة من الصباح التالى ، كنت هناك ؛ فاذا الام قد خرجت تتسوق .. وراحت كونشا تضحك ، ثم قالت : ((اننى مضطرة الى أن أبدو متحشمة أمام أمى . ولا تحسبن هذا راجعا الى تربيتى ، فقد ربيت نفسى بنفسى لحسن حظى ، اذ أن أمى ما كانت لتصلح لان تربينى .. اننى شريفة ، وانها لتزهو بنفسها لذلك ، ولكنها ما كانت تملك سوى أن تعجب بى ، لو أننى اطللت من النافذة وناديت المارة .. اننى أفعل ما يحلو لى ، فليست هى التى تكبحنى ، بالرغم مما قالت لك !))

ــ اذن ، فأنت التى يجب أن يتحدث اليهـا المعجب اذا ما أراد أن يكون خطيبا ؟

« وفجأة ، جلست على ركبتى ، وأحاطت كتفى بذراعيها .. وبحركة غريزية ، طوقتها بذراعى ، وجذبت رأسها الحبيب ، فحدست ما أريد ، وألصقت فمها بفمى فى عنف ، وهى تحدق فى أغوار عينى .. هكذا عهدتها دائمـا ، نزقة ، يتعـذر فهمها ! .. وشددتها نحوى ، فلان غصنها ، وشعرت بحرارة سـاقيها تسرى الى . ثم نهضت وقالت : « لا ، لا .. انصرف ! » . فاحتويتها بين ذراعى ، ولكنها تملصت منى ، وهى تقول : « **لا تمسنى والا صرخت .. واذ ذاك لن يقدر لنا أن نلتقى ثانية ! .. انما أعانقك لاننى أحبك ، أما أنت .. فليس لك أن تعانقنى ما لم تحبنى !** »

ــ وهل تتصورين اننى لا أحبك يا صبية ؟

ــ لا .. اننى أروق لك كملهـاة وتسلية ، ولكننى لست الوحيدة فى حياتك ، فما أكثر الحسان فى (أشبيلية) .. اما أنا ، فلن اقبل ان اشترى كما لو كنت دمية فى السوق !

« وما لبثت أمها أن أقبلت ، فبارحتهما بعـد ساعة وأنا منفعل ، مهتاج ، لا أحسب اننى سأرى الفتاة ثانية .. ولكننى ــ للأسف ! ــ عدت اليها ، ليس مرة وانما عشرين مرة . فقد انسقت للهوى انسياق الشاب الغرير ، حتى أصبحت أقضى سحابة يومى مع الام وابنتها ، وأصبحت أمدهما بنفقـات العيش ، وأسد ديونهما ، مما كلفنى كثيرا دون أن أفطن .. ولكن ، هل من رجل لا يستريب اذ أوجد طريقه سهلة الى دار فتاة ؟ .. غير اننى لم اجد ما يدعو الى الشك ، فقد كنت

الج الدار فى اى وقت ، على غير ترقب .. وكنت كثيرا ما اجد الام فى الخارج ، فتدعونى الى أن اجلس بجوارها على سريرها، ونستغرق فى الحديث .. ابدا لم استطع ان اسبر غورها!
.. لقد رأيت المراكشيات فى طنجة ، محجبات لا تبدو منهن سوى عيونهن ، ولكن هذه كانت كافية لان استشف نفوسهن. اما كونشا ، فلم تخف عنى شيئا ، ولكنى كنت اشعر بأن ثمة سياجا بينى وبينها! .. ومع ذلك ، فان عينيها كانتا تومضان ـ كلما دخلت غرفتها ـ ببريق لا اصطناع فيه! ..
وكان يبدو أنها تحبنى ، ولعلها احبتنى ، فليس بوسعى ـ حتى الآن ـ أن أجزم ، ولكنها كانت تجيب على ضراعاتى دائما بعبارة لم أستطع ان أتغلب عليها مرة : ((فيما بعد !)) . وكنت أهددها بالانفصال عنها ، فتقول : ((اذهب !)) . وكنت أنذرها بالعنف ، فتقول : ((لن تستطيع أبدا)) . وكنت أغمرها بالهدايا ، فتتقبلها ، ولكنها كانت تقف فى عرفانها بالجميل عند حدود محدودة دائما !
((وبعد اثنى عشر اسبوعا ـ غمرتها خلالها بكل رعاية ـ الفيت أن ابتسامتها المبشرة بالامل ، وصدودها ومقاومتها .. هى هى ؛ لم تتغير . وفى ذات يوم ، فاض بى الوجد ، ولم اعد احتمل ، فانتحيت بالعجوز جانبا ، وقلت لها اننى لم اعد اتقبل العلاقات الراهنة ، واننى مصر على أن ارتبط بابنتها بحب شامل .. ثم نفحتها بمبلغ كبير لتقنع الفتاة! .. ولم استطع ان انام فى ليلتى تلك . وفى الصباح ، تلقيت رسالة لا ازال احفظها عن ظهر قلب :
((لو أنك كنت قد أحببتنى ، لانتظرت حتى آتيك بنفسى جهارا . ولكنك آثرت أن تعاملنى كامرأة غير شريفة . لذلك فلن ترانى ثانية ـ كونشيتا))
((وبعد دقيقتين ، كنت انطلق على صهوة جوادى الى دارها ، فاذا مسكنها خاو .. اذ رحلت مع امها !

* * *

« وانقضى الخريف ، وأوشك الشتاء ان يلحق به ، ووجهها لا يبارح مخيلتى .. عبثا حاولت أن انساها ، أو أن أشغل بسواها .. ولم أكن اذكر لها علاقة واحدة ، او رباطا واحدا ، او متعة واحدة تسرى عنى اللوعة . ومع ذلك فقد كنت احبها ، وأى حب ! .. وبدأت أعتقد اننى تصرفت بشيء من الخشونة مع هذه العذراء التى تبدو كبنات الاساطير ، فعاهدت نفسى أن لاقيتها ثانية ، أن أمكث عند قدميها ، حتى تشير الى ، ولو بعد سنوات ! .. **لقد كانت تدرك أن المرء يتخذ من مثيلاتها خليلات بكلمة من الفم ، أما هى ، فلم تكن تطيق معاملة أقل مما كانت تتطلبه شخصيتها القوية ، ومن ثم ارادت أن تبلونى لتتأكد منى قبل أن تهبنى نفسها !**

« وقدر لى أن أراها ثانية ! .. فقد انصرفت – فى أمسية من أمسيات الربيع – من مسرح ، واخذت أتمشى فى شارع غير مطروق ، واذا بى أسمع نداء ناعما باسمى ، فارتجفت اذ عرفت الصوت .. والتفت ، فلم أجد احدا ، فصحت : « كونشا ! .. اين انت ؟ » . فواتانى الصوت هامسا : « صه ، والا ايقظت أمى ! » ... وكانت خلف قضبان نافذة لا تعلو حافتها عن كتفى . ورأيتها فى غلالة رقيقة ، وذراعاها تحت دثار ، فلم اقو على كبح زمام نفسى ، ورحت أحملق فيها نشوانا ، لفترة لم ادر مداها .. ثم تناولت يدها خلال القضبان ، واغرقت راحتها وساعدها وذراعها العارية بالقبلات .. كنت كالمجنون ! كان لحمها ، وبشرتها وعبيرها تطيش بصوابى .. وهتفت : « هات فمك ! » ، فتراجعت قائلة : « فيما بعد ! » .. ما أبغضها من عبارة ، طالما سمعتها منها !

« ورحت أسألها عما حدث منذ اختفت عن عينى ، فتحولت تتهمنى بأننى كنت السبب .. وأقررت بالذنب ، ثم سألتها

عن مورد عيشها ، فقالت : « انما نعيش على ما ادخرته أمى مما كنت تغدقه عليها ! » .. فسألتها : « واذا انتهى ؟ » . وكان جوابها : « أو تظن أن الامر يعبيبنى ؟ ! .. انك لاتفهمنى ! .. لقد قضيت ثلاثة أسابيع – فى العام الماضى – وأنا أنام تحت أسوار بلدة ، مفترشة الارض ، فلم يصبنى شىء ، اللهم الا كلمات للمغازلين فحسب . وبوسعى أن أعود الى هناك فى الغد . ثم أن بوسعى أن أعود الى مصنع التبغ ، أو أن أبيع الموز ، أو أن أنسج الشيلان .. وهكذا ترى أن بوسعى أن أمضى فى الدنيا ! »

« وانحنت على القضبان ، ودست راحتيها فى جدائل شعرها الفاحم ، ثم همست : « ماتيو .. سأكون خليلتك فى مساء بعد غد ! » . فارتجفت وقلت : « لست صادقة ، والا ففيم الارجاء يا حياتى ؟ .. لو أنك كنت تحبيننى ... »

– لقد أحببتك دائما .. وفى مساء الاحد ، سأدعك تتسلل خلال الثغرة التى بين القضبان والجدار . أما اليوم ، فاننى مثقلة بالذنوب ، ولا أريد أن أفقد بكارتى وأنا فى هذه الحال ، والا كان ابنى ملعونا اذا أنا حملت ! .. والآن ، انصرف يا ماتيو ، والا استيقظت أمى .. لا لاننى أخافها ، فأنا سيدة نفسى ، وانما .. اقسم أنك حين تأتى ، ستبرحنى قبل ان تستيقظ هى فى الصباح !

« واقسمت .. وانصرفت وأنا محموم ونشوان ، فى آن واحد !

* * *

« وانقضى يومان .. نهاران وليلتان ، بدت وكأنها تأبى أن تنتهى .. وكنت سعيدا ، وان رحت أتعذب قلقا ، وأنا أتمثل – خلال هذه الساعات الثمانى والاربعين – ما سوف يجرى .. وعندما اقتربت الساعة ، رحت أحوم كفتى فى الخامسة

عشرة من عمره ، وقد تلاشت من عمرى عشرون سـنة ، وكأنما كنت أوشك أن ألصق شفتى بشفتى امرأة .واضم جسدها الشاب الدافىء لاول مرة فى حيـاتى .. وكانت فى انتظارى !

« وجذبت القضبان عن الجدار ، عند أحد أركان النافذة ، ونفذت الى الحجرة .. واسلمت قوامها لى فورا ، والتصق رأسانا وفمانا ، وتفتحت طاقات أنفينا ، واغمضت عيوننا .. أبدا ما أدركت كما أدركت اذ ذاك — فى نشوتى ، وفى فورتى ، وفى غياب وعيى — معنى ((نشوة القبل)) ! .. كان الحاضر من الاقبال بدرجة غاب معها المستقبل والماضى .. وراحت ((كونشا)) تحترق بين ذراعى ، وهى تلتصق بى فى عنـاق تشوبه ضراوة .. ثم قادتنى الى السـاحة الخلفية للدار ، فاستلقينا تحت القمر والسماء الصافية . وراحت تقول لى ، وهى ممسكة بيدى : « هل ستظل تحبنى .. حتى عنـدما يذوى جمالى ؟ .. قل لى يا فؤادى ، فكم أود أن تخبـرنى بأنك تحبنى — ولو لم تكن صادقا — حتى تهبنى القوة على أن أحبك . لقد وعدتك بأن أسلمك نفسى الليلة ، ولكنى لا أدرى ما اذا كانت لدى الجرأة الكافية ، وما اذا كنت أنت أهلا لذلك .. اننى لست من الخليعات اللائى يذهبن الى بيوت الشبان ، ولن أحب بعدك أحدا ، فاذا هجرتنى فسأرتمى فى أحضـان الموت ! »

« وسألتنى ان أفك المشـد المحيط بثدييها ، فاذا ثديان كأنهما فاكهة أرض الميعاد ، ولست أعرف لهما شبيهين ! .. وضـممتها الى ، فقـالت : « لا ، ليس الآن ، فانى غير مستعدة ! » . ثم ردت المشد الى مكانه .. وبوسـعك أن تتصور مدى عـذابى ! .. ورحت أناضل يديها اللتين راحتا تحميان صدرها ، فقد استنفد صبرى اصرارها على اغوائى وصدى .. هذه اللعبة الشيطانية التى اسـتمرت عاما ،

وتضاعفت فى هذه اللحظة . وأنذرتها فى غيظى باننى لن أعود ، فقالت : ((بل لسوف تعود غدا !))

((وعدت فعلا ، ولكننى استطعت ـ بعد ساعات من الصراع العنيف ـ أن أنحرف عن دارها ، وان أنطلق الى الخلاء ، خارج المدينة .. ويا له من انتصار تعس !

((وفى اليوم التالى ، جاءت هى الى بيتى قائلة : ((ها أنذى أجىء اليك ، ما دمت راغبا عن المجىء الى . أفتزعم بعد هذا اننى لا احبك ؟)) . فارتميت على قدميها ، ولكنها قالت : ((أرنى مخدعك فورا ، فلست أريد أن تتهمنى بالخبث . أفتظن اننى لست نافدة الصبر انا الاخرى ؟)) .. ولكنها لم تكد تلج الغرفة ، حتى قالت : ((لا .. ما أكثر من تقلبن على هذا الفراش اللعين من نساء . ما هذه بالغرفة التى تليق بعذراء !)) . واضطرتنى الى أن أنتظر ساعة ريثما فتحت النوافذ ، واستبدلت أغطية السرير ، ونظفت ارض الحجرة .. ولم يكن لدى أى شك فى فوزى ، فى هذه المرة . ولكننى نسيت لك أنه كونشتا هى أسوأ النساء ، وان ابتكاراتها القاسية تفوق كل حد .. فعندما خيل الى أن الظفر مؤكد ، تبينت انها كانت قد درعت موطن العفة بقماش سميك ، متين ، لا يخترقه قرن الثور !

((وقالت اللئيمة وأنا فى حمى اللوعة : ((لسوف اظل عذراء الى أن يشاء الله ، لا الى ان يشاء الرجال !)) .. وخيل الى أننى يجب ان اخنقها ، ولكننى ـ واعترف فى غير ما خجل ـ بكيت اذ ذاك كما لم ابك فى حياتى ! .. ، كنت أبكى شبابى الذى بينت لى هذه الصبية أنه ولى الى غير رجعة . وما أحسبها كانت تعاملنى هكذا ، لو اننى كنت أصغر من سنى عشر سنوات ! .. ولاح لى اننى سأرى هذا الدرع ـ الذى قام حاجزا بينى وبينها ـ على كل النساء ، أو أنهن سيشتهينه على الاقل ، قبل أن يدنين منى !

« وقلت لها : « اذهبى .. لقد فهمت ! » . فاذا بها تنزعج فجأة ، فتحتضنني بذراعيها القويتين ، وتقول وهى تسعى بشفتيها الى فمى : « أفلا تعرف كيف تحب كل ما أهبك من نفسى يا فؤادى ؟ .. انك تملك قلبى ، وشفتى ، وذراعى المتأججتين ، وشعرى المضمخ بالعطر .. كل جسمى فى عناقك ، وكل حبى فى قبلتى ، أفلا يكفيك هذا ؟ .. اذن ، فلست تحبنى أنا ، وانما تحب ما آباه عليك ؟ .. كل النساء يهبنك هذا ، فلماذا تصر على أن تطلبه منى ؟ .. الا حبنى كما أشتهى أن أحب ، رويدا رويدا ، وتذرع بالصبر ، فانك لتوقن اننى لك ، واننى أصون نفسى من أجلك ! »

« واتفقنا على أن نلتقى فى دارها ودارى ، وأن أفعل ما تبتغى هى .. وفى مقابل ذلك ، وعدت بأن لا ترتدى هذا الدرع البغيض .. وما كان أشد عذابى وأقساه ، فى الليلة الاولى التى رأيتها فيها بدونه ، وانا لا أجرؤ على ان أمسها ! .. الى هذا الحد استعبدتنى الصبية وسامتنى الخسف ! .. كنت أضم — فى كل ليلة — هذه الفتاة الرائعة الجمال ، دون أن أظفر بشىء سوى العناق !

« وفى اليوم الخامس عشر ، ألفيت دارها خالية .. وكانت قد تسلمت منى — فى اليوم السابق — ألف قطعة من النقود الفضية ، لتسدد بها ديون أمها !

★ ★ ★

« وكان هذا اكثر مما أحتمل .. فمحوت من حياتى هذه الفتاة الغادرة ، ورحت أحاول — يوما بعد يوم — أن أنساها . ورحلت الى (مدريد) ، ثم رحت أتنقل بين مدن أسبانيا .. وكنت فى كل ذلك منساقا ، لا بحكم ارادتى ، وانما بقوة بعيدة لا سبيل الى مقاومتها .. اربع مرات قابلت « كونشا

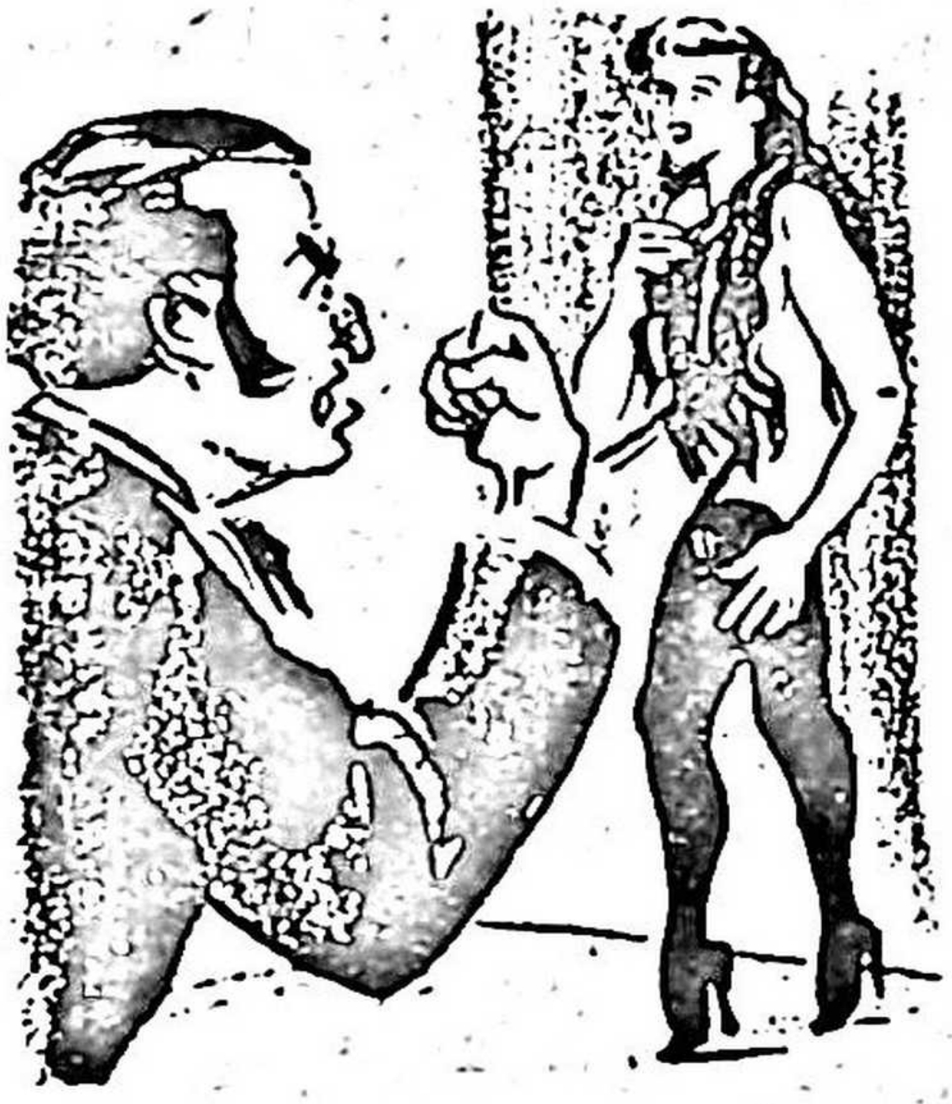

بيريز » ، ولم يكن ذلك من قبيل المصادفة ، وانما كان امرا لا مفر منـــه !

« وفى (قادش) وجدتها ترقص فى ملهى أمام ثلاثين من صـيادى السمك ، ومثلهم من الملاحين ، وبعض الاجانب الاغبياء . وما أن رأيتهـا حتى رحت أرتجف . أما هى ، فقد راحت تطـوف بموائد السكارى ـ بعدرقصها ـ متجاهلة وجودى ، متلقيةمداعباتهم الوقحة البذيئة .. ثم أقبلت على مائدتى ـ فى النهـاية ـ وجلست أمامى .. والتقى بصرها ببصرى ، فقلت بصـوت خفيض : « الا تخافين أن تموتى يا كونشا ؟ »

ـ لا ! .. بل ربمــا كنت أنت موقنـا من أنك لن تكون قاتلى ! .. انتى أعرفك يا دون ماتيو ، ولن تمس شعرة من رأسى ، لاننى لم أعد أحبك .. وأنت الملوم فى هذا !

« كان يجب أن أتوقع هذه المهزلة .. أن تـكون هى التى تلوم ! ورحت أعتب عليهـا فرارها منى مرتين ، رغم كل ما كنت ابذله من اجلها ، فقالت : « لقد غدرت انت بى .. ففى المرة الاخيرة وهمت أننى كنت نائمة ، ولكننى كنت مستيقظة ، وأدركت أننى لن أستطيع أن أنام ليلة اخرى الى جـوارك ، دون ان استسلم لك .. وهذا سر هربى »

ـ اذن فلهذا تلومينى ، فى حين اننى أرى الحيـاة التى تعيشينها هنا بين الرجال الذين يطارحونك الهوى

« فقفزت مغضبة ، وصاحت : « هـــذا غير صحيح ! .. اقسم لك بقبر أبى اننى لا ازال محتفظة بعفتى ، وبأننى أكرهك

لانك تشك فى ! »

* * *

« ورحت طيلة الليل اهيم على وجهى فى اطراف المدينة ، عسى ان يهدىء الهواء من الحمى والجبن اللذين استوليا على ، فقد شعرت بالجبن أزاء « كونشا » .. **وكان لا بد لى من أن أعقد العزم على أحد أمور ثلاثة : ان أتركها ، او ان اغصبها ، او أن أقتلها .. ولكننى آثرت أمرا رابعا .. أن انصاع لها !..** واصبحت أتردد على الملهى فى كل مساء ـ كطفل وادع خاضع ـ لاتأملها وانصت اليها .. واعترف انها كانت آسفة لما كانت تنزله بى من شر ، فأرادت أن تكفر بعض الشىء وسمحت لى بأن اجلس فى حجرة وراء المسرح كانت معدة لاهل الراقصات .. وهو امتياز اعتادت الراقصات أن تخلعنه على العشاق الاثيرين !

« ويا له من وسط ! .. ان الساعات التى قضيتها هناك تعد من أزرى ساعات حياتى . فالواقع اننى لم استمرىء يوما حياة الحانات الدنيا .. حتى اننى بت أشمئز من نفسى ! .. ولم اكن أستشعر شيئا من السرور الا خلال الرقصات الاربع التى كانت « كونشا » تؤديها . فقد كنت أقف خلف المسرح ، وعندما كانت تدير ظهرها الى النظارة ، كان يتولانى وهم عابر يصور لى انها كانت ترقص لى وحدى !

« واستمرت علاقاتنا على هذا الوضع شهرا . ولكنها لم تسمح لى قط بأن ارافقها الى باب مسكنها مرة .. وكنت أعرف ـ بصورة مبهمة ـ أنها كانت تقيم مع امها فى احدى ضواحى المدينة ، فى بيت شغلته أسرات ست راقصات . ولكنى لم أكن املك ان اعرف ما يجرى فى مدينة النساء هذه ، ولو فى الخيال .. وما كنت لاخلو من الهواجس ، من هذه الناحية . فقد كان لزميلتين من زميلات « كونشا » شقيق

شاب يقيم معهما فى حجرة مجاورة لحجرتها ، مما أثار غيرتى، وكن ينادينه باسم « مورينيتو » ـ وان لم أعرف اسمه الحقيقى ـ وقد اعتادت « كونشا » أن تدعوه الى مائدتنا ، فتطعمه من مالى ، وتسلبنى سجائرى لتضعها بين شفتيه ، فاذا تولانى الضيق ، هزت كتفيها وقالت فى برود : « ان مورينيتو يمت الجميع ، فى حين أننى أحب ـ اذا اتخذت عشيقا ـ أن يكون لى وحدى ، كالخاتم حول اصبعى ! »

« وكم تشاجرت مع المعجبين الذين كانوا يحومون حولها ! .. وكم حاولت أن استدرج زميلاتها للحديث عنها ، فكان جوابهن دائما : « انها عذراء ! » . وقد اعتادت ـ فى غير أوقات ظهورها على المسرح ـ ان تغيب فترات ، فكنت اذا سألتها ، زعمت أنها تأخذ سنة من النوم عقب اجهاد الرقص. الى ان ارشدتنى ذات ليلة ، زميلة لها ـ كان الشراب قد أودى بتحفظها ـ الى المكان الذى كانت تأوى اليه .. فاذا بها فى الطابق الاعلى من الملهى ، ترقص عارية ـ مع ثلاث نساء أخريات ـ رقصات مثيرة ، أمام اثنين من الانجليز وصاحبة الملهى ..

« واحسرتاه ! .. ما رأيتها قط فى مثل ذلك الجمال ، وقد بدا جسدها العارى معبرا ـ كوجهها ـ عن أعتى المشاعر ! .. ولم أقو على أن أشهدها لاكثر من عشر ثوان ، ثم دفعت الباب .. واستقبلتنى صرخات ثاقبة . وسرت اليها مباشرة. ولكنها لم تخف ، بل استندت الى الجدار وقالت : « لن أبرح هذه الحجرة ، وان تمسنى ، لاننى أمنعك من أن تتقدم خطوة أخرى .. ليخرج الجميع ، فلست بحاجة الى أحد ، وأنا كفيلة به ! »

« وتركونا وحيدين ، وكان الانجليزيان أول اللائذين بالفرار .. ولست ادرى بأية قوة استطعت أن اكبح جماح نفسى ، فكانت أصابعى تنبسط وتتقلص وكأننى أود ان اخنقها ..

ودار بين غضبى وارادتى صراع جبار . آه ، يا لقوة المرأة القاهرة .. يا للمناعة التى نعززها بها ! **ان الشرقيين لا يعاملونهن كما نعاملهن ، بل هم يقلمون أظافرهن لتزداد عيونهن لطفا ورقة .. وانهم ليتحكمون فى خبثهن ليطلقوا الزمام لحساسيتهن الجنسية .. وانى لاعجب بهم !**

« على أن « كونشا » ظلت منيعة بالنسبة لى ، فلم أدن منها ، بل قلت : « وبعد ، ماذا لديك من ابتكارات للدفاع عن نفسك ؟ .. انطلقى فى الكذب ! .. اذن فهذا هو ما تفعلينه هنا ؟ .. وهذه هى حرفتك ؟ »

ـ كأنك لا تعرف شيئا من هذا ، وهو حديث أسبانيا كلها .. ان الاطفال يستطيعون أن ينبئوك بأن النساء يرقصن عاريات فى اى مراقص (قادش) .. لقد أسأت الى بغيرتك الرعناء ، فبأى حق ؟.. أأبى أنت ؟.. أأنت زوجى ؟.. انت عشيقى ؟

ـ أجل ، أنا عشيقك !

« فانفجرت ضاحكة وهى تقول : « **لكم تقنع بالقليل ! .. اننى ملك لنفسى فقط ، وأنا الحفيظة على نفسى ، فليس لدى ما هو أغلى منها ، وليس هناك من أوتى من الثراء ما يكفى لان يشترينى من نفسى !** » .. ووجدت شكوكى تنجاب ، وأنا أثق فى كلامها . ولكن هاجسا وخزنى ، فقلت : « ومورينيتو ؟ .. اصدقينى القول ! » . فقالت : « **لقد كان فى فراشى ، هذا الصباح !** »

« وبقيت لحظة لا أعى ما حولى ، ثم أردت أن اخنقها ، ولكنها راحت تضحك ، ثم روت لى كيف أن « مورينيتو » اعتاد ان ينام ـ فى فترات الصباح ـ فى حجرات زميلات شقيقتيه ، ليفسح لهما السرير حتى تنعما بنوم مريح بعد الرقص المرهق والسهر . ثم أردفت : « اطمئن بالا ، فلست اسمح له بأكثر مما تسمح له شقيقتاه ! .. صدقنى ! »

« يا له من استهتار ، من قحة ، من فجور .. ووجدتنى متعوسا ، مترددا حتى كدت أن ابكى . واجلستها على ركبتى ، ورحت أضرع اليها أن تهجر الملهى ، فقالت : « انك لا تفهمنى اطلاقا ، لقد ظننت أنك تلاحقنى وأنا أصدك ، فى حين أننى أنا التى تحبك وتبتغيك لبقية العمر .. أتذكر المصنع ؟ لقد كنت انا التى جرت خلفك ، وقادتك الى دارها .. كنت فى ذعر من أن أفقدك ! أو تتذكر الصباح التالى ؟ .. لقد جلست جامدا فى مقعدك ، فألقيت انا نفسى عليك ، والصقت فمى بفمك .. وخلال هذه القبلة شعرت بهزة الشهوة الجنسية لاول مرة ! .. ما أحببت قط مخلوقا سواك ! »

— اذن ، ففيم هذا الصمت الطويل يا فؤادى ؟

— **لاننى لا أقنع بما ترضى به غيرى من النساء . اننى لا أتوق الى اسمى درجات السعادة فحسب ، وانما أبتغيها لترافقنى طيلة العمر .. اننى أريد أن أتزوجك يا ماتيو ، وان أظل أحبك حتى حين تنصرف عن حبى ..** ولكن ، لاتجعل ، فلن نتزوج أمام الكنيسة ! .. لست أطلب أكثر من أن تعتبرنى زوجتك .. وفى مقابل ذلك ، لست أملك شيئا أمنحك اياه يا روحى ، سوى حبى الابدى ، وعفتى التى حفظتها لك من الجميع !

* * *

« **وموجز** القول اننا عدنا الى (أشبيلية) ، حيث رحت أعد لها قصرا يليق بالبكارة التى ستمنحنيها ، وبالحب الذى ستغدقه على .. وكنت أنفق عن سعة . حتى اذا اكتمل اعداد الدار ، ارادت أن تكون اول من يلجها ، فتهيئها ، وتستقبلنى فيها عند منتصف الليل . وانصعت لنزوتها . حتى اذا وافيتها فى الموعد ، اذا بالباب الحديدى محكم الرتاج ،

ودققت الجرس ، فأقبلت بعد دقيقة فى ثوب أحمر ، ودثار أصفر ، وسارت الى الباب فى تؤدة ، وهى تبتسم . ثم مدت يديها خلال القضبان وسألتنى أن أقبلهما .. وظل الباب مغلقا ! .. وعادت تقول : « قبل طرف ثوبى .. وطرف قدمى ! » .. وغشينى انزعاج ، فهتفت : « لماذا تضحكين ؟ »

ــ أجل ، اننى أضحك ، وأضحك .. اضحك من كل قلبى ، كما لم يضحك مخلوق منذ عرف الضحك .. اننى حرة ، طليقة منك ، سيدة جسدى ودمى .. لا تحاول أن تدخل ، فالباب من حديد . ولكن ، انصت لاقول لك كل ما بنفسى .. اننى اقشعر منك يا ماتيو ! .. لن أجد كلمات تصف مدى كراهيتى اياك ، ولا مدى القشعريرة التى تنتابنى اذا ما اقتربت من جسمى ! .. آواه ! كم ابغضك !

« وظللت جامدا كالحجر ، بينما راحت تعيرنى بأننى تجاوزت الشباب ، ثم هرعت الى السلم ، وفى عينيها وميض متقد ، ونادت « مورينيتو ! » . فأقبل الشاب ، وطرحت عنها الدثار ، لتتلقاه بين ذراعيها العاريتين ، بينما رحت أهز الباب الحديدى ، وأنا أرتجف قهرا وحنقا !

« ولم أنم ليلتى .. وفى الصباح ، أعد لى الفطور فى الحديقة ، فبقيت برهة لا أشعر بجوع ، ولا ألم .. ولا أفكر اطلاقا . ثم لمحت « كونشا » مقبلة ، وكأنها تبرز من غمار الاحلام .. لا تعجب ، فليس هناك شىء لا يرتقب منها ! .. وساءلت نفسى ، أى جشع ساقها الى .. أجاءت تتزود من مظاهر انتصارها ، أم خيل اليها أنها ربما استطاعت بحيلة جديدة أن تتم خرابى المادى لصالحها ؟ !

« وانحنت على ، وقالت أخيرا : « هيا الى داخل الدار ، فقد أعددت لك مفاجأة ! » . وقلت فى نفسى : « وكذلك أعددت أنا لك ! » .. وكانت هى التى اختارت الغرفة بنفسها .. كانت غرفة فخمة الرياش ، ولكنها كانت صغيرة ، منعزلة

كالقبر . وأغلقت الباب بالمفتاح دون أن تشعر ، ثم تركت الغضب يتملكنى ، بكل مرارة الاربعة عشر شهرا . فتحولت اليها ، وألقيتها أرضا بضربة واحدة .. وكانت هذه أول مرة أضرب فيها امرأة ! وهتفت هى باعياء ، وأسنانها تصطك : « أأنت يا ماتيو .. أنت تفعل بى هذا ؟ » . وانتزعت من ثنايا ثوبها خنجرا صغيرا ، فقفزت وانتزعته منها ، وطوحت به بعيدا ، ثم قسرتها على أن تجثو ، وأنا أشد على رسغيها ، واصيح : « لقد جعلتنى أتعذب فوق طاقة البشر ، وكنت تبتدعين ألوان العذاب النفسى لتجربيها معى ، أنا الرجل الوحيد الذى أحبك فى وجد .. اننى أصارحك بأننى سأغتصبك ، وان أقنع بمرة ، بل سأغتصبك ما يحلو لى من مرات ، قبل أن يأتى الليل ! »

ــ ابدا ، لن اكون لك .. اننى أكرهك أكثر مما أكره الموت .. اقتلنى ، فلن تنالنى قبل أن اموت .

« واذ ذاك رحت انهال عليها بالضرب فى صمت ، وقد كف عقلى عن التفكير ، فلست أذكر سوى اننى رحت اضربها بانتظام فى موقعين لم اتحول عنهما : قمة رأسها ، وكتفها اليسرى .. وما سمعت فى حياتى صرخات مروعة كصرخاتها . ولكنها لم تطلب الصفح ، أو تلين . وبعد ربع ساعة ، كلت يداى فأطلقتها .. وارتمت على الارض ، وراحت تبكى كطفل صغير . ولكنها ما لبثت أن نهضت على ركبتيها ، وتطلعت الى ، فلم أر فى عينيها ظلا لعتب ، وانما لمحت لونا من الاعجاب . وراحت شفتاها ترتجفان بشدة ، ثم هتفت فى وهن : « أواه يا ماتيو ! لكم تحبنى !! .. الا اغفر لى ، فانى أحبك ! » .. ولاول مرة كانت صادقة ، ولكنى لم أصدقها ، فاستطردت تقول : « ما أعذب ضربك يا فؤادى ! .. ما أحلاه وأطيبه ! اغفر لى ما فعلته بك ، فقد كنت مجنونة ؟ » .. ثم اردفت : « لن تستطيع أن تنالنى عنوة ، ولكنى أفتح ذراعى وارتقبك

.. لقد قلت لك انني أعددت لك مفاجأة ، وستراها فورا .. سترى انني لا ازال محتفظة ببكارتي ، وان ما شهدته في ليل امس انما كان مهزلة اردت بها ان استثيرك ! »

« وكانت عذراء فعلا ! ..

« ولكن يد المرأة التي تبذر الشجون ، لا يمكن أن تتعلم كيف تزرع الفرح في الحقل الذي اتلفته . فبعد أيام ثمانية ، جاءت تنبئني في فرح انها التقت بمورينيتو .. وراحت تصفه في اعجاب قائلة انها رافقته الى فندق خارج المدينة . وأقبلت عليها أضربها وقد ثارت نفسي ، فراحت تصيح وتبكي .. وما لبثت ان زحفت الي ، وقالت : « لم يكن ذلك صدقا يا فؤادي ! » . وأثبتت لي بالحجة الدامغة ، أنها قضت اليوم في مشاهدة مصارعة الثيران ، مع صديق لي وزوجته . فلما سألتها عن سر كذبها ، قالت : « لانه لا بد لك من أن تضربني لاستشعر قوتك لأحبك .. انك لا تستطيع أن تتصور مدى حبي لان أبكي من جرائك ! »

« وهكذا كانت تبتكر الاسباب لاضربها .. وما اراك تصدق ان هذا الميل الغريب كان اساس خلقها وشخصيتها . كانت بحاجة الى العقاب ، وكانت لذلك تهيم بالذنب . كانت ترتكب الشر ، لا انسياقا لفتنة الخطيئة ، وانما ابتهاجا بايذاء شخص ما ، والتماسا للعقاب ! .. كان دورها في الحياة ان تبذر الالم ، وأن تشهده ينمو !

« ولقد اظهرت — في البداية — غيرة لايمكن أن تتصورها ، حتى قطعت ما بيني وبين أصدقائي ، وطردت خادماتي ، وفصمت معاملاتي لانها كانت تغار من مجرد تصور زوجات من أتعامل معهم ! .. بل لقد اضطرني الامر الى ان اعاف الخروج للنزهة معها ، خشية ما قد تثيره اثناء ذلك . وكنت انصاع لها بحكم حبي !

« وعندما أخفقت في أن تذكي غيرتي بما كانت تبتكره من

خدع مفتعلة ، خانتني فعلا ، وتعمدت أن أعرف .. بل أنها أنذرتني بموعد الخيانة ومكانها ، ودعتني الى أن أرى بنفسي ، وأن أقتلها أن استطعت ! وذهبت .. ويا لها من ساعة ! .. وأعقبت ذلك مبارزة ، وفضيحة مدوية ! وعندما اتذكر ان هذا لم يكن الا ليشدني اليها ، أعجب لخيال المرأة كيف يعميها عن حقيقة الحب الصادق ! .. ان ما رأيتـــه بعيني ، فرض حجابا بيني وبين كونشا ، وبدلا من أن يثير غيرتي — كمـا ظنت — اذا به يحيل جسدها مقيتا ، قذرا ، في نظري !

« ورحلت الى (طنجة) ، فلحقت بي ، ولكني مضيت في الصحراء الى حيث لم تستطع اللحاق بي .. وظلت رسائلها تلاحقني زمنا ، ثم انقطعت .. وعندما عدت — بعد سنة — الى (اشبيلية) ، كانت قد تزوجت قبل وصولي بأسبوعين ، من شاب غرير ، لم تلبث أن أرسلته الى (بوليفيا) !

« لقـــد رويت لك الآن كل شيء ، وها أنتـذا قد عرفت « كونشيبسيون بيريز » .. أما أنا ، فان حياتي قد تهشمت لانني عثرت بها في طريقي ، ولكن تجربة كهذه ، اكتسبت بكل هذا العناد ، يجب أن تنقل الى كل من يتعرض للخطر ! »

وهنا انتهت قصة « ماتيو » ، فشكره « أندريه » وانصرف

* * *

وسار « اندريه » عائدا الى المدينة على قدميه .. وكانت الساعة السابعة . ووجد قدميه تحملانه الى طريق (امبالم) ، وسرعان ما صادف عربة وقفت أمامه ، وسمع صوتا يتمتم : « لقد تأخرت ايها المجهـــول الذي يجتـــذبني ! » . وألقى « أندريه » على « كونشا » نظرة ، ثم سحب وجهه وهو يصعد الى جوارها .. وانطلقت بهما العربة ، الى أن بلغت بيتا أخضر صغيرا ، في ظلال ثلاث من أشجار الزيتون .. وفي حـــوالي الساعة الثالثة من بعد ظهر اليوم التالي ، بارح العشـــيقان

البيت ، واقلتهما العربة الى ميدان النصر . وهبطت «كونشا» فى المقـــدمة ، وتبعها « أندريه » . وفيما هما يلجان الدار ، قالت كونشا لوصيفتها : « **أعدى حقائبى ، فســأرحل الى باريس** » .

ودفعت اليها الوصيفة برسالة ، لم يعرف أندريه محتوياتها الا عندما بلغا باريس . وكان مضمونها : « ياحبيبتى كونشيتا : اننى أغفر لك ، وليس بوسعى أن أعيش فى بعادك . فعودى . اننى انا الذى يضرع — فى هذه المرة — جاثيا .. وأنى لاقبـل قدميـك ! »

وكان التوقيع .. « ماتيو » !

بنك مصر

درج بنك مصر منذ نشأته على مسايرة النهضات التقدمية . فلما تفجرت النفوس وانبثقت الثورة وانبثق نور الشعلة المقدسة تجاوبت كل هذه الظواهر مع النشأة الطبيعية لبنك مصر ومع الأهداف العليا التى رمى اليها فى حرب الاستعمار الاقتصادى فأنشأ شركاته التى كانت جيوشا حارب بها الاستغلال الأجنبى فى شتى ألوانه والروح الدخيل فى مختلف صوره

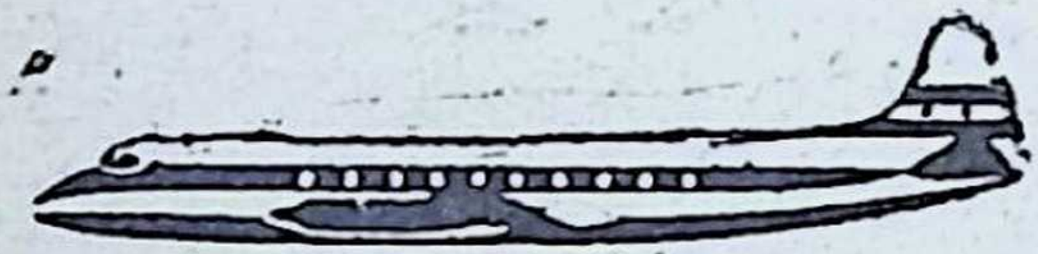

إلى

زيورخ

عن طريق

أثينا . روما

بطائرات

الڤايكونت الفاخرة المجهزة بالرادار

شركة مصر للطيران

القاهرة – ميدان الاوبرا ت ٤٧٢٥٦ – ٤٧٧٣٥ – ٥٦٩٢٩
الاسكندرية – ميدان محطة الرمل ت ٣٣٣٥٧ – ٢٤٢٠٣ – ٢٠٧٧٨
بور سعيد – شارع الجمهورية ت ٢٨٧٠

تلخيص : محمد بدر الدين خليل

موضوع لا يزيده البحث الا اتساعا :

◆ .. وهذا صوت يواتينا عبر الأجيال والقرون ، من عهد الاغريق القدامى ، ليحدثنا عن ((الحب)) .. وانك لتنصت اليه فتكاد تخال انه صوت من أيامنا الراهنة ، يحدثك عن هذه العاطفة العجيبة ، السحرية ، التى طالما عالجها الفلاسفة والمفكرون ، فى كل جيل ، فلم يزدها البحث الا اتساعا ، وتكشفا عن نواح جديدة .. ولقد قدم لك ((كتابى)) من كنوز الكتب القديمة التى تناولت هذا الموضوع ((فن الحب)) لاوفيد — العدد (٢٨) — و ((الحب الافلاطونى)) لأفلاطون — العدد (٦٣) — وهو يتبعهما اليوم بهذا البحث الشيق لبلوتارك ، الذى يعتبر من أروع انتاجه . وقد نهج فى كتابته نهج ((أفلاطون)) — من حيث الحوار — ولكنه توارى عن الأنظار ، اذ ساق رواية هذا الحوار على لسان ابنه ، وأضفى عليه جوا من الصياغة القصصية ، وتناول فيه أكثر من لون : حب الصديق للصديق ، وحب الرجل لابن جنسه ، وحب الرجل للمرأة ، وحب المرأة للرجل ، والحب والزواج .. الخ .

قضية ((الحب)) تعرض على ((بلوتارك))

◆ كانت تقيم فى (طيبة) سيدة تدعى ((أسمينودورا)) ، اوتيت ثراء وحسبا ، ونعمت بحياة مثالية ، وقد عاشت أرملة زمنا دون ما تثريب ، رغم أنها كانت شابة وجميلة المنظر . وكانت أم ((باكشون)) الشاب صديقة لها ، ومن ثم تعددت مقابلاتهما ، فاذا ((اسمينودورا)) تميل اليه .. وسمعت عنه اطراء ومديحا ، كما لاحظت أن كثيرا من الممتازات كن يعشقنه ، فهامت به هى الاخرى ، ورغبت فى أن تتزوج منه ، وتقضى بقية عمرها معه .. وكان الاقتراح غير عادى ، فساورت أم ((باكشون)) الوساوس ، كما أن رفاق الشاب — فى الصيد — راحوا يتفكهون بفارق السن بينه وبينها ، فكانت هذه السخرية أشد عرقلة للزواج من حجج الجادين .

على أن ((باكشون)) أغضى عن كل ناصحيه الا اثنين ، هما ((انثيميون)) — ابن عمه ، الذى كان لا يجد مبررا لحرمان

الشاب من أن يسعد بالزواج من امراة مثرية تحبه — و « بيزياس » الذى زعم أن زواجا كهذا يعتبر تضحية بشاب مثل « باكشبون » . حتى اذا احتد الجدال بينهما ، جاءا الى ابى (بلوتارك) يحتكمان اليه . وانبرى من مجلس أبى « دافينوس » ليدافع عن وجهة نظر « أنثيميون » ، و « بروتوجينس » ليدافع عن رأى « بيزياس » .

حب الفتيان هو الحب « الصادق » !

◆ وبدأ « بروتوجينس » بالعيب فى « اسمينودورا » ، وقال : « لا تتصوروا أننى أشن الحرب على الحب ، فالواقع أننى أذود عنه النزوات الجامحة .. ان الزواج ضرورى لتكاثر النوع ، ومن ثم عنى مشرعونا بأن يحيطوه بضمانات وقداسة .. ولكن الحب الصادق يختلف عن تلك العاطفة التى تحسونها نحو النساء والفتيات ، والتى تشبه « حب » الذباب للحليب ، والنحل للعسل ، فهى تسمن عليه فى الظلام ! .. **ان الافراط فى الشهية يسمى شرها ونهما .. وكذلك الامر فيما يتعلق بالسرور المتبادل بين الرجال والنساء ، سرور كل بصحبة الآخر . فانه اذا عنف واشتد وتجاوز الحد ، لا يجوز أن يسمى حبا . ان الحب النبيل ، الذى يربط الانسان بروح شابة ، يزدهر فى طريق الصداقة . أما اشتهاء النساء ، فلا يعود على الرجال — فى خير حالاته — الا بمتعة الجسد فحسب** .. والخمر والسمك قد لا يحبان المرء ، ولكن المرء — يجد متعة فى تناولهما ! .. والحب اذا فقد الامل فى الصداقة ، يفقد رغبته فى الدوام والبقاء .. ومن ثم فليس ثمة سوى « حب » صادق واحد ، هو حب الفتيان ، اذ انه لا يشبع بالشهوة .. أما الحب الآخر الذى لا قوام له ، والذى لا يحيا الا بين الجدران وعلى صدور النساء وفراشهن ، والذى يسعى دائما وراء الملاذ الناعمة التى لا رجولة فيها ولا صداقة ، فخليق بأن ينبذ ! .. ان الصداقة شىء نبيل مهذب ،

ولكن اللذة شيء مستهجن مسترذل ! »

وهنا قال دافينوس : « انك تردد آراء سولون ، الذى قال : « لاطف الغلمان فى نضارة الصبا ، وربت اردافهم الطرية ، وارشف شفاههم العذبة » ! .. وأنا اعتبر هذا القول حجة فى صف النساء . واذا كان الجماع الشاذ مع الذكور ، يدمر أو يؤذى عاطفة العاشق ، فان حب النساء ، أو حب الرجال – وفقا لما فرضته الطبيعة – خليق بأن يؤدى الى الصداقة ، خلال التعاطف والرضى .. **والتعاطف والرضى ، هما ما كان الاقدمون يعرفونهما بـ .. تسليم المرأة للرجل ! .. ولا بد للرضى من أن يكون متبادلا ، فان مجامعة الذكور على غير رضاهم ، نوع من الاغتصاب .. بل ان مجامعة الراغبين منهم تكون بشعة ، خالية من السحر ، اذا كانوا متأنثين ، منحلين فى تصرفاتهم . ولو أننا بحثنا حقيقة الامر ، لوجدنا أن الشغف بالفتيان والشغف بالنساء ينبعان من « حب » واحد** . فاذا أصررت يا بروتوجينس على التفريق بين العاطفتين – من قبيل الجدل – لوجدت أن حب الفتيان اشبه بالنسل الذى يأتى فى غير الاوان ، وبطريقة غير مشروعة ، فهو يطرد « الحب » الذى يكبره سنا ، والذى يتسم بالصبغة الشرعية .. فمنذ بدأ الفتيان يتعرون فى ساحة الالعاب الرياضية ، استشرى ذلك الحب وجمح ، وأصبح يسيء الى الحب الزوجى النبيل ، الذى يضمن الخلود لنوعنا الفانى ، اذ انه بالتناسل يذكى شعلة بقاء نوعنا »

مال الزوجة يذيب شخصية الزوج

• **وعند** هذا الحد ، انفجر بيزياس قائلا : « يا للقحة ! .. أيعترف الرجال بأنهم مرتبطون الى الاناث بأعضائهم الجنسية كالكلاب ؟ » .. فقاطعه أبى (بلوتارك) قائلا : « كأنى ببيزياس يرى فى الزواج علاقة خالية من الحب والصداقة ، وهما من

النعم القدسية ! .. ان العلاقة الزوجية بغير حب لا يمكن أن تمارس الا بمشقة وخجل وخوف .. كما تساس الخيل بالسرج والسوط ! »

وهنا قال بيزياس : « اننى أعلن صراحة ان رأيى هو : ان فى وسع كل امرأة أن تحرز عاشقا ، ولكن اى شاب يجب ان يأخذ حذره من ثروة أية امرأة . اننا اذا مزجناه بالابهة والرفاهية ، أذبناه كما يذوب القصدير فى البرونز . وانا لنرى أن أسمينودورا تبغى التسلط والسيطرة ، والا ما رفضت خطابا من ذوى المكانة والثراء ، لتستحوذ على فتى يافع فى حاجة الى مرضعة ! .. **من أجل هذا يحرص الازواج العاقلون على أن يقتضبوا ثراء زوجاتهم – اذا زادت عن الحد – كما يقص المرء ريش جناحي الطائر . لان المال هو الذى يجعلهن شهوانيات ، رعناوات ، متقلبات ، مغرورات ، وغالبا ما يطرن من أعشاشهن !** .. وحتى اذا استقررن فى بيوتهن ، فمن الخير للرجل ان يكون مكبلا بأغلال ذهبية – كما يحدث فى الحبشة – عن أن يكون مغلولا بثروة زوجته ! »

فأضاف بروتوجينس : « ثم ان الحكيم هسيود ينصح بأن لا يتجاوز الفارق بين عمرى الزوجين اربع سنوات ، فى حين اننا نوشك أن ندفع بفتى لم يستكمل نضجه الى امرأة تكبره بسنوات كثيرة .. ولو أنها كانت متزنة ، ذات حياء ، لقبعت فى بيتها فى انتظار الخطاب .. وما أجدر الرجل بأن يتجنب امرأة مقيتة تعلن حبها جهارا ! »

لا ترفض المرأة لمجرد ثروتها وجمالها !

• **فقال ابى** : « بأى حق ننبذ اسمينودورا لمجرد انها تحب وانها غنية ؟ .. وما ذنبها اذا كانت جميلة وشابة ، وذات عزة وحسب ؟ .. ثم ، ما أكثر الامثال على مساوىء الزوجات اللائى بلا أصل ولا حسب ولا جاه .. لقد كانت

« سميراميس » السورية وصيفة ومحظيـــة لعبد من ابناء جوارى الملك نينوس ، فقدر للملك أن يقع فى هواها ، فاذا بها تتسلط عليه ، وتحط من قدره ، حتى لقد ســألته يوما ان أن يسمح لها بأن تجلس على العرش ، وأن تلبس التاج وتدير امور الدولة . ووافق ، وأمر بأن يقدم لها من الطاعة مثل ما يقدم اليه .. ولم تستغل سلطانها الا باعتدال — فى البداية — لتبلو الحراس ، ولكنها لم تكد تلاحظ أنهم كانوا يطيعونها فى غير تردد ، حتى أمرت بالقبض على نينوس ، وبتكبيله بالاغلال ، ثم بقتله اخيرا .. ثم حكمت آسيا حكما زاهرا لسنوات عدة ! .. **وكما أن أمثال الرجل — نينوس — وقعوا فى ضلالهم فرائس النساء ، بسبب لينهم وافتقـــارهم الى القوة ، فان هناك — من ناحية أخرى — كثيرا من الرجال الفقراء المغمورين ، الذين تزوجوا من مثريات حسان ، فلم يفسدوا ولم ينزلوا عن ذرة من كرامتهم ، بل عاشوا محتــرمين من زوجاتهم ، يسوسونهن فى رفق وطيبة نفس** . أما الرجـل الذى ينزل من قدر زوجته ، فمثله مثـل السائس الذى يقص شـعر الفرسة ، ثم يقودها الى الغدير ، فاذا ما رأت صورتها منعكسة على الماء وقد شاه بهـاؤها ، صهلت فى حسرة ، ثم رضخت للحمار !

« واختيار المرأة من أجل ثروتهـــا أو جاه أسرتهـا عمـل مستهجن وضيع ، ولكن تجنب الثراء اذا كان مقترنا بالفضيلة والجاه ، حماقة وغباء .. وليست بزوج الغنيــة أو الجميلة حاجة الى أن يجعل زوجته فقيرة أو قبيحة ، اذ أن فى وسعه — بضبط النفس وبالحكمة وبعدم الانبهار بميزاتها عليـه — أن يحقق التوازن ويحفظ كرامته ويزيد من قوة شخصيته ، ومن ثم يستطيع أن يحكم امرأته ويسوسها فى عدل ، وبطريقة تحقق النفع لكليهما .

« اما عن فارق السن ، فان اسمينودورا لا تزال فى سن

مناسبة لان تحمل وتلد ، وهى ليست أكبر من كثير من مزاحماتها .. ثم أن الشباب صعب المراس ، عسير الترويض، لا يطرح عنه عناده وكبرياءه بسهولة . ومن ثم فان زواج الشاب من شابة صغيرة ، يتسم بالعجز عن حكمها ، وبعدم انصياعها لحكمه ! .. وان المربية لتحكم الطفل ، والمدرس يحكم التلميذ ، والقانون والمشرعون يحكمون الرجل اذا بلغ سن الرشد . فما من مرحلة من مراحل العمر دون حكم ، فلماذا نستنكر أن تتولى امرأة ذكية ، ناضجة ، قياد حياة زوج يصغرها ؟ .. لسوف تنفعه بحكمتها الناضجة ، وتحنو عليه بحبها »

تصرف امرأة أستبد بها الحب

• **وفيما** كان الجدل دائرا ، أقبل من روى ان أسمينودورا – وقد اطمأنت الى ميل باكشون الى الزواج منها – استعانت بفريق من الذكور المخلصين لها ، ومن الاناث المقربات اليها ، وتربصت حتى اذا مر باكشون ببابها ، نادته . وأسرع رجالها بحمله الى داخل الدار ، ثم أحكموا رتاج الباب .. وخلعت النساء عنه ازاره وألبسنه حلة الزفاف . وقام الخدم بتزيين دارى أسمينودورا وباكشون بالزهور ، بينما سارت فتاة فى الحى تعزف على الناى .. وانقسم الناس فريقين : فريق راق له أن يشهد ما كان يجرى ، وفريق استنكره وغضب من أجله . فبادر « بيزياس » الى الانصراف ، وكأنه منطلق الى معركة

وقال أنثيميون عقب انصرافه : « لقد كان تصرفا اتسم بالتهور والجراة الوقحة . ولكنه – فى الحق – تصرف امرأة استبد بها الحب .. ومع ذلك فأين فى مدينتنا من تفوق أسمينودورا احتشاما ؟ ومتى حوم حولها أى شك ، أو مستها اية قصة فاضحة ؟ .. **ومن ثم فانه يبدو أن دافعا قدسيا**

استولى على المرأة .. قوة أعتى من حسـاب البشر ! ») ، فابتسم أحد الحضور ، وقال : « حقا ، أن ثمة داء في الجسد يسميه الرجال « قداسة » . وما ينبغي أن نعجب اذن ، اذا وصف بعض الناس أهوج شهوات العقل بأنها قدسية ! ولكنى أحب أن أعرف ، ما الذى دعا الاقدمين الى أن يعلنـوا أن الحب اله ؟ »

هل الحب اله ؟ !

• **فقال** أبى : « انه لسؤال عظيم الخطر .. ان الحب شىء تراه بعقلك ، ولكن عينيـك لا تبصرانه . وكذلك الاله لا تراه الاعين ، وانما يجب أن تؤمن به العقول ، على أسس ماتوارثته من عقائد . ولو انك أمعنت فى طلب البرهان على وجـود كل منهما ، لـما تركت أيهما بمنأى عن المزاعم والتسـاؤل .. ان يوريبيدس يقول : « الا ترى عظمة الربة افروديت ؟ .. انها هى التى تهب الحب وتغذوه ، فاذا نحن ثماره على الارض ! ». وان أمبيدوكليس ليسميه « مانح الحياة » ، وسوفوكليس يدعوه « المثمر » . **ولو لم يكن هناك حب ، لفقـد كل شىء سحره . فالجماع بدون حب أشبه بالجوع والظمأ .. قـد تشبع الاول ، وتروى الثانى ، فاذا نتاجهما (الفضـلات التى تفرزها المعدة) ليس بالشىء البديع ! .. أما اذا وجد الحب ، فان الربة افروديت تروى الظمـأ الى اللذة ، وتخلق المودة والاندماج ..** وقد ذهب الحكيم هيسيود الى أن الحب هـو اول الخلق طرا ، وبفضله تشاركت الاشياء فى الخلق ! .. ثم كيف يكون للعداء وحب الحـرب والصراع اله ، ولا يكون للمحبة والتوافق والانسجام اله ؟ .. وكيف نؤمن بأن للحرث والبذر والانبات آلهة ، وليس لانجاب الصغار ورعايتهم اله ؟ »

واستطرد أبى قائلا : « اننا نقسم الآلهة حسب سلطانهم ونفعهم . ووفقا للقيم البشرية ، نجد أن تقدير ذلك يقـوم

على أسس السيادة والتفوق. فعلينا الآن أن نبحث ما اذا كان الحب أقل سلطانا من أى اله من الآلهة .. **وهنا يجب أن نلاحظ لفورنا انه بدون الحب ، تغدو وظيفة افروديت ـ ربة الجمال ـ خدمة يمكن شراؤها بدرهم ، وما من انسان يتجشم العناء ويخوض الخطر فى سبيل الجماع ما لم يكن تحت سلطان الحب . ولكم يغدو وصال أفروديت تافها تمجه النفس ، اذا خلا من الهام الحب ! ..** وفى وسعكم ان تدركوا ذلك ، اذا عرفتم أن كثيرا من الرجال يشركون سواهم فى وصال خليلاتهم ، بل وزوجاتهم .. حتى لقد دفع التنافس السياسى يوما أحد ساسة (آرجوس) الى أن يقدم زوجته للملك خليلة .. اما مع الحب ، فكم من رجل وقف فى وجه طاغية من أجل حبيبته !

« والآن ، استعرضوا أعمال « آريس » ـ اله الحرب ـ وانظروا مدى تفوق « الحب » عليه ! فالانسان المفعم بالحب لا يحتاج الى « آريس » ليقاتل أعداءه ، وانما هو دائما على استعداد ـ وهو يشعر بأن الهه بين جوانحه ـ لان يخوض النار والبحار وطبقات الاثير ، من أجل حبيبه ، وليحقق له كل ما يطلبه . وان هوميروس ليقول فى الياذته ان « الحب وحده هو الحصين المنيع بين القادة » . فان الرجل قد يهجر اهله وعشيرته ، بل وأبويه وأولاده ، ولكن لم يقدر قط لعدو ان يفرق عاشقا ملهما عن محبوبه ! .. بل ان العاشق يتلهف

« زوس » كبير الآلهة .. هل الحب من رعاياه ؟

– ولو لم يكن ثمة داع – لان يعرض حبه للمخاطر واستهانته بالحياة أمام معشوقه . ومع أنه لا شأن للنساء باله الحرب ، الا أن الحب اذا تملكهن ، دفعهن الى أقدام يجاوز طبيعتهن .. وقد يسوقهن الى الموت !

" واذا صحت الاساطير كأدلة ، نجد أن « هاديس » – اله الموتى وملك الجحيم – لا يعرف رحمة ولا محاباة ، ولكنه رغم قسوته يحترم العشاق ، وعليهم وجدهم لا يقسو !

الحب يشحذ المواهب لدى العاشق

• « أما وقد استعرضنا قوة الحب العظيمة ، فلنفحص رأفته ولطفه بالجنس البشرى .. ولست أقصد نعمه على المحبوب – فهذه ظاهرة للعيان – وأنما أقصد أفضاله العظيمة على العاشق نفسه . وفى هذا يقول يوريبيدس : « الحب هو الذى يعلم الشاعر فنه ، وان لم تكن آلهة الشعر قد ألهمت هذا الشاعر من قبل ! » . والحق أن الحب يشحذ ذكاء المرء ، ولو كان بليد العقل من قبل .. ويجعله – كما رأينا من قبل – مقداما ، ولو كان من قبل هيابا .. فكل عاشق يصبح كريما ، مستقيما ، شهما ، مهما تكن حاله من قبل . ثم .. ألا يجعل الحب من الشرسين أناسا أكثر لطفا ولينا ودعة ؟ .. وكما أن الدار تبدو بهيجة اذا كانت نار مدفأتها تشيع فيها دفئا ، فكذلك يبدو الانسان مشرقا وضاء اذا عمر قلبه بنار الحب !

« واغرب الامور جميعا ، أن العاشق يستصغر كل امرئ وكل شىء ، حتى القوانين والحكام والملوك ، فهو لا يخاف شيئا ، ولا يذهل لشىء ، ولايهتم بشىء ، حتى اذا ضم محبوبه تداعى اقدامه ، وتكسرت غطرسته وعتوه ! .. أليست هذه ظاهرة قدسية ، بحق زوس ؟ .. أليست هذه ظاهرة من السماء ؟ .. وما اكثر الناس الذين يرون شخصا ما قلا

يتأثرون بجماله ، ولكن العاشق وحده هو الذى يتحول — عند رؤيته — من حال الى حال .. لماذا ؟ هذا هو سلطان الحب كاله ورب ! .. وكما أن آراء الناس قد تختلف ، ولكنهم يتحدون ويجمعون على اختيار شخص معين يسلمونه مقاليدهم ، ويضعون ثقتهم فيه ، كمشرع يضع لهم القوانين ، أو كحاكم يتولى امورهم ، فكذلك نجد ان الشعراء وواضعى القوانين والفلاسفة يجمعون — على السواء — على اختيار « الحب » من بين الآلهة ليؤثروه بالمديح ، وليجعلوه ملكا وحاكما ، وديكتاتورا ، يستعين فى دولته بالصداقة والوفاق ، لا بالاغلال والاصفاد ! »

الحب شمس والجمال قمر عند المصريين

• **وتحول** أبى الى ناحية اخرى من الموضوع ، فقال : « والمصريون كالاغريق يعترفون بنوعين من الحب ، أحدهما ارضى دنيوى ، والآخر سماوى راق .. يعترفون بالحب ربا ، وبالحب ملكا . ثم هم يعترفون بحب ثالث : « الشمس » . انهم ليبجلون « أفروديت » — ربة الجمال — ويتمثلونها فى القمر والارض .. وكذلك نرى أن بين الشمس والارض شبها عظيما . **فليس كل منهما نارا — كما يخال البعض — وانما هو اشعاع لدفء عظيم عذب .. فالاشعاع الصادر عن « الشمس » يمد الجسم الذى يصادفه بالحياة والضوء والنمو .. والاشعاع الصادر عن « الحب » يمد الروح بالنعم ذاتها ..** وكما ان « الشمس » تبدو أكثر دفءا ، عندما تشق الضباب او الغيوم ، فكذلك « الحب » يكون أعذب وأقوى اذا ما كان بعد غضب أو غيرة .. واخيرا ، كما أن الجسم الذى لم يعتد الشمس ويتدرب على احتمالها لا يستطيع أن يطيقها بدون الم ، فكذلك الروح بالنسبة للحب !

« ومع ذلك ، فيبدو أنهما يختلفان فى أمر واحد .. ذلك

ان الشمس تكشف الجميل والقبيح لعينى الناظر ، على السواء .. فى حين ان ضوء الحب لا ينير سوى كل جميل ؛ ويجتذب اليه عينى العاشق دون أى شىء عداه !

« والذين يتمثلون أفروديت فى القمر ، قد أصابوا . فالقمر أرضى وسماوى .. انه منطقة يمتزج فيها السرمدى بالفانى .. فهو ضعيف ومظلم – فى حد ذاته – اذا لم تسلط عليه الشمس أشعتها .. وكذلك افروديت بدون الحب !

« ومن ثم فان شبه القمر بأفروديت ، والشمس بالحب ، أقوى من شبههما بأية آلهة أخرى ، ولكن هذا الشبه ليس صفة مميزة . فأنت لا تتعرف على الجسد بما تتعرف به على الروح .. وكذلك تعرف الشمس بالمشاهدة ، والحب بالادراك . ويستطيع المرء أن يقول – أيضا – ان عمل الشمس مضاد لعمل الحب . فالشمس تحول الفكر عن الاشياء التى تعرف بالادراك ، الى الاشياء التى تعرف بالمشاهدة والحواس . فهى تفتننا ببهائها ووضحها وتغرينا بأن نبحث عن كل الاشياء – حتى عن الحقيقة – فى النطاق المحيط بها هى فحسب ، أو بمعنى آخر ، أن بهاء الشمس ينسينا الامور التى يطبعها الحب على ذاكرتنا . تماما كما يحدث عندما يستيقظ المرء ، فاذا الضوء الباهر يطفى على كل الرؤى التى تبدت له فى الحلم ، فيبددها ويشتتها .. فكأن الشمس – عندما ننتقل من عالم آخر ، كعالم الحلم أو عالم الحب ، الى العالم الذى تنير

الربة افروديت

ـ تشل ذاكرتنا ، وتبهر ذكاءنا ، فماذا الاعجاب والسرور بها ، ينسياننا العالم الذى كنا فيه ! »

عندما تطفىء الحب بالقوة !

• « ومع ذلك ، فالحق ان يقظة الروح على العكس من يقظة الجسد .. ان يقظة الروح تكون فى العالم الآخر ـ عالم الاحلام ـ فاذا انتقلت الى عالمنا الدنيوى باتت فى حالة حلم . فهى تذهل للشمس ، وتراها ابدع أحلامها ، كما ترى أن كل شىء فى العالم الذى تنيره جميل وغال ، ما لم تصادف «الحب» القدسى الطاهر ، فيكون طبيبها ومخلصها من هذا السحر الخادع ، اذ يرشدها الى ميدان الحق والحقيقة ، حيث يستقر الجمال الوافر ، الخالص من كل شائبة . وكل الذين يتوقون الى اعتناق هذا الجمال والاقتران به ، يقودهم الحب فى رفق وكرم . اما الذين يؤثرون الانحطاط ، فان الحب لا يقود روحهم الى السمو مباشرة ، وانما هو يقودها خلال الجسد ..

« وكم من أناس يحاولون أن يطفئوا الحب المشبوب عنوة من جراء عدم التكافؤ ، فلا يفوزون الا بأن يملأوا أنفسهم دخانا وارتباكا ، أو أن يندفعوا متخبطين فى الظلام الى ملاذ غير مشروعة .. فى حين ان الذين يتوسلون بالحكمة والعقل ، يقلمون السنة اللهب ، ويستبقون ما يكفى لانارة الروح وتدفئتها .. وما أحلاه من دفء تتفتح له مسام العاطفة والرضى ! .. وبدلا من ان يحترق المرء بجسد المحبوب ، اذا به ينعم باجتلاء محاسنه ، فيتحد العاشقان قولا وفعلا ! »

ومرة أخرى ، انتقل « بلوتارك » الى ناحية جديدة من الموضوع فقال : « اتعرفون ظاهرة قوس قزح ؟ .. ان بصرنا حين يلتقى بسحابة ندية ، رقيقة بعض الشىء ، فنرى انعكاس الشمس عليها ، مع اشعة الشمس التى تحيط بها ، يخيل الينا أن القوس العديد الالوان ، فى جوف السحابة ذاتها ..

وكذلك مفعول الحب بالنسبة للأرواح النبيلة التواقة للجمال، فهو عند تجلى الجمال ، يحدث انعكاسا يسوق البال الى تمثل الجمال الخارق للطبيعة ، والذى هو علوى ، وقدسى ، وحبيب، ومبارك .. ولكن معظم الناس يسيرون وراء ذلك الطيف الوهمى للجمال ، الذى ينعكس على الصبية والنساء ، واذا أمسكوا به لم يظفروا بأكثر من لذة ممزوجة بالالم !

« وما ابعد العاشق الموهوب الحكيم عن هذا .. فان انكسار الاشعة المنعكسة على الحبيب ، يسمو به الى جمال قدسى ، لا يتجلى الا للادراك ، ولا يكون جمال الجسد المادى بالنسبة اليه سوى اداة للتذكرة والتأمل .. فهو يحتضن هذا الجمال، ولكن حرارة اللذة العقلية والنفسية ، تطغى عنده على متعة الاتصال . ذلك لان العاشق الصادق فى حبه يكتسب – حين يتصل بالجمال فى حدود ما هو مشروع له – أجنحة تسمو به عن نطاق المادة ، فينصرف الى الملاذ الغامضة التى ينعم بها عليه الهه ، حتى يبلغ مروج القمر وافروديت (أى حتى يصل الى لب الجمال) فيستسلم لنعاس ، يولد بعده خلقا جديدا ! »

الحب الصادق لا يعترف بجنس المحبوب

• وهنا قطع أبى حديثه ، ثم عاد يستأنفه : « ولكن هذا خارج نطاق جدالنا الراهن .. ان الحب كغيره من الآلهة ، يرضى عندما يحترمه الجنس البشرى ، ويستاء عندما يجحده البشر . وما أعظم كرمه مع من يستقبلونه بما يليق به ، وما أشد نقمته على من يستهينون به ، وما اسرع عقابه لهم »

ومرة أخرى ، تحول يقول : « ثم ان الاسباب التى يعزون اليها منشأ الحب ، لا تقتصر على جنس دون آخر ، وانما هى مشاعة بين الجنسين . على أن العاشق الذى يحب الجمال حبا صادقا ساميا ، يوجه حبه نحو الجمال الحقيقى ، دون أن

يرتبط بالعلامات المميزة لجنس عن آخر ، فهو لا يتحيز لجنس دون جنس .. أفيتصور الانسان أن ثمة فارقا بين الحب السامى للنساء ، والحب السامى للرجال ، يشبه ذلك الفارق الملحوظ بين ثياب كل من الفريقين ؟ .. لقد قيل ان الجمال هو زهرة الفضيلة ، فمن السخف أن يقال أن هذه الزهرة لا يمكن أن تتفتح فى النساء ، وأن النساء لا يظهرن قط اى ميل طبيعى للفضيلة .. ولقد قال أخيلوس : « استطيع ان أعرف من بريق عين المراة ما اذا كانت قد تذوقت الرجال ! » . فهل من المعقول أن تتجلى للعين امارات الفساد الذى يلحق المرأة ، ولا تتجلى على جمالها اشعاعات الحياء والحشمة والعفة ؟

اتصال الارواح دون الابدان

« ولقد وصف زوكسيبوس الحب بأنه شهوة جامحة تجرف الروح نحو الفجور ! .. وما أعتقد انه كان يؤمن بذلك ، ولكنه كان يردد ما طالما سمعه من رجال موغرين محنقين ، منهم من تزوج من امراة تعسة ، أوتيت شيئا من المال ، ثم طوح بها وبمالها فى متاعب الاعباء المنزلية ، وفى كآبة التدبير المنزلى ، ومن ثم فهى تتململ تحت النير — فى كل يوم — ولا تنفك تشاكسه وتشاجره .. ومنهم رجال يشتهون انجاب الاطفال ، أكثر مما يشتهون النساء كزوجات ورفيقات فى الحياة ، فهم يلقحون أية أجساد يقدر لهم أن يحصلوا عليها ، حتى اذا جنوا الحصاد أولادا ، ودعوا الزواج ، أو ابقوا عليه دون أن يحفلوا بمطارحة شريكاتهم الحب !

« أما الرابطة التى تأتى عن ايحاء الحب وارادته ، فانها لا تميز بين جنس وآخر ، ولا بين رجل وامرأة ، وانما هما — فى ظلالها — صديقان يتشاطران كل شىء .. وهذا لا ينطبق الا على العاشقين اللذين تتلاصق روحاهما حتى تندمجا فى واحدة ، بينما يظل جسداهما منفصلين ، مفترقين .

« وفيما يتعلق بالاخلاص المتبادل ، الذى لا غنى عنه

للزواج ، نجد أن الوفاء الذى تفرضه القوانين ، أثقل على النفس من الولاء التطوعى ، الاختيارى . فان الاول يكون مفروضا بحكم الخوف والاستحياء من العار ، ولا بد له من أعنة كثيرة تكبحه . ولكن الحب يمتلك سيطرة من النفس على النفس ، واخلاصا ، ويقينا . فاذا ما صادف نفسا متقلبة ، عزلها عن العشاق ، وكسر نزقها ، وحطم غرورها الذى يسوق الى القحة والفجور .. ثم بث بدلا من هذه الصفات تواضعا واحتشاما وصمتا وسكينة ، وخلع على المحب رواء وقصر اهتمامه على حب واحد . ولقد سمعتم جميعا عن «لايس» التى هام بها كل رجال الاغريق ، حتى اذا مسها الحب ووجهها شطر « هيبولوخوس » التسالى ، فرت — فى الخفاء — من عشاقها العديدين ، وآثرت حياة وادعة محتشمة . ولكن نساء (تساليا) كن يحسدنها ويبغضنها ، فسقنها الى أحد معابد « افروديت » ، ورجمنها بالحجارة حتى ماتت !

« **ولكم سمعنا عن خادمات وضيعات الاصل ابين أن يكن خليلات لمخدوميهن ، وعن أفراد عاديين عافوا أحضان ملكات عندما سيطر « الحب » على أرواحهم .. فان الحب اذا استولى على انسان ، حرره من كل السادة والحكام ، ليصبح هو سيده والهه الاوحد** . والزوجة التى تصدق فى حبها لزوجها ، تؤثر عناق الدب أو الثعبان ، على أن تسمح لاى رجل غريب بأن يمسها !

« وبعد هذا كله ، كيف نتساهل مع أولئك الذين يرمون « أفروديت » بكل نقيصة ، ويزعمون أن الاتحاد الذى يقوم بين الرجل والمرأة ، على أساس من الحب وبمعونته ، يحول دون توثيق الصداقة بين الرجل وبنى جنسه ؟.. كل ماهنالك هو أن بعض الرجال يغتر ويضل طريق الصداقة الصحيحة ، فيتردى فى حمأة اللواطة .. وليس بين طبقات الرجال من هم أزرى وأبغض من هؤلاء ! .. وان الذكر الذى يسمح

لنفسه بأن يكون خليلا لرجل ، ليسف فى التردي ، حتى انه ليقتل عاشقه اذا رآه ينصرف الى سواه !

الحب عند المرأة المتزوجة

• ((اما بالنسبة للمرأة المتزوجة ، فان التآلف بين الجسدين – جسدها وجسد زوجها المحبوب – يخلق بذور الصداقة ، اذ أنهما بهذا التآلف يتشاطران أسرارا عظيمة ، قدسية . **ان لذة البدن قصيرة الاجل ، ولكنها تنمى – يوما بعد يوم – التعاطف والانسجام المتبادلين ، وتخلق الثقة والطمأنينة .**

« وهل نحن بحاجة الى أن نتحدث عن سعة افق المرأة التى تحب ، وعن يقينها ، وانصافها ، وشجاعتها ، ومناعتها ، وعظمة روحها ؟ .. وهل بعد هذا يقال أنها غير أهل لصداقة الرجل ؟ .. ان المرأة تحب أطفالها ، وتحب زوجها ، فهى غنية العاطفة ، وهى كالارض الخصبة تتلقى بذور الصداقة ، فترعاها فى بهاء ولطف حتى تنبت . **والمرأة الفاضلة ، العفيفة ، لا تتورع عن أن تضحي فى سبيل الحب ، فلا يلبث الحب أن يؤثرها بكل فتنة أنثوية ، حتى لا يزوغ بصر زوجها الى امرأة غيرها !**

« ولقد تربك الدروس الاولى فى فلسفة الحب عقل الشاب ، ولكنه لا يلبث أن يستوعبها . فالحب أشبه بمزج سائلين ، فان المزيج يبدو – فى بادىء الامر – عكرا ، فوارا ، ثم لا يلبث ان يهدأ ويكتسب صفاء .. واتحاد العاشقين أشبه باندماج فلذين ، أو معدنين متوافقين . **اما اتحاد أى شخصين بدون حب ، فانه يكون موزعا بين الجاذبيات والمنفرات ، فهو لا يهدأ ولا يستقر ولا ينتج وحدة كاملة خالصة ، كتلك التى تنشأ اذا ما كان الحب مسيطرا على الزوجين !))**

وبهذا اختتم « بلوتارك » حديثه ، فانفض المجلس .

عندما ترفع الستار..

روائع المسرح العالمى
(التمثيلى .. والغنائى)

عزيزى القارىء ..

قدمت لك فى هذا الباب المسرحيات العالمية الآتية :

• خطايا الحب • نزاهة الحكم • سلاح المرأة • فولبون • جيوكندا • آلام الناس • مدرسة الفضائح • سيرانو دى برجراك • لعبة الحب والموت • مروحة الليدى وندرمير • فاوست • فى سبيل الحب • الام • الملك يلهو • الجنس الآلى • هرنانى • ترويض النمرة • الحياة نفاق • أغلال الحب • المنافق • بيت الليل • علموهم الحب • زوج مثالى • سالومى • مدرسة الارامل • برهان الحب • لوسيد • كيف نقع فى حباتهن • حلاق اشبيلية • كاليجولا • هوراس • حوادث سعيدة بالجملة • الهاربة من الفضيحة • رجل الاقدار • جوديث • نيكراسوف • أنباء مثيرة • البخيل • الانتقام الرهيب • أندروماك • جندى محترف • الشقيقات الثلاث .. الخ

واليوم ، أقدم لك مسرحية ذات قيمة خاصة :

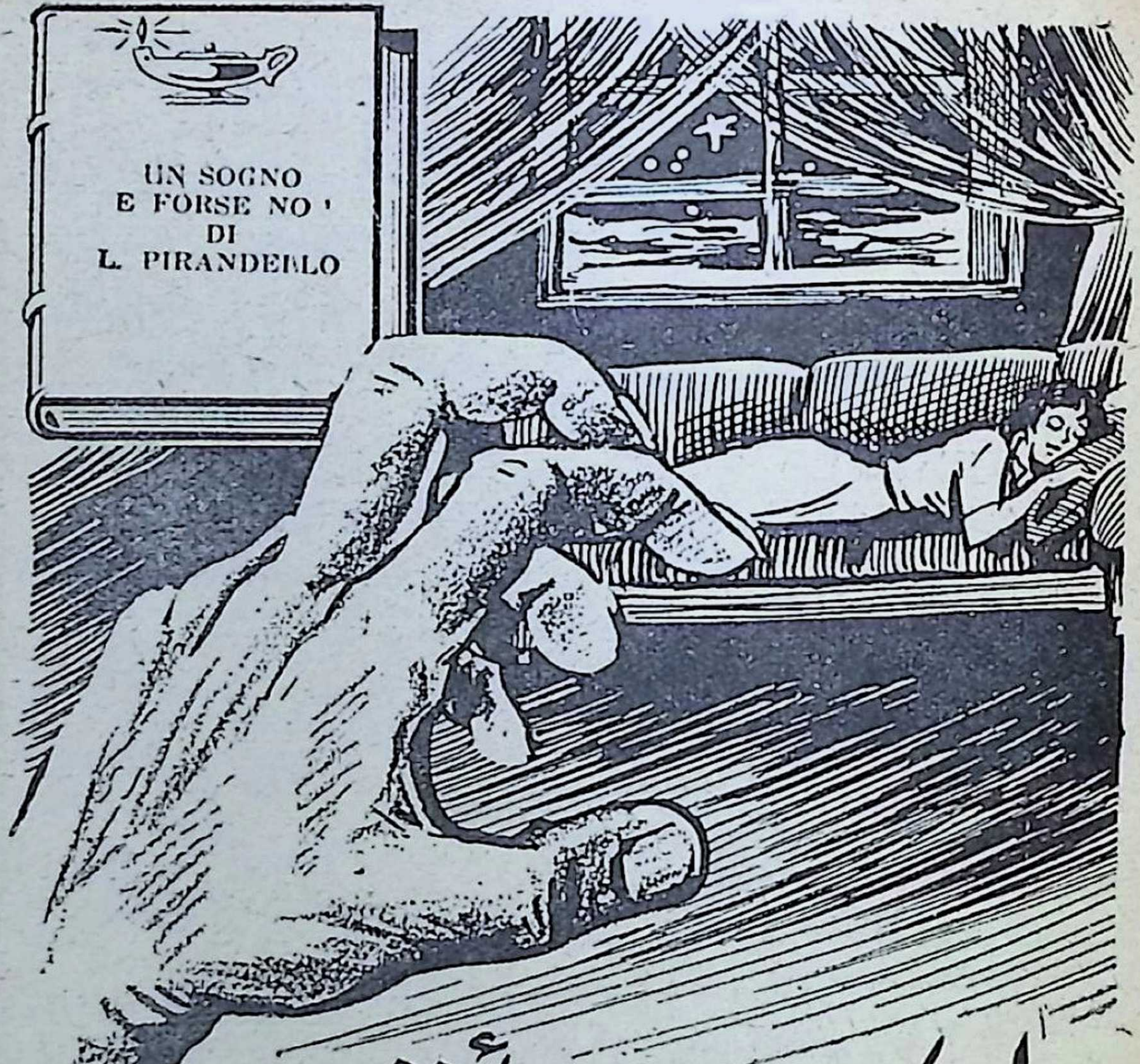

المرأة...
بين الحلم والواقع!

تمثيلية رائعة للكاتب الإيطالي الأشهر:

لويجي بيرانديللو

لخصها عن الايطالية: الدكتور نظمي لوقا

خفقة السراج قبل أن ينطفىء !

• لا يمارى أحد فى أن الكاتب الايطالى الكبير «لويجى بيرانديللو» من أعظم كتاب التمثيليات فى عصرنا هذا ، لا فى ايطاليا وحدها ، بل فى العالم كله .. وقد لمس قراء « كتابى » هذا فيما قدمناه لهم من ملخصات لأروع مسرحياته ، وفى مقدمتها « الحياة نفاق » – فى العدد (٢٨) – و « الفخ » ، فى العدد (٧٦) .. أما المسرحية التى نقدمها لك اليوم ، فتعتبر نوعا جديدا فى أدب التمثيليات .. فهى من فصلين يكادان أن يكونا فصلا واحدا ، اذ لاتفرق بينهما ستار ، وانما يفصل بينهما توزيع الأضواء على المسرح .. كما أنها تكاد تدور بين شخصيتين اثنتين ، وتكاد تكون صورتين مختلفتين لامرأة ..

وربما كانت هذه المسرحية آخر أعمال الأديب الكبير ، اذ كتبها فى العام الأخير من عمره – سنة ١٩٣٦ – حين بلغ التاسعة والستين . وفيها – مع هذا – وتألق فى الفن ، ورسوخ فى التعبير ، لا يشبه فى شىء خفقة السراج وقد أوشك أن ينضب !

ترفع الستار عن حجرة يخالها المرء فى البداية حجرة نوم ، ثم لا يلبث أن يتبين أنها حجرة « صالون » .. وقد استلقت السيدة الشابة على أريكة وثيرة فيه . أما سائر ما فى الحجرة ، فلا تتبينه بوضوح ، لان الظلام يسود المكان ، فلا يكاد يبين فيه سوى نور خافت أخضر اللون ، ينبعث من الارض أمام الاريكة مباشرة . **وعلى هذا الضوء يستطيع مدير المسرح أن يطلعنا على ما سيدور فى رأس هذه السيدة النائمة .. وهى تحلم !** .. ذلك لان المكان يبدو حجرة نوم ، طالما هى نائمة تحلم ، فاذا استيقظت ، وأضيئت الانوار ، تجلت الحجرة على حقيقتها .. حجرة استقبال .. « صالون » !

وعلى هذا النور الاخضر ، نتبين الى يمين الحجرة نافذة تطل على حديقة على شاطىء البحر .. والى يسار الحجرة مرآة تحتها « كونصول » . وفى مواجهة المسرح باب ...

وترفع الستار ، وليس يضىء المكان سوى ذلك الضوء ، الذى يكشف لنا عن يد ترتفع من وراء الاريكة .. يد ضخمة، يضاعف الضوء من حجم ظلالها .. **ثم ترتسم ـ وسط الظلام المحدق ـ صورة انسان يقف عند رأس الشابة النائمة ، وقد اضطرب شعره ، واطلت من عينيه نظرة قاسية متوعدة .. فهو من صور الكابوس ، وان كان يرتدى ثياب السهرة !**

ثم يتجه الضوء شيئا فشيئا الى وجه النائمة ، فاذا بها تفتح عينيها ، وقد تقلص وجهها .. وما أن تنظر الى الرجل، حتى يبدو عليها أنها تتذكر ـ شيئا فشيئا ـ أحداثا سابقة .. والرجل صامت لا يتكلم ولا يتحرك !

هى : أهذا انت ؟ .. كيف استطعت الدخول ؟

ويضع الرجل يده فى صداره ، فيخرج مفتاحا صغيرا يريها اياه ، ثم يرده الى جيب صداره دون أن يقول شيئا .

هى : أوجدته أنت ؟ .. هذا ما ظننته . لا بد أنه سقط من جيبى بعد أن أخذته منك ، جزاء ما أبديت من رعونة فى المرة الاخيرة .. ثم سقط من جيبى حينما قفزت من مكانى

* * *

ويحدجها الرجل بنظرات صارمة ، فلا تلبث أن توجس خيفة ، وتسأله : « لماذا تنظر الىّ هكذا ؟ » . فيجيبها : « لا شىء ! » . ويجلس بجوارها وقد وضع احدى ذراعيه خلفها على ظهر الاريكة ، ويده الاخرى على معصمها ..

هو (ناظرا اليها بهيام) : لا استطيع ان أبتعد عنك طويلا ، فأنا لا أعيش الا حينما تكونين بقربى هكذا .. أشم عبير شعرك، ورائحة جلدك النضر ، والعطر الذى يتضوع من كل كيانك .. انك كل حياتى .. كلها بلا استثناء !

وتنهض السيدة مغضبة ، وتتمشى أمامه ضيقة الصدر بهذا الحديث المعاد .. ثم تجلس بعيدا عنه ، وتعتمد رأسها

بين يديها كمن لا تدرى كيف تخرج من هذا المأزق ، فيبتسم الرجل ابتسامة حزينة

هو (فى قنوط) : الحب لايأتى غصبا .. لا الرجل يستطيع أن يرغم امرأة ، ولا المرأة تستطيع أن ترغم رجلا على الاستجابة لحب نضب معينه .. على أنه من الواجب أن تتوفر الشجاعة على المصارحة — على الاقل — لتقولى لى : « لم أعد أحبك » !

هى : كم من مرة منعت نفسى عن مصارحتك ، شفقة عليك ..

هو : ان المرأة التى تسكت بداعى الشفقة ، امرأة خادعة . فان وراء هذه الشفقة المزعومة تكمن دائما مصلحة نفعية لها ، فان لم تكن هناك منفعة ، فلا بد أن تكون الشفقة زائفة ! .. شفقة مفضوحة لا جدوى منها ، وحيلة مكشوفة لا تنطلى على احد ! .. لماذا ؟ .. لان من يكون صادق الحب ، يشعر على الفور ان حبيبه لم يعد يكن له الحب حقا .. انه يشعر بذلك حتما ، ولكنه قد يكتم فطنته ويداريها ، وفى هذه الحالة يكون خائنا ، وتكون العلاقة بينهما — بعد ذلك — شيئا حقيرا قذرا .. **فالشفقة الصادقة يجب أن تكون سافرة ، لا تتستر وراء الحب .. يجب أن تكون كالصدقة تمنحها السيدة للمتسول بصراحة ، دون أن توهمه بأنها تحبه .. والا لكان الجزاء الحق لتلك الصدقة قبلة على الثغر ، وليس دعاء بالخير !**

هى : ها ها ! .. لكم يكون مضحكا منظر متسول يقبل بهيام فم المحسنة التى تعطيه صدقة !

هو (مستطردا) : وهو لا يفعلها الا اذا تأوهت المحسنة بهيام ، وهى تدس الصدقة فى كفه ! .. ان الاخلاص والصدق دين مقدس لا بد لنا من الوفاء به .. لانفسنا ولسوانا . فالخيانة شىء فظيع .. فظيع .. فظيع !

هى : وكيف امكنك أن تشك فى اخلاصى ايها العزيز ؟
هو : لان عندى كل مبرر لهذا الشك ! . **(وينهض فيفتح النافذة ، ويطل منها .. وينساب صوت هدير البحر الى الحجرة)** أتذكرين ؟
هى : أجل . نزهتنا البحرية فى الليل ، فى ذلك الصيف ..
هو : والبحر أشبه ببساط من الفضة تحت ضوء القمر ..
هى : حقا ، كانت تلك رعونة منا لا نظير لها أيها العزيز !.
هو : وكنت أقول لك : ما اعجب اطمئناننا الى هذا القارب الصغير الذى تستطيع موجة واحدة أن تدفعه الى القاع .. وانى أتمنى لو ثار البحر لارى ماذا تصنعين ..
هى : وقد اجبتك بأنك انما تريد بذلك أن تجرب خوفك انت من تقلب حبى ، **لانك معى كراكب البحر ، لا يطمئن الى حال !**
هو : وقلت لى أيضا — يا عزيزتى — انك لا تعلمين هل يعيش حبك لى الى الغد أم لا ، فربما أحببتنى الآن ، ثم انتهى حبك بعد لحظة .. وربما أحببتنى بعد لحظة وكنت من قبل لا تحبينني ! .. فانظرى الآن — أيتها العزيزة — فى عينى واصدقينى : ألم تحل اللحظة التى تشعرين فيها بأنك لا تحبينني ؟
هى : كن عاقلا ! .. انت نفسك قلت منذ قليل انه لا اكراه فى الحب ..
هو : ويحى ! ما أشقانى اذا كان حبك لى قد انتهى ، وحبى لك فى عنفوانه ! .. ولكن اطمئنى ، فان لهيب حبى محصور فى صدرى ، يتحكم فيه عقلى .. أما انت فحبك يولد فجأة ، ويموت فجأة .. تتحكم فيه المصادفات والنزوات ، والسوانح والشوارد ، بغير حساب .. ولكن احذرى ان يحرق الحب قلبك .. ان هذا قد يحدث فى لحظة ، فاذا فؤادك رماد قبل ان تدركيه ! .. ان الحب يكون — احيانا — عاصفة تجتاح

العقل وتنفلت منه لتدمر كل شيء ، اذ تنقض صواعقها على راسك وبيتك ، ولا تلبث أن ترديك ..

وعندئذ يسمع من النافذة هدير عاصفة بعيدة ، ويختفى ضوء القمر ، ويومض البرق . فتغطى السيدة وجهها بيديها مذعورة ، ويفعل الرجل مثلها .. وتهدأ العاصفة فجأة ، وينساب ضوء القمر خلال النافذة ، فترفع السيدة يديها عن وجهها ، لتجد الرجل يحدق فيها بوعيد وغضب كما كان فى أول المنظر .

هى : قل شيئا ! .. قل لى : لماذا تنظر هكذا فى وجهى طول الليل ! .. تكلم !

ويختلج صوتها بالدموع ، ويظهر على وجهها الذعر والقلق .. أما هو فيبدو كمن يغالب انفعالا عاتيا .

هو : تعلمين أن حبك يملأ جوانحى ، وقد غيرنى هواك ، فلو نظرت فى مرآة ما عرفت نفسى .. أن هذا الوجه الذى تنكرينه ليس وجهى ، وانما هو وجه غريب غير الذى تعكسه امامى المرآة .. انه الوجه الذى أعطيتنيه أنت ! .. هذا الوجه ــ الذى يخيفك ــ من صنعك أنت .. إنه اثرك فى حياتى ! اثر الالتواء والجريمة ! **ان المرآة هى الضمير ، وصورتى فيها هى صورتى أمام ضميرى .. صورة منكرة ! ولهذا لم أعد أجسر على النظر فى مرآة ! .. وأنك تعلمين جيدا أن هذه السحنة البشعة قد لازمتنى منذ فعلت ــ فى النادى ــ ذلك الذى تعلمين جيدا .. منذ غششت أصحابى فى اللعب !** .. ولحسن حظى أنهم لم يفطنوا الى اننى غششت وسرقت كى اتمكن من شراء ذلك العقد اللؤلؤى الفاخر !

هى : أواه ، كلا ! كلا ! لم أعد أريده .. اننى لم أقل سوى انه يسرنى ان يكون لى هذا العقد .. كلمات قلتها بلا تفكير !

هو : بل قلتها لتذلينى .. لتشعرينى بأنك تستحقين عاشقا غنيا يستطيع أن يوفر لك ما تحلمين به من ملذات

ورغبات باهظة !

هي : يا الهى ! .. انما خطر لك هـــذا ، لانك تعرف أية حياة كنت أحياها دائما قبل أن أعرفك ، وكيف كنت أعيش فى بذخ على الدوام !

هو : ولكنك كنت تعرفين تماما من أنا ، وما هى حـــدود قدرتى ، عندما تقبلت حبى . فما كنت غنيا فى يوم من الايام، ومع ذلك فقد ارهقت نفسى لكى أوفر لك ــ بكل الوسائل ــ مستوى حياة كذلك الذى كنت تعيشين فيه .. ولكن بدون مبالغات طبعا !

هى : وأنا ايضا ضحيت ــ باعترافك ــ كى أعيش معك ..

هو : نعم ، ضحيت بالنزوات الباهظة التكاليف فقط ..

هى : وهل هذا يبدو شيئا قليلا فى نظرك ؟ .. هل يبدو لك أمرا طبيعيا ؟

هو : طبعا ، ما دمت تحبيننى !

هى : هذا ما كان يغيظنى منك .. ان ترى تضحياتى أمرا مفروغا منه ! .. **وهذا هو ما جعلنى أقف ــ عنـــد مرورنا أمام واجهة متجر الجواهر ــ وأتعمد أن أغيظك فقط ، بابداء الرغبة فى امتلاك هذا العقد ، كى أعرفك أى شيء حرمت نفسى منه بمعاشرتك ! .. أجل ، تعمدت هـــذه القسوة ، والذنب ذنبك ! كان هدفى ايلامك فقط ..** أما شراء العقد ، فقد كنت أعلم انك لا تقدر عليه ، الا اذا سرقت .. الا اذا سرقته ، أو سرقت ثمنه من الغير !

هو : اذن فأنت لا تريدينه حقا ؟ !

هى : كلا ، لا أريده منك .. لا اريده منك !

فتنقلب سحنته الى الغضب الشـــديد ، وتحمر عيناه ، ويهجم عليها ، فتظل تتراجع لتتحاشى أطباق يديه عليها

هو (فى هياج) : يا فاجـــرة ! .. لا تريدينه منى لانك حصلت عليه من سواى . لقد خنتنى فعلا ، أيتها الفاجرة ..

لقد عدت الى عشيقك السابق ، الذى رجع بأموال طائلة من (جاوة) .. لقد رأيته بنفسى فى الشارع .. انه لم يعاشرك بعد علانية .. لم يحضر بعد ليعيش معك ، ولكنى رأيته ..

هى : آه ، لا تقتلنى ! .. دعنى ! .. ليس هذا صحيحا ! .. دعنى !

وبعد مقاومة ، يتمكن من عنقها ، ويلقيها على الاريكة ، ويجثم على صدرها !

هو : ليس صحيحا ؟ ! .. لكنى رأيته يا فاجرة ! أنت تنتظرين تلك اللآلىء بعد أن طلبتها منه .. وفى تلك الاثناء ، كنت ألوث يدى بسرقة أصحابى فى النادى ، لاحصل على ثمن العقد .. لارضى شهوتك ، وأشبع قسوتك !

★ ★ ★

وتستسلم أخيرا لقبضته ، وتسكن حركتها كالميتة .. فقد خيل اليها — فى المنام — انها ماتت مخنوقة بيد عشيقها الغيور .. وبعد لحظة قصيرة جدا ، تسمع طرقات عنيفة على الباب .. طرقات رهيبة كتلك التى تسمع فى الاحلام . **ويسود المسرح ظلام شامل ، يختفى أثناءه الرجل .. وفى الحال تبدأ الانوار الطبيعية — أنوار الشمس — فى الدخول من النافذة . وتبدو الحجرة على حقيقتها .. حجرة جلوس ((صالون)) .. والسيدة الشابة وسنانة على الاريكة . ويتوالى الطرق الشديد على الباب فتتحرك السيدة فى مرقدها** ، وعندئذ يخفت الطرق شيئا فشيئا ، حتى يصبح طرقا عاديا ، كالذى نسمعه فى اليقظة لا فى الحلم .. طرقا خفيفا .. مجرد نقرات بالاصابع على الباب . وتفتح السيدة عينيها ، وتنظر حولها برهة — وهى لا تزال فى غشية النعاس — ثم لاتلبث أن تصحو تماما ، فتفرك عينيها ، وتمسح وجهها ، وكأنها تزيح آخر آثار الكابوس . ثم تنهض وتقف

امام المرآة فتسوى شعرها قليلا . واخيرا ، تجيب الطارق قائلة : « ادخلى ! » . فتقبل الوصيفة حاملة صحفة صغيرة من الفضة ، عليها علبة مخملية من علب المجوهرات ، مربعة الشكل، ومعها بطاقة زيارة . فتشير السيدة الى الوصيفة أن تضعها على « الكونصول » ، فتفعل الوصيفة، ثم تنصرف مغلقة الباب خلفها

وتجلس السيدة تستعيد حلمها بحذافيره ، ثم تنهض الى العلبة فتفتحها ، وتخرج العقد الذى كانت تحلم به ، فتحيط به عنقها ؛ وتقف تتأمل صورتها فى المرآة ، وهى تلتفت الى الباب لتتأكد من أنه مغلق .. وكأنها تخشى أن يظهر فى الواقع بطل الحلم ! .. وتتحسس العقد حول عنقها ، بأصابع مضطربة . ثم تتفرس فى بطاقة الزيارة .. وتعيد النظر الى العقد ، ثم تغمض عينيها فى نشوة وتتنهد . ولا تلبث أن تخلع العقد فجأة ، فترده الى الصندوق وتضع الصندوق والبطاقة داخل درج الكونصول ، وهى تنصت الى خطوات تقترب من الباب . وعندما تسمع طرقا عليه تقول : « من ؟ ادخلى ! » .. فتفد الخادمة حاملة بطاقة زيارة ، تلقى عليها السيدة نظرة ، ثم تقول : « ادخليه ! »

ويدخل الرجل .. نفس بطل الحلم الذى كان مرتديا ثياب السهرة ، ولكنه الآن فى ملابس عادية ، ووجهه هاش باسم فتستقبله بكل ترحاب .. ويجلسان على الاريكة .

هو : ارى من عينيك أنك نمت ...

هى : لم أكن أريد أن أنام ، ولكنى استغرقت فى النوم فجأة ، بعد الغداء . (تستدرك) لا ، لا ، أبدا .. لم أنم الا لحظة واحدة !

وتمر بيدها على عنقها ، وهى تتذكر كيف كانت تختنق بيديه فى الحلم .. ولكن وجهها لا يعكس أى أثر للكذب ، فهى تكذب بلا مجهود .. بالسليقة ! .. وتحضر الخادم أدوات الشاى ، ثم تخرج ، فتنظر السيدة فى عينى صاحبها الذى يبدو شارد البال .

هى : ماذا بك ؟ أهناك ما يكدرك ؟

هو : آه ، كنت أريد أن أقدم لك مفاجأة سارة .

هى : انت تقدم لى مفاجأة ؟ ولماذا تقولها بمثل هذا التحسر ؟

هو : لاننى لم أتمكن من تقديم هذه المفاجأة ، لادخل السرور عليك يا عزيزتى !

هى : عرفت ماذا كنت تريد أن تفاجأنى به ! .. وسأقوله لك لتعرف انه لم تعد بيننا مفاجآت أيها الحبيب .. (**وتطوقه بذراعيها ، وتلتصق به ، وتجعل خدها على خده وهى تكلمه بكل حنان**) أحقا اذن كنت تريد أن تتحفنى بذلك العقد النفيس يا حياتى ؟ .. ولكنك وجدته قد بيع فعلا ، أليس كذلك ؟ ..

هو (**مجفلا فى دهشة**) : عجبا ، وكيف عرفت ؟

هى : ها ها ! .. مررت مساء أمس أمام حانوت تاجر المجوهرات ، فلم أجد العقد فى نافذة المتجر

هو : عجبا ، ولكنه كان هناك فى الساعة الرابعة بعد الظهر ، فقد رأيته بعينى وأنا فى طريقى الى النادى .

هى : لقد مررت أنا بعد ذلك .. فى السابعة .

هو : ولكن لماذا قالوا لى الآن انه بيع فى هذا الصباح ، وليس مساء أمس ؟

وتتصنع عدم الاكتراث ، ولا تضطرب ، وهى تتبين ضعف أكذوبتها

هى : قالوا اى كلام ، ما دامت الصفقة قد تمت . ولكن الم يقولوا لك من الذى اشترى هذا العقد ؟

هو : بلى . قالوا لى ولكننى نسيت الاسم .. (يضمها اليه ويعبث بشعرها) لا بد انك كنت تفكرين فى هذا العقد كثيرا ، مادمت قد ذهبت بالامس ايضا لتريه . ولا بد انك كنت تنتظرين منى ان اقدمه لك !

هى : اوه ، كلا .. ابدا ! .. ولكن لا بد انك ربحت فى اللعب امس مبلغا كبيرا حتى انك ذهبت فى الصباح لتشترى هذا العقد لى ..

هو : ربحت مبلغا طائلا . أتدرين لماذا ؟ .. لاننى كنت اتحرق رغبة فى شراء هذا العقد لك يا حياتى ! .. والآن عليك أن تختارى شيئا آخر جميلا .. جميلا جدا ، وثمينا ، لاقدمه اليك !

هى : اوه ، كلا .. مستحيل !

هو : بل يجب ، كى تزيلى عنى كدر فشلى فى الحصول على العقد لك ..

هى : ولكنى أؤكد لك اننى لم اكن راغبة حقا فى الحصول عليه .. كانت نزوة عارضة .. ويكفينى سرورا ان كلمتى جعلتك تكسب ، كما أن عدم وجود العقد يحفظ عليك المبلغ . فلنترك هذا الموضوع .. ارجوك ! والآن هيا بنا نتناول الشاى .. (وتتشاغل بصب الشاى فى قدحه)

هو (كمن يحاول أن يتلمس موضوعا للكلام) : هل علمت ؟

.. قيل لى أنه عاد من (جاوة) ..

هى : من ؟ .. (**تستدرك وقد عرفت من كان يعنى**) آه ، لقد سمعت !

هو : من الذى أنبأك بهذا ؟ .. ومتى عرفت ؟

هى (**متظاهرة بعدم الاكتراث**) : منذ ليلتين .. لا اذكر تماما من الذى قال لى ..

هو : يبدو أنه عاد من هناك بثروة كبيرة ..

هى (**فى بساطة ، متعمدة أن تتجاهل الموضوع**) : هل تريد لبنا على الشاى ، أو ليمونا ؟

هو : بل لبنا .. شكرا لك !

وتنزل الستار ، وقد خسر ضمير المرأة المعركة .. لقد ناضل ضميرها نفاقها وخداعها فى الحلم ، ولكنها لم تكد تعود للواقع ، حتى استسلمت لصوت المصلحة ، ولبست قناع الرياء ، لتعيش به فى المجتمع ، كعهدها من قبل

الشركة العربية لأنوار النيون والفلورسنت
١٣٣ شارع محمد بك فريد
تليفون ٤٤٧٩٢ - ٤٣٨١٦

لافتات
زخرفة
انارة
كهرباء

ENSEIGNES
DECORATION
ECLAIRAGE
ELECTRICITE

نساء وراء الأسرار !!

قصص "أشهر جاسوسات العالم" كما استقاها منهن
ومن السجلات الرسمية "كيرت سينجر"

تلخيص : كليمانس م . عبد الملك

نساء لعبن أدوارا خطيرة فى السياسة الدولية

◆ ان الجاسوسية لا تقتصر على أوقات ومناسبات ، وانما هى نشاط مستمر ، سواء فى السلم أو فى الحرب .. وهو نشاط محفوف بالأخطار الرهيبة ، ولكن مخاطره لم تحل دون أن يقبل « الجنس اللطيف » عليه ، فبرزت فى مجال « الجاسوسية » — فى مختلف العصور — نساء استطعن أن يقمن بأدوار كان لها أثر كبير فى تغيير مجرى التاريخ ، فى بعض المناسبات .. على أن الجاسوسية لم تنشط فى زمن من الأزمان ، كما نشطت فى ربع القرن الاخير ، وكما تنشط اليوم ، وفى الشرق الأقصى بوجه خاص ، حيث يأبى الاستعمار الغربى أن يلقى السلاح ، بعد أن اثخنته الحركات التحررية والقومية جراحا ..

وفى الصفحات التالية ، يقدم « كتابى » لك قصص بعض الجاسوسات اللائى قمن بأدوار خطيرة فى الصراع السياسى الدولى منذ تأهبت الدول للحرب العالمية الثانية ، حتى اليوم .. جمعها لك «كيرت سينجر » الصحفى الذى يعيش اليوم فى السويد ، والذى اختلط بكثير من الجواسيس الفاشيين ، والنازيين ، والغربيين ، والشيوعيين ، واستطاع أن يدرس قصصهم دراسة خاصة دقيقة ..

◆ تطورت الجاسوسية اليوم تطورات جوهرية عما كانت عليه فى أيام « مترنيخ » و « لويس الرابع » ومن اليهما . اذ أصبحنا نعيش فى عالم تسوده الآلات ، وأضحت العلوم تلعب دورا هاما فى التجسس وفى مقاومة التجسس على السواء ، فحل المهندسون محل جاسوسات المخادع ، وحل علماء الطبيعة محل الحسان ذوات الاغواء ، وحل العلماء الخبيرون بالرادار والقنبلة الهيدروجينية والطاقة الذرية محل المحظيات .. وان ظلت الرشوة والسرقة والغانيات والخليلات ، من العناصر التى يعتد بها فى الجاسوسية . كما ظلت هذه المهنة المحفوفة بالغموض والمخاطر ، ذات جاذبية خاصة للحسان ، كما سنرى فى الصور التى أقدمها هنا ..

الحبشة لا تساوى ساعة معها !

• ولقد كانت حال « ماجدا فونتانج » – اثناء محاكمتها التى شهدتها فى (بوردو) بفرنسا ، فى سنة ١٩٤٧ – تدعو الى الرثاء . اذ بدت هزيلة ، مكتهلة ، رثة الثياب ، محطمة ، وقد فقد شعرها المسترسل جماله ورونقه . فما كان بوسع احد ان يتصور ان هذه « الجاسوسة الالمانية رقم ٨٠٠٦ » – التى قضى عليها بالسجن لخمسة عشر عاما ، وبالحرمان من دخول الاراضى الفرنسية بعشرين عاما – **كانت يوما العشيقة الاثيرة للرجل الذى كان يطمع فى ان يفتح نصف العالم** .. اجل ، لم يكن بوسع احد ممن شاهدوا محاكمة هذه المراة – التى عملت مع « الجستابو » الالمانى ، بين عامى ١٩٤٠ و ١٩٤٣ – ان يصدق ان الدوتشى قال لها يوما : « **ان الحبشة لا تساوى شيئا عندى ، اذا قيست بساعة حب اقضيها معك !** »

ولكن شيئا من مجدها الغابر لم يتبق لها . فقد ذوى جمالها ، وزايلتها فطنتها وحضور بديهتها وفتنتها الخلابة !

ففى شهر ابريل سنة ١٩٣١ ، استقرت « ماجدا » فى روما ، حيث عملت كمندوبة (مخبرة صحفية) لعدد من الصحف الفرنسية ، مزودة بطائفة من التوصيات من نفر من الصحفيين والنواب والوزراء الفرنسيين ، يقدمونها بها الى السفراء وكبار رجال الحكومة الايطالية . واقامت « ماجدا » فى افخم الفنادق ، وراحت تغشى ارقى المشارب ، فسرعان ما تالقت واجتذبت الانظار . **وما لبثت ان حظيت بمقابلة « الدوتشى » العظيم نفسه ، فاذا به يحتفى بها ، ويؤثرها بمادة تتصدر الصفحات الاولى فى الصحف التى كانت تعمل لحسابها . وفى الوقت ذاته ، استطاع ان يغويها .. واصبحت « ماجدا فونتانج » اهم امراة فى ايطاليا !**

ولكن ما يسهل نيله ، كثيرا ما يكون تضييعه أسهل .. فما لبث « موسوليني » أن مل « ماجدا » بعد سنوات قلائل .. ولم تفلح المأساة التى حدثت من جراء غرامهما ، فى أن تبقى على تعلقه بها . اذ أن « ماجدا » لم تتورع ـ عندما بدأ سفير فرنسا يتدخل فى علاقتها الخاصة بموسوليني ، أكثر مما كان ينبغى له ـ عن أن تطلق عليه الرصاص . ولم يصب الكونت « شارل دى شامبرون » بأكثر من جروح طفيفة ، ولكن الحادث كان كفيلا بأن يرد « ماجدا » الى الصفحات الاولى من الصحف .. ولكنه لم يظفر من «الدوتشى» بأكثر من ضحكة ، ومن تدخل خفف الحكم عليها الى مجرد غرامة لا تتجاوز عشرة جنيهات !

أسرار « السرير ! » فى ساحة المحكمة !

• وظل موسوليني على انصرافه عنها . ثم اكتشف أنها باعت الصحف الفرنسية قصة علاقاتهما الشخصية ، فنشرت تحت عنوان : ((**كنت خليلة موسوليني**)) . فاذا سأمه يتحول الى غضب ، وقرر أن يتخلص منها ، فحصل لها على منصب فى هيئة « الجستابو » بفرنسا ـ فى فترة الحرب ـ حيث راحت تتجسس أعمال الحلفاء ، لا سيما نشاط المقاومة السرية الفرنسية فى (مرسيليا) و (بروكسل) .

ولقد كان والد « ماجدا » رساما فرنسيا معروفا ، مما أتاح للفتاة أن تمارس سحرها وفتنتها منذ الصغر ، مع زملائها من طلبة الفنون ، فاكسبها هذا نبوغا فى الغواية ، لا

سيما وانها كانت تمتاز الى جانب جمـالها بسرعة الخاطر ، وروح الفكاهة . **وقد استطاعت أن تجتذب اهتمام قضـاة محكمة (بوردو) ، بما راحت ترويه لهم عن وزراء فرنسـا وسياسييها ودبلوماسييها ، الذين قاسموها فراشها .. ومن المحتمل أنها لم تكن كاذبة فى ذلك .. بل من الجائز أن تكون قد باعتهم أيضا بعض أسرار ايطاليا ، كما باعت موسـوليني معلومات عن فرنسا ! .. بل ومن المحتمل جدا أن تكون قد باعت معلومات عن هاتين الدولتين معا للألمـان !**

وكيفما يكن الامر ، فان أحاديثها المسهبة عن كيفية اغرائها للسياسيين والديبلوماسيين والقادة — وهى تقف فى ساحة القضاء بملابس رثة بالية — بدت غريبة على الاسماع ، ولم تنقذها من الحكم بالسجن ثم النفى وكان كل ما قالته عندما صدر الحكم هو : « واحسرتاه ! .. ليتنى شنقت مع الدوتشى بدلا من عشيقته الاخيرة .. كلارا بيتاتشى ! »

وهكذا كان فشل « ماجدا » دليلا قاطعا عـلى أن الاغراء والفتنة ليسا كل شيء فى عـالم الجاسوسـية ، بل لا بد للجاسوسة — فى أيامنا هذه — من مواهب اخرى الى جانب الجمال والغواية .

أستاذة الاغراء الجنسى !

• **أما** الجاسـوسة الثانية ، التى منيت بالفشل مثل « ماجدا » ، فهى « كيم سويم » الكورية ، التى أعـدمت رميا بالرصاص ، قبل أن تتبدد أصداء أقدام الامريكيين وهم يجلون عن (كوريا) فى سنة ١٩٥٠ .

واذا كانت « كيم » قد شابهت « ماجدا » فى غوايتهـا ، الا أنها كانت أعظم كفاءة ، وأكثر نشاطا منها . كما امتازت عنها بوعى شرقى كان يغذيها بالدهاء ، والحيطة ، والحكمة فى تصرفاتها !

ولقد اشتهرت كيم بلقب « أستاذة الاغراء الجنسى » .. كانت فتاة شرقية تستمتع بقسط وافر من الجمال والفتنة، ولم تكن تحفل بالسياسية ـ فى الواقع ـ حتى سنة ١٩٤٢، حين قدر لها أن تستمع ـ لاول مرة ـ الى خطاب شيوعى فى اجتماع وطنى . وكان الخطيب شابا كوريا جميل الطلعة، هو .. « لى كونج كوك » ، القائد الشيوعى !

وفى اللقاء الاول ، استطاع « لى » أن يظفر بكل ما يشتهى من الفتاة ، اذ ان نشاطه لم يكن يدع له فسحة من الوقت كى يبدأ علاقته بها بالنزهات والمناورات البريئة . وقد كان هذا شأنه مع غيرها من الفتيات . **ولكن نشوة الظفر لم تمنعه عن يجد فى « كيم » استعدادا ومواهب غير الجمال ، وتبين أنها تصلح لان تكون جاسوسة لحساب الشيوعيين ، فلم يتردد فى أن يغريها بذلك** ، مرددا لها : « انك يتيمة الابوين ، وقد نشأت فى ارساليات المبشرين الامريكيين . ومن ثم فلن يساورهم الشك فى أمرك ! »

فى مركز القيادة الامريكية

• **وهكذا** قدر لكيم سويم أن تبدأ نشاطها الجاسوسى : حتى اذا تحركت الجيوش الامريكية ـ فى نهاية الحرب العالمية الثانية ـ لتحرير (كوريا) من الاحتلال اليابانى ، وجدت فى استقبالها « كيم سويم » ، ترحب بمقدم « المحررين ! » وساعدتها نشأتها فى الارساليات ، وإتقانها اللغة الانجليزية واللهجة الامريكية ـ الى جانب جمالها وظرفها ـ على أن تجتذب قلوب كثير من العسكريين الذين كانت الوحشة والاغتراب يثقلان على قلوبهم .

على أنها لم تقتصر على أن تكون زميلة فى السهرات وساعات الليل ، بل استطاعت أن تعمل كمضيفة فى مركز قيادة القوات الامريكية فى كوريا ، مما أتاح لها أن تلتقى بكل زائر ، وأن

تنصت الى الاحاديث التليفونية . وهكذا اصبح فى وسع عشيقها الكورى أن يعلم بما كان يدور داخل مركز القيادة ، ونجحت « كيم سويم » نجاحا فاق كل ما توقع بى كونج كوك » ، حتى لقد كانت هى التى بلغت « لورنتى بريا » - حين كان رئيسا لجهاز الجاسوسية السوفييتية - نبأ استعداد الامريكيين للانسحاب من كوريا الجنوبية ، وكيف أن الجنرال « مكارثر » راح يعارض الانسحاب ، دون أن يفوز بتأييد كاف من المسئولين من رجال الحكم فى الولايات المتحدة .

بيت الغانية مركز المقاومة السرية

• **ولقد** ظلت « كيم سويم » تعمل فى مركز قيادة الجيش الامريكى بسيول ، حوالى عام . فكانت افضل جاسوسة للسوفييت . وما لبثت أن نقلت الى منصب هام فى مكتب قائد البوليس الحربى ، حيث كان جهاز مكافحة الجاسوسية ! .. فاستطاعت - فى منصبها هذا - أن تسرق أخطر الوثائق السرية الامريكية ، فتنسخها .

كذلك أتيح لكيم سويم أن تتنقل بين أرقى الاوساط صاحبة السلطان ، فكانت « ماتا هارى » الشرق الاقصى . اذ تفتحت لها ابواب وصدور ذوى النفوذ من الامريكيين والكوريين واليابانيين والصينيين ، على السواء . **وكانت فنونها فى العشق والاغواء ، ومركزها المرموق فى الادارة العسكرية وفى الاوساط الاجتماعية ، حجبا حالت دون افتضاح أمرها ، أو كشف ما كان يدور بمنزلها الانيق ، الذى كان - فى الواقع - مركزا لحركة المقاومة السرية فى (سيول) !** . وكانت الدولارات الامريكية ، ومنشورات الدعاية ، متوفرة لديها لتغذية نشاط الخلايا الشيوعية . بل أن منزل الغانية ، ذا الجو الشاعرى ، كان يحتوى على اجهزة لاسلكية للاتصال السرى على الموجة

القصيرة ، وعلى معامل للتصوير .

تموت في زى مواطناتها

• **وكان** رحيل الامريكيين صدمة قاسية لكيم ، اذ حرمت من ميدان نشاطها . وقبل أن تفيق من الصدمة ، كانت حكومة « سينجمان رى » — صنيعة الامريكيين — قد ألقت القبض عليها . وحاولت أن تحتج ، ولكنها فوجئت بالمسئولين يقولون لها : **« لقد كنا على علم بنشاطك منذ بدايته ، ولكن عشاقك من كبار رجال الجيش الامريكي قد قاموا بحمايتك . خوفا من أن تحيق بهم الفضيحة . أما الآن ، وقد رحل الامريكيون ، فقد أصبح لنا مطلق الحرية في التصرف ! »**

ولما حوكمت في يونيو ١٩٥٠ ، كانت التهم الرئيسية التي وجهت اليها هي : التجسس ، والسرقة ، والتآمر ، والخيانة .. فضلا عن ست وعشرين جريمة أخرى — أقل عنفا — اقترفتها ضد حكومة كوريا الجنوبية .. وعندما شرعت قوات كوريا الشمالية تزحف الى أطراف مدينة (سيول) ، نقلت « كيم سويم » من سجنها الى مطار (كيمبو) ، حيث رأت السلطات أن تعدمها . ولما حانت ساعتها الاخيرة ، جابهت الموت بشجاعة .. ففي هذا اليوم الاخير من عمرها ، لم تصفف شعرها على الطريقة الامريكية ، ولم ترتد الثياب الامريكية ، وانما وقفت أمام قاتليها في الزى الكورى الوطني ، وقد عقصت شعرها مشدودا حول رأسها ، على طريقة نساء كوريا !

يولع بالجريمة ويخشى الطائرات

• **وكان** التصوير لا يقل أهمية عن الرادار في الحرب العالمية الثانية . فقد كانت الحاجة ماسة الى التقاط صور جوية للمدن وطرق السكك الحديدية والموانىء ، لمعرفة مواقع

المنشآت والمطارات العسكرية . على أن أهمية التصـــوير الجوى ترجع الى ما قبل هذه الحرب بسنوات طويلة ، حتى ان احدى الدول الاجنبية نجحت فى تصوير معظم معالم المانيا الهامة ، قبل أن تتحرك قوات أى من الكتلتين .

ففى عام ١٩٣٥ ، كان يعيش فى احدى الضواحى الغربية لبرلين ، أديب كان يعيش فى دعة وهدوء ، بعد أن اعتزل العمل فى المخابرات البروسية ، بعد الحرب العالمية الاولى .. وكانت لفون فيلسك ــ كما يحسن أن نسميه ، اذ لا بد من التستر على الاسماء الحقيقية فى هذه القصة ــ هواية غريبة . **فما من جريمة كانت تحدث فى برلين ، حتى يتأكد قلم المباحث الجنائيـة من ظهور « فون فيلسك » أثناء التحقيق ، وهو يحمل زجاجتين من الكونياك ! .. وكان يقابل دائما بالترحاب ، بسبب مواهبه الفذة التى أكسبـته احترام رجال المباحث المحنكين ، ومقدرته العجيبة على التكهن ــ من مجرى سير الامور ــ بما سيحدث مستقبلا .. فقد كان مولعا بتتبع آثار الجريمة !**

ولم يكن ينغص عليه حياته شىء قدر رؤيته طائرة تحلق فى سماء المدينة ، اذ كان منظر الطائرات يرهق اعصابه المرهفة ، ويسلبه كل راحة . وتصادف أن استخدمت احدى الشركات ــ فى ذلك الوقت ــ طائرات للاعلان عن منتجاتها ، فكانت تحلق يوميا فى سماء برلين ، وتلقى من حين الى آخر بعض هدايا بسيطة مبتكرة ، أو تقوم بكتابة رسالة فى الجو بالدخان .. فلم يعد فون فيلسك ينعم براحة أو هدوء !

دعوة من .. « الجستابو »

• **وفيما** كان جالسا ذات يوم يقرأ ــ وقد وضع فى اذنيه سدادتين لتجنب أزيز طائرة الاعلان ، اذا بخادمته « مارى » تشير اليه بأن يزيل السدادتين من اذنيه ، لان لديها ما تقوله

له . وكان الانفعال الشديد باديا على وجه « مارى » ، التى كانت شابة الزاسية ، على قسط كبير من الجمال ، اغرى الرجل بأن يتخذها خليلة . على أن « مارى » لم تاته – فى تلك اللحظة – بدلال الخليلة الجميـــلة ، وانما جاءت بأدب الخادم ، ولكن .. الخادم الخائفة ، فقد بدت مذعورة ، مما أوحى الى فون فيلسك بأن ثمة خطرا محدقا !

ولما هدأ روعها الى حد استطاعت معه الحديث ، اخبرته بأن شخصين غريبين يطلبان رؤيته ، فشـــعر فون فيلسك بقلق تبدى على ملامحه ، لانه – كما سبق أن ذكرنا – كان يحذق التنبؤ بالاحداث على ضوء مجرى الامور .. وصح حدســـه ، فقد قدم الرجلان دليـــلا على انهما من رجال « الجستابو » . على أن « فون فيلسك » تمالك جأشه ، ودعاهما الى الجلوس ، وهو يتظاهر بالهدوء والطمأنينة .

وفتح أحد الرجلين حقيبة صفراء لامعة ، فأخرج منها بعض الاوراق ، وبدأ يتلو – وهو يقلب الصفحات – ما يلى : « كان فون فيلسك ابن ضابط بروسى ، قدم لوطنه خدمات جليلة .. كما أن جده اشترك فى الحرب الفرنسية – البروسية ، عام ١٨٧٠ – ١٨٧١ ، فنال شهرة حربية ، وعين قومندانا لكتائب الفرسان . كما أن فون فيلسك نفسه ، استطاع – بعد أن وضعت الحرب العالمية الاولى أوزارها – أن يقوم بمخاطرة مكنته من الهروب من سجن أسرى الحرب فى روسيا . فضلا عن أنه كان – حسب أوراقه – يعمـــل موفقا فى مقاومـــة الجاسوسية » .

وقال فون فيلسك لنفسه ، عند هذه النقطة : « آه ، هنا بيت القصيد ! » . وصدق حدسه مرة أخرى ، فان رسول « الجستابو » استطرد – بعد أن اكد له أهمية وسرية حديثه – فذكر له أن « الجستابو » **قد نظم جهازا لمكافحة الجاسوسية تابعا له ، ومستقلا عن الجهاز التابع للمخابرات العسكرية ،**

ومن ثم فان المسئولين يودون أن يستعينوا بخبرة « فون فيلسك » ومواهبه .. واجفل الرجل في بادىء الامر واضطرب، لا سيما وقد حلا لطائرة الاعلان أن تحلق — فى تلك اللحظة — على ارتفاع قريب ! .. لكنه استطاع رغم ذلك أن يتخلص من المأزق بلباقة ، قائلا أن عليه — قبل أن يستبيح لنفسه شرف شغل هذا المنصب الهام — أن يتأكد من صلاحيته له ، من حيث المواهب ، والطاقة ، والسن ، وما الى ذلك . فوافق رجلا الجستابو على أن يتركا له وقتا للتفكير .. وانصرفا بعد ان أديا التحية العسكرية : « هايل هتلر » !

شائعات خطرة تحوم حول فون فيلسك

• وما أن رحلا ، حتى غادر فون فيلسك بيته — وهو يلوح بقبضة يده نحو طائرة الاعلانات — ويمم شطر مقهى ، جلس فى ركن هادىء منه ، واستغرق فى التفكير .. وأيقن انه فى مأزق حرج ، فقد كان يبغض الاحداث التى كانت تجرى فى المانيا اذ ذاك . وكان الالتحاق بخدمة « الجستابو » هو آخر شىء يفكر فيه .. ومع ذلك ، فانه لم ير مخرجا من تلك الورطة . ومع انه نجح فى تأجيل البت فى الموضوع ، الا ان تلك القوة الشيطانية — التى هى « الجستابو » — لم تعرض عليه الامر الا تظاهرا ، وما كان عرضها فى الواقع الا أمرا مفروضا ، ومن ثم لم يجد « فون فيلسك » بدا من الامتثال . واضطر الى أن يحتل مكتبا فى شارع (البرنس البرت) . وكان عزاؤه الوحيد انه شغل منصبا شريفا — الى حد ما — ينطوى على خدمة وطنية ، تتمثل فى تعقب آثار الجواسيس الاجانب . الا انه كره رؤساءه الى درجة جعلته يفشل كل الفشل فى العمل معهم ، وفارقه كل الهام .. وزاد فى نكد طالعه ان تلك الطائرة اللعينة أخذت تحلق كل يوم فوق رأسه ، فتهدم اعصابه !

وحدث ما لم يكن منه بد ، فقد استدعاه رئيسه ونبهه الى ان عمله لم يكن مرضيا ، واردف قائلا : « وهناك شائعات - بدات اعتقد بصدقها - تقول انك من المعارضين .. فانتبه لنفسك وانشط ! »

« فون فيلسك » فى مأزق جديد

◆ وعاد فون فيلسك الى مكتبه وهو ساخط .. وكانت الطائرة لا تزال تحلق فى شبه دوائر ضيقة ، فوق المركز الحكومى . فجلس ، وكتب مذكرة الى رئيسه ، يقول : « **انه لمن العجيب أن يؤذن لطائرة خاصة بأن تحلق ساعات من كل يوم ، فى سماء العاصمة . فان من المحرم على الطائرات النظامية والرياضية أن تحلق فوق مواقع معينة . وفى اعتقادى أنه يجب اجراء تحريات دقيقة بشأن راكبى هذه الطائرة التى دأبت - منذ أيام - على أن تحلق فوق المراكز الحكومية .. ويجب - بصفة عامة - أن يحرم على طائرات الاعلانات التحليق فوق هذه المراكز ، لاسباب عسكرية** »

وما أن مر نصف ساعة ، حتى بهت « فون فيلسك » اذ اقبل على مكتبه ثلاثة ضباط من القوات الجوية ، وابلغوه بأن وزير الطيران قد غضب من رسالته ، لان قائد طائرة الاعلانات كان ضابطا شهيرا فى الحرب العالمية الاولى ، وقد نال عدة أوسمة . كما كان رجلا موثوقا به . ولكى يثبت خطأ ادعاء هيئة « الجستابو » ، فقد أمر بأن تنزل تلك الطائرة فى مطار (ستاكن) . وأردف كبير الضباط قائلا : « وعليك مرافقتنا فورا الى المطار ، فان المارشال جورنج قد طلب من رئيسك أن ينتدبك - بوصفك المدعى - للحضور أثناء التفتيش ! »

وما ان وصل الجميع الى المطار ، حتى خفت ثلاث طائرات حربية الى الجو ، فأحاطت بطائرة الاعلان ، وأجبرتها على النزول . وكانت فرقة من رجال « جورنج » هناك فى الانتظار .

كما وقفت على مقربة منها السيارات المعدة للطوارىء . واستدعى ضباط الطيران فون فيلسك قائلين : « هلم بصحبتنا ، اذ يجب أن تحضر التفتيش ! » .. ووقف الجميع حول الطائرة فى شبه دائرة ، واذا برجل يرتدى ثياب ميكانيكى يخرج من الطائرة ، فأشعل سيجارة ووقف بكل تحد !

مفاجأة لم تكن فى الحسبان !

• **وهنا** خفق قلب « فون فيلسك » ، واشتد اضطرابه ، بينما قال له كبير الضباط — وكان برتبة جنرال — : « ها أنتذا ترى بعينى رأسك أن قائد هذه الطائرة هو طيارنا الشهير : راينفيلد ! » . ثم التفت نحو الاخير قائلا : « هلم يا راينفيلد ، يا لها من ورطة ! .. لعمرى ستصعقك الدهشة ! » .. **ولكن الدهشة كادت تصعقه هو ، وتصعق الجميع عدا « راينفيلد » بالذات . فقد قال هذا : « آسف ، لقد استدرجت الى الخيانة ! » .. ووجم الحضور لحظة ، ثم ارتفع اللغط والضجيج ، اذ اكتشفت آلة تصوير مخبأة فى الطائرة ، ومعدة لالتقاط صور من الجو للمواقع الهامة والمنشآت ! ولم يكن زميل « راينفيلد » فى الطائرة ميكانيكيا المانيا ، وانما كان فرنسيا** . وكانت أول كلمة فاه بها : « يا له من عمل قذر ! » . ثم أردف بلغة المانية فصيحة : « لا داعى هناك للانكار ! »

ونسى الجميع فى غمرة المفاجأة — واجراءات الاعتقال التى أعقبتها — أمر « فون فيلسك » . ولكنهم أسرعوا اليه ، عندما تذكروه ، فأدوا له التحية العسكرية ، معتذرين عما بدر منهم ، معبرين عن اعجابهم الشديد بكفاءة هيئة « الجستابو » ، مقرين بأن وزارة الطيران ستظل تقدر له هذا الصنيع !

وأسرع فون فيلسك — بعد أن ألقى نظرة أخيرة على الجاسوس الاجنبى ، والبائس راينفيلد — الى أقرب تليفون ،

فأبلغ رئيسه ما حدث . وهكذا أثبتت هيئة « الجستابو » جدارتها أمام السلطات العليا ، حتى ان قلم المخابرات بدا أمامها عاجزا ، لا منفعة منه .. بفضل « فون فيلسك » !

ولقد أبى راينفيلد أن يجيب عن أسئلة المحققين ، واكتفى بأن راح يبكى فى حسرة .. أما الفرنسى ، فقد أدلى للسلطات بما فيه الكفاية طائعا مختارا .. وصرح بأنه كان يقوم — منذ أشهر — بالتقاط صور لجميع معالم المانيا ، وأن هذه الصور قد وصلت منذ زمن الى أيدى السلطات الفرنسية المختصة !

اعتقال .. بعد منتصف الليل

« وأوى « فون فيلسك » — فى تلك الليلة — الى فراشه عند منتصف الليل ، وهو مطمئن الى أن الطائرة لن تعكر راحته . ولكنه لم يلبث أن استيقظ بعد ساعة ، على صوت جرس الباب يدق بشدة .. وما أن ازاح المزلاج ، حتى دفع الباب بشدة — من الناحية الاخرى — واذا أمامه ضابط بصحبة جنديين . وأدرك « فون فيلسك » ما وراء حضورهم ، وقد صح حدسه — كالمعتاد — اذ انهم جاءوا للقبض عليه ، دون ابداء أسباب ما ! .. ورافقوه بسيارة الى السجن العسكرى ، حيث قضى ليلة ليلاء . وفى الصباح ، قام رجال قلم المخابرات باستجوابه ، متهمين اياه بالجاسوسية . وسالوه قائلين : ((كيف عرفت أن بطائرة الاعلان جاسوسا ؟)) . وعبثا حاول أن يؤكد لهم أنه لم يكن يدرى ، وانه فوجىء — كما فوجىء كل من كانوا فى المطار — حين تطوع ((راينفيلد)) وزميله بالاعتراف .. ولم ينصت اليه المحققون ، بل اعتقدوا انه كان يتعاون مع الاعداء ، وانه — فى ساعة ندم — أراد ان يكفر عن جريمته بأن يفضح بعض جواسيسهم . ثم تحولوا يسألونه عن « مارى » .. تلك الشابة الفرنسية التى تقيم

معه فى بيته .

ولكن هيئة « الجستابو » كانت ذات إعوان فى قلم المخابرات ، فما ان علم المسئولون فيها بالقبض على فون فيلسك ، حتى احتجوا متعللين بأن « المخابرات » قد دبرت الامر ، بدافع من الغيرة من نشاط « الجستابو » . وراحوا يبذلون جهودهم ، حتى اطلق سراح « فون فيلسك » !

عروسان فى السويد

• ولم تمض ثلاثة ايام على هذا الحادث ، حتى كان « فون فيلسك » مع خادمته ـ المزعومة ـ يجلسان مع كاتب هذه السطور ، فى احد مطاعم السويد ، وقد تزوجا منذ ساعات .. وكان الرجل يلح على ، كى أساعده . فسألته : « ولكن كيف عرفت أن الطيارين كانا يلتقطان صورا من الجو لمعالم برلين ؟ » . فأومضت عينا « مارى » الجميلتان .. وعوضا عن التحدث بالالمانية ، خاطبتنى فجأة باللغة الفرنسية الصحيحة العذبة قائلة : « يا سيدى ، لقد كان هذا العزيز يعمل معى .. بل كان يعمل فى خدمة الطرفين الفرنسيين والالمان ، فان هذه كانت هى الطريقة الوحيدة التى نتجنب بها افشاء سرنا .. **لقد أوفدتنى السلطات الفرنسية الى برلين ، وكانت احدى مهماتى أن أتجسس على « فون فيلسك » نفسه ، لما كان معروفا عنه ـ فى الحرب الاولى ـ من نشاط مكافحة الجاسوسية . فاذا بنا نقع فى الهوى . وكان لا بد لنا من أن نخدع الالمان ، حتى نبعد الشبهات عن نفسينا !**

وبدت القصة بعيدة عن المعقول ، وساءلت نفسى : « اذن فلماذا لا يذهبان الى فرنسا ؟ » .. كان فى الامر سر لا يزال خفيا . لذلك وجدتنى أسألهما : « وماذا جرى للطيارين اللذين اعتقلا ؟ .. لا بد انهما دفعا حياتهما ثمنا لفراركما ! » .. وابتسمت « مارى » فى سحر خلاب ، وقالت : « لقد

كنت على علم بأمرهما ، كما اننى أعلم ان فى فرنسا جاسوسيين المانيين لقيا نفس مصيرهما . ومن ثم فلا بد من أن تسعى السلطات لتبادل أسيريها بأسيرى الاعداء ! »

وفى عام ١٩٤٨ ، وصلتنى فى المانيا بطاقة منهما بمناسبة عيد الميلاد ، اخبرانى فيها انهما فى طريقهما الى الصين .. ولست أدرى هل دفعهما الى هناك ميل شيوعى ، أو ان (واشنطن) هى التى أوفدتهما ؟ !

بهو الجمال .. فى هاوايى

• **وهذه** قصة الجاسوسية التى وقعت احداثها أثناء معركة (بيرل هاربور)

كان جنون المدنية قد طغى على عقول سكان جزر (هاوايى) فى ذلك الحين ، فاجتاحتها الموسيقى الامريكية الخفيفة ، واكتسحت الموسيقى القومية والاغانى التى كانت تنشدها الفتيات « البولينيزيات » الجميلات ، كما أجتاحت جزيرة (هونولولو) مشاعر جديدة . وسرت انباء هذا التطور الى سمع كل امرأة فى الجزيرة ، فقوبلت بالترحاب ، لا سيما من نساء رجال البحرية الامريكية .. أولئك الاميريكيات اللاتى كن يعشن بعيدا عن بلادهن . وما لبث أن افتتح فى الجزيرة « صالون للتجميل » على أحدث طراز امريكى ، فاذا به قبلة الجميع ، لا سيما وأن مديرته « روث » حرصت على أن تزوده بأفضل الاجهزة ، وعلى أن تجتلب له أمهر عمال التجميل وتصفيف الشعر . **فتوافدت مئات السيدات على ((صالون)) روث — الذى أطلقت عليه اسم ((بيوتى بارلور)) أى بهو الجمال — فكن يقضين اليوم فى تراخ وتكاسل واستجمام .. وسرعان ما أصبح هذا المكان مركزا للقيل والقال ، ولثرثرة النساء اللاتى لم يكن لهن من عمل سوى التحدث عمن وفد الى المدينة ومن غادرها .. عن العطلات ، والمهام التى ينتدب**

لها الرجال ، وعن السفن الوافدة والسفن الراحلة . فقد كانت هذه الاخبار هى حياة الجزيرة ومحور الاحاديث .

ولقد افتتح « الصالون » فى سنة ١٩٣٩ ، فى فترة لم تكن الحرب لتخطر فيها على بال أحد من سكان (هاوايى) ، اللهم الا نفر معدود من الامريكيين المقيمين هناك . ولكن الجاسوسية لا تقصر نشاطها على فترات ومناسبات معينة ، وانما هى مهمة مستمرة سواء فى السلم أو الحرب .

غرام جديد .. لوزير الدعاية الالمانية

• ولم تنبت المؤامرة ـ التى نحن بصددها ـ فى وزارة الحرب الالمانية ، ولا كان للأميرال « ولتر فيلهلم كاناريس » ـ كبير جواسيس المانيا النازية ـ يد فيها .. وانما كان الفضل كله لوزير الدعاية « جوزيف جوبلز » الذى انتحر عام ١٩٤٥ ، والذى أقام فى بدء عام ١٩٣٥ ، حفلا بالوزارة لجميع الموظفين ، كان من أفخم الحفلات وأبهاها ، فشعر كل فرد بالسعادة والفخر . أما « جوبلز » ـ ذلك الذى لم يكن ليستطيع كبح ولعه بالجنس اللطيف ، رغم أنه كان قد حظى بزواج موفق ـ فقد شعر فى تلك الليلة بأنه على وشك أن يبدأ مغامرة جديدة !

وكان بالحفل سكرتيره الخاص « ليوبولد كوهين » وقد اصطحب اخته الصغرى « روث » ، التى كانت تتمتع بجمال ساحر . وقد راقصها جوبلز طيلة الليل ، ثم استسلما معا للشراب ، وقضيا وقتا ممتعا ! .. وكان فى وسع كل فتاة ـ ولو كانت متوسطة الذكاء ـ أن تدرك أن مثل هذه المغامرة مع وزير الدعاية ، كانت حدثا كبيرا ! .. ولقد طوى الزمن دقائقها فى ضباب من الغموض ، فلم يقدر لاحد أن يعرف كيف انتهت ، ولكن الذى عرف هو أن وزير الدعاية قرر ـ على حين غرة ـ أن تغادر « روث » المانيا على عجل

.. ولم يدر احد اكانت زوجة جوبلز هى الدافع الى ذلك ، ام ان روث تغالت فى مطالبها ، أم أنها هددت « جـوبلز » بافشاء سرهما ؟ !

مصير « روث كوهين » .. فى الميزان

◆ **المهم** فى الامر ، هو أنه كان لا بد لروث كوهين أن تغادر المانيا .. ولم يكن « جـوبلز » على وفاق مع المخابرات السرية للجيش أو للبحرية . ومن ثم ولى وجهه شطر جهة اخرى . فقد كان الجنرال هاوسهوفر ، الذى كان يشرف على قسم الجغرافيا السياسية بجامعة برلين ـ حيث كان يتخرج اخصائيو السياسة الخارجية والجاسوسية ـ مدينا لجوبلز بما كان يستمتع به ، هو وانصار مدرسته الفكرية ، من امتياز ومكانة . ومن ثم فانه لم يكن ليتردد فى استخدام « روث كوهين » ، ما دامت هذه رغبة « جوبلز » !

وكان للجنرال فضل توثيق الروابط بين المانيا واليابان ، وكان رجال الحكم فى اليابان ، قد ابدوا رغبـة فى استخدام بعض البيض للعمل فى شبكة الجاسوسية والمخابرات السرية العسكرية فى اليابان . **فأسرع الجنرال ـ الذى قدر له أن ينتحر فى سنة ١٩٤٦ ـ يبين لجوبلز ما تراءى له من امكانيات، لا لاستخدام « روث » وحدها ، بل واستخدام والديها واخوتها أيضا ، اذا ما أتيح لهم شيء من المران ، لا سيما وأن صلة الاسرة بالجاسوسية لم تكن ضئيلة !** فان الدكتـور « برنارد جوليوس أوتو كوهين » ـ والد « روث » كان قد التحق بالبحرية الالمانية وهو فى الثامنة عشرة ، ووقع اسيرا فى أيدى الانجليز ـ فى الحرب العالمية الاولى ـ حتى اذا أطلق سراحه عند اعلان الهدنة ، عمل فى البحرية حينا ، ثم قرر احتراف الطب ، بعد أن دمر الحلفاء أسطول المانيا . كما اعتنق المبادىء النازية منذ مولدها ، وانشأ ابنته « روث » عليها .

ثم عمل فى هيئة « الجستابو » ، تحت رئاسة « هنريش هيملر » . ولما لم تجده صداقة « هيملر » نفعا فى الحصول على منصب كبير ، فقد طال به التذمر والتبرم ..

نشاط علمى ورياضى .. للأسرة كلها

• وهكذا جمعت رغبة « جوبلز » فى اقصاء « روث » ، الى تذمر ابيها من وضعه فى « الجستابو » ، فمزجا واتخذت منهما حجة لنفى « كوهين » وأسرته الى جزر (هاوايى) .. وهكذا رحل الدكتور ، وزوجته « فريدل » ، وابنه « هانز » — الذى كان فى السادسة ، وابنته « روث » ، فاستقروا فى الجزيرة ، متعللين بشغفهم بدراسة اللغة اليابانية ، وباهتمام الدكتور وابنته بالتاريخ القديم . ومن ثم فان كوهين وروث اخذا يقومان برحلات لتفقد الآثار ، فسرعان ما اكتسبا خبرة بالتخطيط الجغرافى لجزر (هاوايى) .. وكانت الفتاة مشغوفة كذلك بالبحر والرياضة البحرية ، فأخذت وأسرتها يكثرون من النزهات البحرية . ومع أن الام « فريدل » كانت ربة بيت مثالية ، الا ان واجباتها المنزلية لم تشغلها عن الاصغاء الى ما كان يدور فى الميدان العسكرى . كما قامت برحلتين سياحيتين الى اليابان ، فيما بين عامى ١٩٣٦ و ١٩٤١ .. **كل ذلك والمخابرات السرية الامريكيــة لا ترى ما يريب فى نشاط الاسرة ، بل ولعلها ما كانت لتشعر اها بوجود ، لولا أن « روث » أتقنت اللغة الانجليزية ، واكتسبت — بحبها للبحر — أصدقاء من ضباط البحرية ، وأصبحت تتردد على النوادى البحرية .**

وكانت الاسرة تبدى نفورا من النازية ، كما كانت تتظاهر بالثراء الفاحش ، وبأن لها موارد واسعة فى هولندا والمانيا ، مما أتاح لها أن تقتنى مسكنا كان من أفخم مساكن (هاوايى) وافخرها رياشا .

« الصالون » .. مركز لجمع الانباء !

• وهكذا وجدت « روث » طريقها ممهدة لتسقط انباء البحرية الامريكية فى الشرق الاقصى . ثم لم تلبث ان وجهت عنايتها الى ضباط الجيش ، متذرعة بجمالها . وفتنتها .. وتدفقت تقارير الاسرة على المانيا واليابان ، فقوبلت بتقدير خول لكوهين أن يطالب بمزيد من المال ، اذ أن شهوة «روث» — والاسرة كلها — الى حياة البذخ المترفة ، كانت فى ازدياد

وفى أوائل سنة ١٩٣٩ ، رغب الدكتور كوهين فى الاقامة فى مكان هادىء ، يتيح له التفرغ لدراساته . فانتقلت الاسرة الى (بيرل هاربور) . **وكان قلم المخابرات السرية اليابانى — الذى أوفدت « روث » الى جزر هاواي لخدمته — قد حدد أهدافه الرئيسية ، فكان على روث أن تعمل من أجل هذه الاهداف . وكأنما رغبت فى أن توحى الى المعجبين بأنها لم تكن راغبة فى الزواج ، وانها انما كانت تتقبل الغزل والمغامرات حبا فى الغزل والمغامرات فحسب ، فافتتحت « صالون التجميل » !**

وكان نجاح « الصالون » فوق ما تصورته « روث » والاسرة ، حتى أن الفتاة اضطرت الى الاستعانة بأمها .. واصبحتا تجمعان الانباء — فى مركزهما الجديد — وتفضيان بها الى الدكتور كوهين ، الذى كان — بدوره — يبلغها الى المختصين فى قنصليتى اليابان والمانيا ليحملوها الى السلطات.

جاسوس فى العاشرة من عمره !

• وفى ذات يوم ، استدعى « أوجيرو اوكودا » — نائب قنصل اليابان فى (هونولولو) — روث وأباها ، وأخبرهما بأن الوقت قد حان لتحرى البيانات الهامة عن القوات الامريكية فى المحيط الهادىء ، بدقة مدعمة بالارقام ، والتواريخ ، والمواقع .. وحار الدكتور فى ابتداع الوسائل ، ولكن « روث »

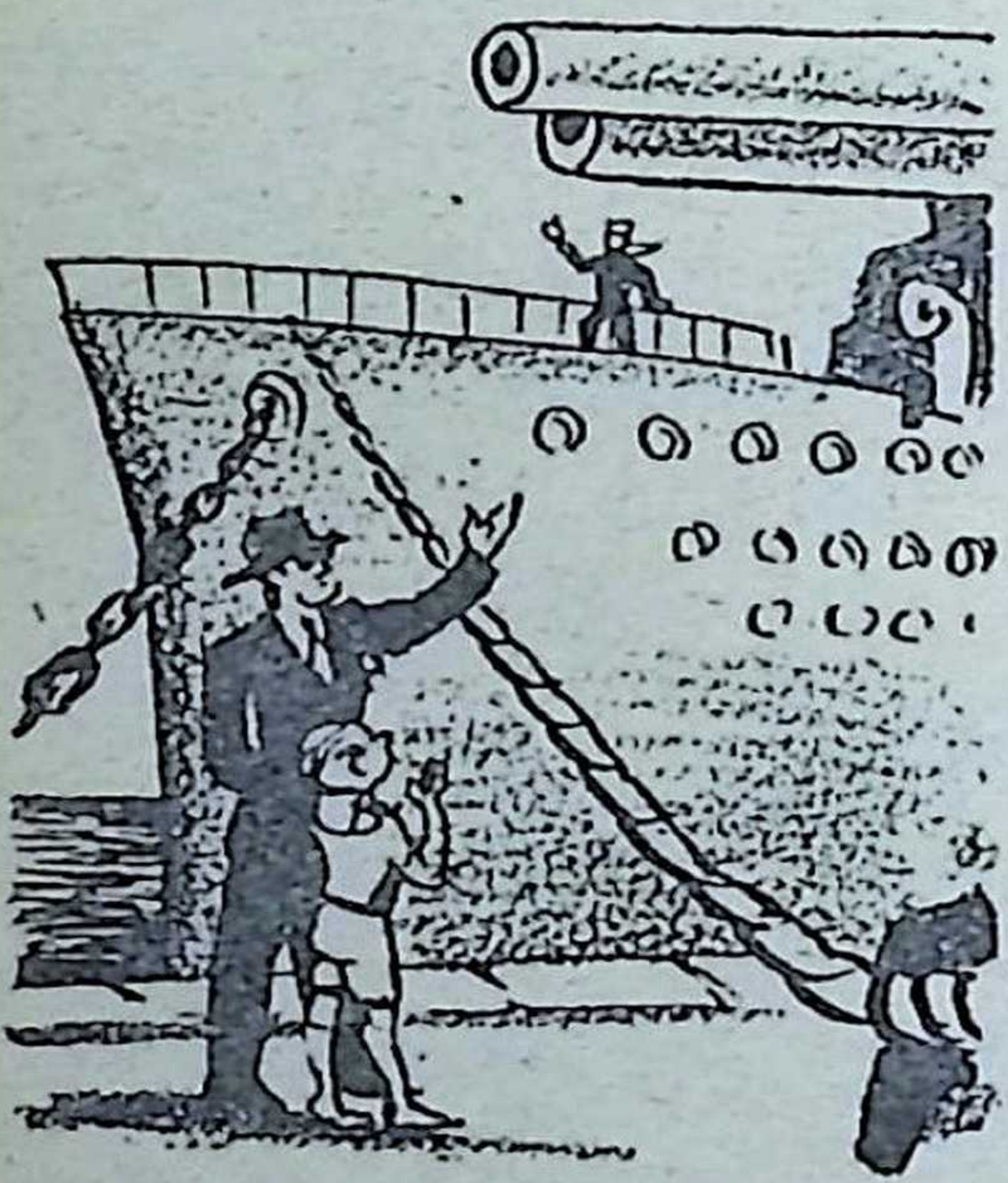

ضحكت لحيرته . وان هى الا أيام حتى أعلنت خطبتها الى أحد كبار رجال البحرية الامريكية فى (بيرل هاربور) ! .. وهكذا أصبحت تتنسم الانباء من قلب القاعدة الامريكية، ثم تصدر التعليمات لابيها ، فيسارع بتنفيذها ، ويقضى وقته متجولا مع ابنه الصغير ((هانز)) فى الميناء ، يريه البواخر ، ويشبع فضوله بشأنها ! .. ومع أن « هانز » لم يكن قد تجاوز العاشرة ، الا انه استطاع ان يكون عونا كبيرا لابيه واخته . وقد حدث مرة أن أبدى فضولا نحو بارجة امريكية ، فدعاه ضباطها الى الصعود اليها وحده ، اذ لم يكن من المباح للكبار الصعود اليها ، وراحوا يشرحون له كل ماكان الفضول يمليه عليه من اسئلة .. وأرادت « روث » ان تعبر عن شكرها للضباط ، فسهرت معهم فى تلك الليلة ..

وفى الصباح التالى ، كتب الدكتور كوهين الى (طوكيو) و (برلين) تقريرين .

مغامرة جاسوسية توقع بأمريكا اشد هزيمة

• وشجع هذا النجاح « روث » على الاندفاع ، فاقترحت على السلطات اليابانية أن ترسل تقاريرها الى الاسطول اليابانى مباشرة ، بالاشارات الضوئية البعيدة المدى . وكانت الخطة جريئة ، تنطوى على خطورة بالغة . ولكن الفتاة لم ترهب هذه الخطورة . وفى ٢ ديسمبر سنة ١٩٤١ ، قامت « روث » وأبوها بارسال بيانات عن البوارج الامريكية فى الميناء !

وعلى ضوء هذا التقرير ، أعدت اليابان خطة الهجوم الجبار الذى أوقع بالاسطول الامريكى أشد ضربة ، فى ٧ ديسمبر سنه ١٩٤١ .. وكان القنصل اليابانى قد أعد غواصة لنقله وأسرة كوهين الى (طوكيو) بمجرد البدء فى الهجوم . ولكن القدر كان قد رسم خطة اخرى .. ففى أثناء قصف المدافع، وانفجار القنابل ، اكتشف رجال المخابرات الامريكية ضوءا ينبعث من نافذة آل كوهين . وقبل أن تصل الغواصة الموعودة، كان أفراد الاسرة قد اعتقلوا ، ووجدت فى دارهم القرائن الدامغة

يشترى حياة الاسرة بفضح أسرار المحور

● وفى ٢١ فبراير من سنة ١٩٤٢ ، حكم على الدكتور كوهين بالاعدام رميا بالرصاص . ولكن غريزة المساومة فى دمه دفعته الى شراء حياة ابنته وزوجته ، بأن أدعى أن الاخيرتين بريئتان ، وانه وحده المسئول .. ثم ساوم على حياته هو بالادلاء الى السلطات الامريكية بأدق تفصيلات نشاط جاسوسية المحور فى المحيط الهادى .. وكان أن خفف حكم الاعدام — فى ٢٦ أكتوبر — بالسجن لخمسين عاما مع الاشغال الشاقه .. بينما أرسلت « روث » وأمها الى معسكرات الاعتقال . وما لبثت السلطات أن أفرجت عنهما بعد الحرب بسنوات ، وهما الآن مطلقتا السراح فى ألمانيا

وهكذا نجت « روث » الجميلة — صاحبة بهو الجمال ، وعشيقة جوبلز — من اعدام محقق ، بينما حمل أبوها القسط الاكبر من العقاب ! .. وسجل لهما التاريخ انهما كانا سبب اكبر هزيمة حاقت بالاسطول الامريكى !

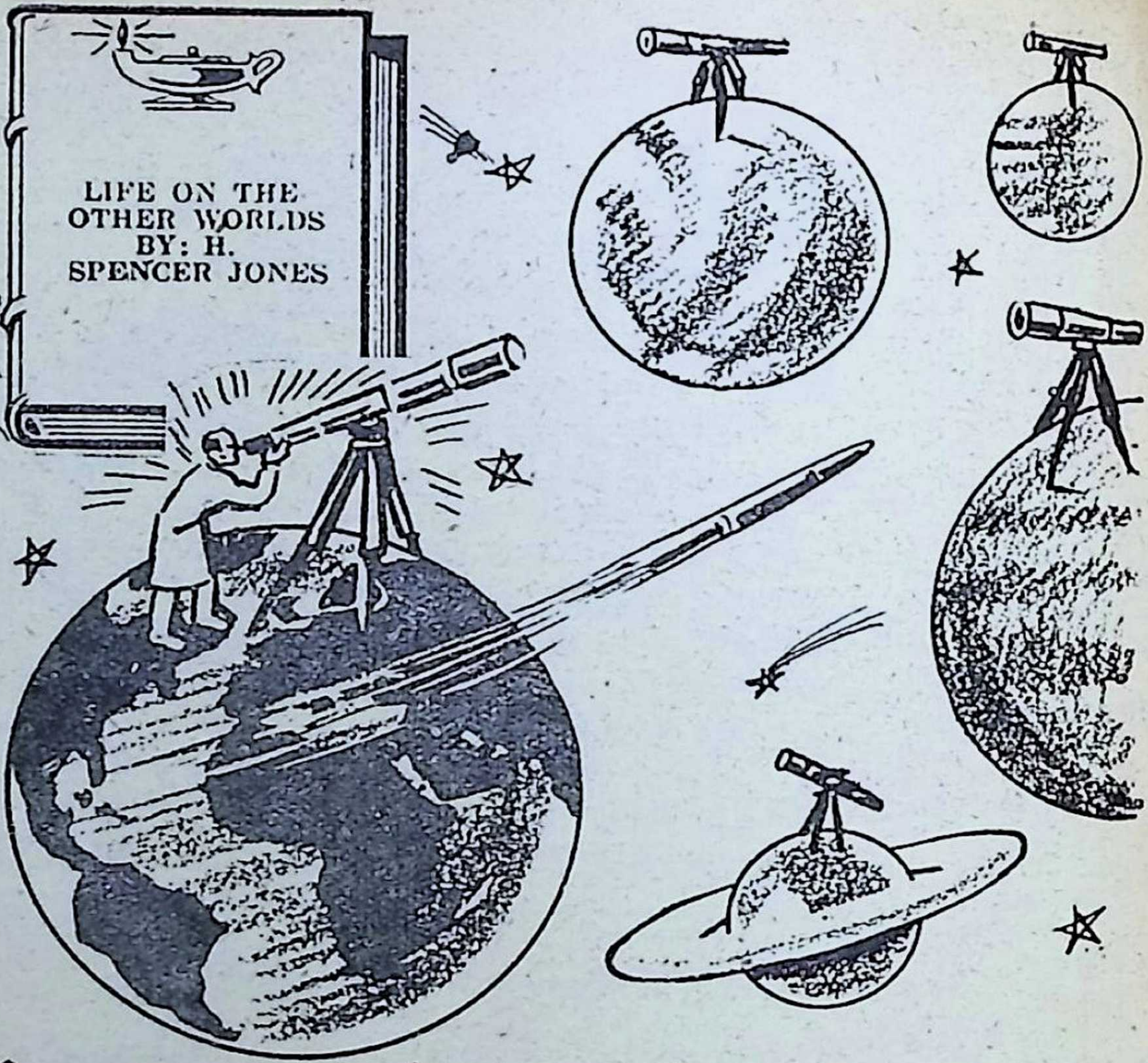

الحياة ونظام الكون!

هل في الكواكب الأخرى حياة ؟.. وهل هناك شموس غير شمسنا ؟.. أطرف تحليل علمي لنظام الكون وترتيبه

للعالم الكبير : هـ . سبنسر جونز

عرض وتلخيص : فوزي الشتوي

هذا الكون .. هل تعرفه ؟

• هل تستطيع أن تتصور أن شمسنا .. الشمس التى نخال انها اكبر الأجرام فى الكون ، ليست سوى نجم عادى فى مجموعة تتالف من ١٠٠ مليار نجم ، تسمى بمجرة « نهر التبانة » ؟.. وهل تستطيع أن تتصور أن العلم كشف ــ حتى الآن ــ عن ١٠٠ مليون مجرة كهذه فى الكون ؟.. فاذا علمت أن الارض تابع بسيط من توابع الشمس ، فهل بوسعك أن تتصور مكانة الارض من هذا الكون الزاخر ؟.. انها مجرد كوكب من ملايين الملايين من الكواكب ، بعضها نراه ، وبعضها لا نشعر اطلاقا بوجوده . ولكن العلم يأبى أن يقف جامدا ، فهو لاينفك يسعى الى التعرف على هذه الكواكب ، وعلى الكون الذى يضمها ، وعلى ما اذا كانت فيها حياة وحضارات وعقول واعية ، كما هو الحال فى أرضنا .. و ..

انها حقائق مذهلة ، نقدمها لك مبسطة فى الصفحات التالية ، لتضيفها الى ثقافتك

عازف الارغن الذى كشف مجاهل الكون

• نستطيع القول بأن دراسة تكوين الكون بدأت على يدى « وليام هرشل » (١٧٣٨ — ١٨٢٢) . كان موسيقيا من مواليد مقاطعة (هانوفر) ، ولكنه عشق الفلك والتحديق فى السماء . حتى اذا بلغ التاسعة عشرة من عمره ، نزح الى بريطانيا فى طلب الرزق ، فعين عازفا على الارغن فى كنيسة « أوكتاجون » بمدينة (باث) ، ووجد المجال ليمضى كل أوقات فراغه يرقب السماء .

وكانت المناظير الفلكية غالية الثمن ، مما دفعه الى محاولة صنعها بيديه ، فقضى الساعات الطوال ، وهو يصقل العدسات الزجاجية ، ويدرس أوضاعها حتى صار من أشهر صانعى المناظير فى زمنه !

وفى ١٣ مارس ١٧٨١ لاحظ فى السماء شيئا ، وسجله فى

مذكراته على انه جسم غازى غريب يشبه النجوم او الشهب . وقد ثبت بعد ذلك انه لم يكن الا الكوكب « يورانوس » ـ احد اتباع الشمس ـ الذى يعد اول كوكب اكتشفه انسان من الكواكب التى لم تكن تظهر للعين المجردة . وكان معنى هذا الكشف أن مدى أبصار الانسان فى فراغ الكون قد تضاعف ، لان المسافة بين الشمس و « يورانوس » كانت ضعف المسافة بين الشمس وزحل ، وهو أقصى ما وصل اليه ابصار الانسان اذ ذاك ! .. وقد أحدث هذا الكشف ضجة لفتت أنظار الملك جورج الثالث الى هذا الموسيقى الفلكى « هرشل » ، فعينه فى منصب « فلكى الملك » .

وقطع « هرشل » آخر صلة له بالموسيقى ، وانطلق لتعقب نجوم السماء ، فوضع لنفسه نظاما ثابتا لدراسة فراغ الكون وظواهره فى فترات معينة منتظمة . فكان يطيل الاحداق فى كل جسم يعترض بصره ، ويسجل كل ما يراه عنه من ملاحظات .

وراقب « نهر التبانة » ـ وهو ذلك الحزام الذى يطوق السماء ويشع بأضواء بيضاء ـ فرآه مجموعة كبيرة من النجوم المتناثرة ، وأحصى عددها ، فاستنتج أن الكون مجموعة ضخمة من النجوم التى تشغل حيزا كبيرا . وبنظرة ثاقبة ، وملاحظة دقيقة اكتشف نحو ٢٥٠٠ من مجموعات النجوم و « السدم » .. وهى أجسام غازية ذات أضواء متناثرة . وبهذه الاكتشافات والآراء ظفر العالم بأول فكرة عن تكوين الكون واتساعه !

قياس بعد النجوم وماضى السماء !

• **على** ان قياس ابعاد النجوم لم يتحقق الا بعد وفاة « هرشل » بنحو ثلاث عشرة سنة . اذ لجأ الفلكيون الى قياس زاوية رصد النجم من مكانين متباعدين ـ ومعروف

بعدهما — على سطح الكرة الارضية . وبمعونة المسافة المعروفة وزاويتى الميل فى المكانين أمكن رسم مثلث يبين بعد اى نجم عن الارض .. **ولكن ابعاد النجوم كانت ارقاما كبيرة، حتى أن عبارة ((أرقام فلكية)) أصبحت رمزا للأرقام الهائلة التى لا يكاد العقل يتصورها .**

ووجد الفلكيون أن الميل والكيلو متر مقاييس مربكة ، فآثروا أن يحسبوا تلك الابعاد بسرعة الضوء فى الثانية الواحدة ، وهى ١٨٦ ألف ميل فى الثانية . فنقول أن الشمس تبعد عن الارض ٨ دقائق ، اى ٨ × ٦٠ × ١٨٦٠٠٠ .. من الاميال ! . وبتوالى الدراسات وابتداع المناظير البعيدة المدى، وصل نظر الانسان الى مسافة ٥٠٠ مليون سنة ضوئية .. ولك أن تحسبها على الاساس السابق ، ثم حاول ان تقرأ الرقم !

ونحن حين نرقب السماء ونرى النجم القطبى وما حوله من مجموعات نجمية ، لا نرى فى الواقع المجموعات ذاتها ، وانما نرى ضوءها الذى شق الفضاء فى فترات مختلفة من عمر الزمن ، حتى وصل الينا بعد سنين قد تصل الى عدة ملايين ! ومن ثم فليس فى وسعنا أن نجزم بأن تلك النجوم تشغل المكان الذى نراها فيه .. بل ان الاصح أنها كانت تشغله فى الماضى ، وانتقلت منه الى سواه ، وربما زالت، أو تحولت الى شىء آخر لم نعرفه بعد . **فنحن فى الواقع نرى ماضى السماء ، أما حاضرها فسوف يراه أحفادنا ان قدر لعالمنا الارضى البقاء !**

وبالدراسات ، رأى العلماء أن قياس الابعاد بالوسائل الهندسية عديم الجدوى بسبب بعد النجوم الشاسع . وقاد هذا الخبراء الى ابتكار عدة وسائل شيطانية ، كحساب ذبذبة الاضواء فى بعض النجوم والوانها فى بعض آخر .

شمسنا مجرد نجم فى مجموعة هائلة

• وعلى هدى الدراسات الكثيرة المتعاقبة ، عرفنا الكثير عن الكون وأسراره . وهى معلومات أولية أعتمد كثير منها على الفروض والاستنتاجات ، بل وعلى التخمينات أحيانا .. وبرغم ضآلة علمنا بالكون ، فقد استطعنا أن نلم بفكرة عن مركزنا فيه ، فأدركنا أن الشمس التى نراها ليست مركز الكون – فى الواقع – وانما هى مجرد تابع طـرف مجموعة شمسية مترامية الاطراف ، يقدر عدد نجومها ، بنحو ١٠٠ مليار نجم ، ويسمى بمجرة « نهر التبانة » . وبمقارنة نظام هـذه « المجرة » بنظم المجرات الاخرى ، عرفنا أنها تشبه حجر الرحى الرفيع الاطراف ، المنتفخ من الوسط

ولكل من هذه المجرات – التى توصل العلماء الى مشاهدة ١٠٠ مليون مجرة منها – مركز تدور حـوله بقية نجوم المجموعة . **فتدور شمسنا حول مركز مجرة « نهر التبانة » بسرعة ١٧٠ ميل فى الثانية ، وتتم دورتها حول هذا المركز فى ٢٢٥ مليون سنة !** ولا تمتاز شمسنا عن بقية نجوم هـذه المجرة بأية ظاهرة فريدة ، وانما هى مجـرد نجم عادى بين ملايين النجوم التى ترى بعض حشدها الوافر فى ذلك الحزام الضوئى الذى نراه يطوق السماء كنثار أبيض .. فكل نقطة مضيئة من هذا النثار شمس لها توابع كشمسنا ، وبعضها أضخم عشرات المرات من شمسنا ، ولكننا نراها بهذا الحجم التافه لبعدها الشاسع . وبسبب هذا البعد أيضا نراها شبه ملتحمة ، فى حين انها – فى الواقع – متباعدة ، لا يقل الفراغ بين بعضها وبعض ، عن الفراغ المحيط بشمسنا . **وقد أمكن أخيرا رصد الكواكب التى تدور حـول نجوم مجرة « نهر التبانة » ، فقدر احد العلماء عدد ما يزخر منها بألوان الحياة ، بحوالى ١٠٠ مليون كوكب !** .. وحسب العالم الفلكى « جيمس

جينز » احتمال اصطدام نجم بآخر ، فوجد أن هذا الاحتمال جائز مرة واحدة فى كل ٦٠٠ الف بليون سنة . وهى فترة أطول من عمر النجوم التى تتحول وتتجدد وفقا لسنن الطبيعة كما عرفناها .. وهذا يعطينا فكرة عن دقة نظام الكون عامة !

هل الحياة قاصرة على كوكبنا وحده ؟

• **من** هذه الخلاصة العاجلة ، ترى أن كرتنا الارضية وكواكب النظام الشمسى تدور حول الشمس ، التى تدور بدورها حول مركز مجرة نهر التبانة ، والمجرة - بنجومها وكواكبها - تندفع بسرعة عاتية الى حيث لا ندرى ! .. فان علماء الفلك والحركة لم يوفقوا بعد الى العثور على أية ظاهرة تبين مصير هذه المجرات الحافلة بالعوالم .. حتى الفضاء لا نعرف له حدودا ولا ندرى كنهه وطبيعته ، وهل مادته فى حالة خلق ونمو ، أو هى فى حالة تحلل .. على أن الذى يعنينا هنا ، هو : **الحياة ونشأتها . وهل من المعقول - رغم كل هذا الخلق المذهل - أن تكون الحياة قاصرة على كوكبنا الارضى الصغير الذى لا يعدو أن يكون تابعا فى نظام شمسى فى طرف احدى المجرات ؟ !**

سؤال محير من المستحيل أن يجد جوابا قائما على أساس علمى قاطع ، وان سهلت الاجابة عنه بالفلسفة والمنطق العلمى . فليس من المعقول ان لا تتكرر فى بعض هذا الحشد من النجوم وكواكبها ، نفس البيئة التى أدت الى نشوء الحياة على الارض ، لا سيما أننا نلمح التماثل والتشابه فى تكوين النجوم وما قد يتبعها من كواكب ، فالطبيعة - فيما يبدو - تعمل بنظام ثابت ينطبق على شموس مجرتنا وعلى شموس المجرات الاخرى

بل ان من المتعذر أن يقال أن الكواكب البعيدة الشبه من كوكبنا فى البيئة - كالقمر - خالية من الحياة ، فمن الجائز

ان الحياة نشأت وتأقلمت وفقا لبيئة كل من هذه الكواكب ، كما تطورت حياتنا لتتلائم مع بيئة الارض . وقد أفتى بعض العلماء بأن فى القمر لونا بدائيا من الحياة ، وأن به جوا استدل على وجوده بظهور ضباب فى بعض بقاعه !

وحياتنا ــ على الارض ــ قائمة على تفاعل كيميائى أساسه الكربون (الفحم) .. وقد عرفنا فى الكون أكثر من ٩٢ عنصرا ، بعضها شديد النشاط والاتحاد مع سواه من العناصر لتكوين مواد جديدة ، وبعضها محدود فى تفاعلاته . والكربون الموجود على كوكبنا هو أنشط تلك العناصر وأكثرها اتحادا مع سواه لتكوين آلاف المواد . ومن الجائز فى العوالم الاخرى أن تعمل بيئتها على تنشيط أى عنصر آخر بحيث يضارع الكربون ويحتل مكانته فى بناء الخلية الحية ونشوء الحياة وتغذيتها .

العلوم الذرية تفسر حقائق الكون

• **وهذا** التفسير الكيمياوى قديم اذا قورن بما عرفناه من بيانات ذرية دلتنا على أن أساس تكوين مواد العالم جسيمات عددها اقل من عدد أصابع اليد الواحدة ، وهى «الالكترون» و « البروتون » و « النيوترون » و « البوزيترون » ــ كما شرحنا فى ملخصات سابقة فى « كتابى » ــ فمن هذه الجسيمات الاربع يتألف كل ما نرى فى الكون . ومن الجائز أن نتبين ــ فى المستقبل القريب ــ أن العدد الحقيقى اقل ، اذ يعتقد بعض العلماء أن «البروتون» يتألف من « نيوترون » و «بوزيترون»

اننا نحاول أن ندرس تركيب مواد الكون عن طريق تحليل الضوء ، فنلتقط ضوء أبعد الكواكب ، ثم نستخلص من موجاته حقيقة ما يحويه من مواد ، فندرك أن مادتنا شبيهة بمادة الكون ، وان الارض جزء منه ، وليست شاذة عنه . وبالتحليل الضوئى نستطيع القول بأن هذا النجم يسود فى تكوينه عنصر الحديد او النحاس ، **ولكننا نعجز عن الظفر بدليل على وجود**

الحياة حتى فى أقرب الكواكب الينا . وما نقوله عن وجود حياة على المريخ ليس سوى مجرد تكهنات واستنتاجات علمية ، بنيت على أساس وجود جو قريب الشبه بجو الارض . ذلك لاننا نحاول التثبت من وجود حياة فى الكواكب الاخرى عن طريق دراسة الحياة على كوكبنا الارضى . فان هذا اللون من الحياة هو الوحيد الذى نستطيع معرفته . واساس حياتنا هو عنصر « الكربون » الذى يؤلف الجانب الاكبر من الخلية الحية . وبفضل نشاطه وقدرته على الاتحاد مع العناصر الاخرى ، فانه يؤلف آلاف المواد ، فهو أساس المواد السكرية والنشوية والدهنية باتحاده بعنصرى الايدروجين والاكسيجين . كما أنه يؤلف المواد الزلالية بالاتحاد مع الايدروجين والازوت

وفى كل من هذه الحالات نجد أن الفارق الكيميائى بسيط ـ من حيث التركيب ـ ولكن المادة تتغير تغيرا جوهريا ، وتكتسب خواصا مختلفة عن خواص زميلاتها . وبفضل هذا الاختلاف يظفر الجسم الحى بمواد بنائه وتجديد خلاياه ، وبالوقود اللازم لنشاطه . فالغذاء المؤلف من هذه المواد هو أساس نشاط الجسم ونموه . وبفضل هذا الفارق الطفيف تستطيع خلايا الحى أن تعوض بعض ما ينقصها من مواد ، بتحويل مادة متوفرة لديها الى مادة تعوزها ، مما يجعل حياة الكائنات أكثر تلاؤما وانسجاما مع البيئة المحيطة بها ، سواء أكانت بيئة غنية أم فقيرة !

ولعل شدة نشاط « الكربون » هى التى جعلت طبيعة أرضنا تخصه بأن يكون أساس الحياة على ظهرها ، فمن خواصه الهامة عدم حاجته الى درجات الحرارة المرتفعة او المنخفضة فى تفاعلاته ، واتحاده مع غيره من العناصر . وهذه الخاصية تتلاءم مع جو كوكبنا الارضى ، وتجعل « الكربون » من العناصر المثالية لنشوء الحياة واستمرارها وتطورها . ومن الجائز أن يكون « السليكون » أساس الحياة فى كوكب

آخر ، لانه يأتى بعد « الكربون » فى النشاط والقدرة على الاتحاد بالعناصر الاخرى .

الحرارة والمادة والحياة

• والعناصر الكيميـاوية لا تعيش كيفما اتفق ، بل ان الحرراة تؤثر عليها ، وتحولها الى جسيماتها الذرية الاولية . ولهذا فانك اذا فحصت عناصر نجم شديد الحرارة ، وجدته خاليا من اى العناصر المعروفة لان مادته مؤلفة من جسيمات اولية . ويظهر تأثير الحرارة فى الشمس بوضوح ـ اذ تبلغ حرارتها نحو ٦٠٠٠ درجة مئوية ـ فلا تجد فيها سـوى مواد قليلة ـ تحتمل الحرارة المرتفعة ، ومن امثلتها « فلوريد السليكون » و « السيانوجين » .

واذا حولت جهاز التحليل الضوئى (المطياف) الى البقـع الشمسية ـ حيث تنخفض الحرارة نحو ألف درجة ـ تجد موادا جديدة مثل « اكسيد التيتانيوم » و « البـورون » ومركبات « الكلسيوم » و « المجنيزيوم » . أما اذا ما حولت المطياف الى النجوم الحمراء ـ التى تقدر حرارتها بنحو ثلاثة آلاف درجة ـ فانك تشهد الموجات الضـوئية الدالة على وجود المركبات البسيطة للكربون و « الزركونيوم » . ولكنك لا تجد أثرا للمركبات الكيمياوية المعقدة ـ الشبيهة بمركبات الاحياء من حيوان ونبات ـ لانها تتحلل بالحرارة !

وهذا هو السر فى أن الكائنات الحية ـ فى كوكبنا الارضى ـ شديدة الحساسية للحرارة ، لان مركباتها الكيمياوية تتـأثر بها . فنحن نغلى المواد اذا أردنا أن نعقمها أو نطهـرها من الميكروبات ، الى درجة الحرارة التى تقتل هذه الكائنات !

كذلك تؤثر البرودة على بعض المركبات الكيمياوية . فنجد ان بعض الوان الحياة تختفى فى درجات الحرارة المنخفضة ، كما أن من الجائز أن تبقى الحياة فى الدرجات المنخفضـة ،

ولكنها تكون كامنة ، لان مركباتها الكيمياوية لم تتحلل . ويبدو ـ فى هذه الحالة ـ أن العمليات الحيوية تتوقف بطريقة ما . ومن الجائز أن يوجد مثل هذه الحياة الكامنة فى بعض الكواكب الاخرى من توابع الشمس وغيرها من النجوم

وتحصل الحياة فى كوكبنا الارضى على مواد وقودها وبنائها من النبات والحيوان ، اللذين يستمدانها بدورهما من الشمس. ومن هذا يتراءى لنا أن النجوم الكبرى فى المجرات ـ كالشمس ـ هى مصدر النشاط الحيوى فى أى بقاع الكون . **ومقدار الحرارة أو الطاقة التى تصل الى توابع كل نجم هى التى تقرر احتمال وجود حياة شبيهة بحياتنا** . وهى تحتاج الى درجة حرارة معتدلة ، مما يتيح لنا أن نستنتج أن ارتفاع درجة الحرارة أو انخفاضها عن الحد المألوف يعنى انتفاء وجود حياة مماثلة للحياة على الكوكب الارضى

وتبعا لهذا الرأى نستطيع القول ان النجوم أو الشموس خالية من الحياة بسبب ارتفاع حرارتها التى تحلل المادة الى مركبات بسيطة يستحيل ـ تبعا لعلمنا ـ أن تؤلف لونا من الوان الحياة .. ومن ثم فلا سبيل الى حياة فى شمسنا !

البحث عن الحياة فى الكواكب

• **وتتجه** انظار الفلكيين الآن الى الكواكب أو توابع الشموس ، اذ أن الحرارة تنخفض فيها ، مما يتيح احتمال نشوء الحياة وتطورها ، وهم يحاولون العثور هناك على أوجه الشبه مع أرضنا ، فيدرسون **النبات الاخضر** ، الذى هو يبنى المواد النشوية والسكرية بعملية بسيطة ، اذ انه يمتص من الجو غاز ثانى اكسيد الكربون ، وبطريقة ما يجعله يتفاعل مع ضوء الشمس فيما نسميه بالتمثيل الكلوروفيلى، فيحول الغاز والضوء الى ثمار وخضروات نأكلها ، والى أخشاب وفحم نفيد من طاقته كوقود

وغاز الاكسيجين من أهم مقومات الحياة .. وبغيره تنتفى الحياة العادية ، فهو الاداة الهامة فى عمليات الاحتراق الغذائى، وتحويل الطعام الى مواد يمتصها جسمك ، ويفيد منها فيما يبذله من نشاط ، وفى بناء الخلايا وتجديدها . ومن الجائز ان تظفر بعض الاحياء بالطاقة اللازمة لها عن طريق التخمير ، ولكنها طاقة ضعيفة اذا قورنت بالطاقة الناشئة عن الاحتراق الاكسوجينى .

والماء من ضرورات الحياة كذلك .. ومن الجائز أن يكون سائلا أو بخارا . ففى التربة الرطبة تنشط عمليات الحياة فى البذور ، فتنمو وتتحول الى نبات وبراعم وثمار . وعملية الاخصاب نفسها لا يمكن أن تتم فى جو جاف ، بل ان الرطوبة المطلوبة تتوفر فى الارحام أو حيث يوضع البيض ، واذا ما انتفت الرطوبة فان الحياة تظل كامنة فى البذرة !

ولقد عرفنا فى جو ارضنا غازات سامة تعمر بالاحياء ، ومن الجائز أن تقتلهم ، مثل أول أكسيد الكربون والامونيا . وتشبع جو اى كوكب بواحد أو اكثر من هذه الغازات القاتلة، قد يكون دليلا على انتفاء الحياة فى هذا الكوكب .

وعلى هدى ما يفيد الحياة أو يضرها – على أرضنا – يحاول العلماء دراسة الكواكب الاخرى ، لتبين امكانيات الحياة عليها .. وهم يرجحون أن الحياة نشأت على الارض بفعل عوامل طبيعية معينة . وبفضل التقلبات فى بيئة الارض تطورت الحياة فى تؤدة وبطء . فكلما تغيرت ظروف الارض تغير ايضا هيكل الحياة ، واكتسبت أعضاء الحى الصفات والوظائف الملائمة للبيئة التى تعيش فيها . **وتبعا لهذا التأقلم لا يجوز أن نتوقع فى العوالم الاخرى حياة شبيهة كل الشبه بالحياة على أرضنا ، لان هذه الحياة تطورت تبعا لظروف البيئة .**

وتبعا لعلمنا الارضى ، يرى العلماء ان الجو هو أهم ضرورات الحياة ، ومن ثم فانهم يسعون لاكتشاف وجوده فى الكواكب

الاخرى .. وبتحليل الضوء القادم منها يحـاولون معرفة تركيب المواد فيها ، وتقدير العناصر السائدة هناك ، واهميتها بالنسبة للحياة . وفى هذا السبيل تسـتغل كل المعلومات البشرية عن العناصر الطبيعية ، ومن أهمهـا جاذبيـة تلك الكواكب ، ويمكن تقديرها من حسـاب كتلتها ، فكلما زادت الكتلة زادت قوة الجذب فكتلة الارض مثلا ستة أمثال كتلة القمر ومنها تعرف أن جاذبية القمر سدس جاذبية الارض .

أرضنا وكيف احتفظت بهوائها

• ولهذه الجاذبية اهميتها فى احتفـاظ الكوكب بالهواء حوله . اذ أن الغازات فى حركة دائمة ، وهى تنطلق بسرعة تختلف باختلاف تركيبها ــ فالهيدروجين ينطلق بسرعة ١٫١٥ ميل فى الثانية ، بينما يسير ثانى أكسيد الكربون بسرعة ربع ميل فى الثانية ــ وهى تبقى على الارض بفعـل الجاذبية ، وبفعل ضغطها من جراء تجمعها .

وبسبب الجاذبية الارضية ، نجد الجانب الاكبر من الغازات قرب سطحها ، وكلما ارتفعنا قل الهواء ، وصار متخلخلا . فنجد أن ٩٩ فى المائة من الهواء ، يحتشد فى المائة ميل الملاصقة لسطح الارض ، ويتناثر الواحد فى المئة الباقى فى مئات الاميال.

ومن خواص جزيئيات الغازات قابليتها للتمدد ، وشغل حيز أكبر . فجزيىء الايدروجين الذى لا يمـكن أن تراه بأقوى الميكروسكوبات على سطح الارض ، قد يصل الى حجم البيضة فى الارتفاعات العليا !

ويجوز فى الطبقات العليا من الجو ان تفر بعض الغازات من جاذبية الارض اذا اكتسبت سرعة تزيد على سرعة الجذب ، وقدرها ٧٫١ ميل فى الثانية . وهذا الاحتمال بعيد التحقق ــ لحسن الحظ ــ بالنسبة للاكسيجين ، فهو من ضرورات الحياة على الارض . والواقع أن جاذبية الارض تجعل من

المتعذر على أسرع الغازات أن يهرب منها ، ولكن الامر يختلف بالنسبة الى القمر ، اذ أن سرعة الجذب فيه ٥ر١ ميل فى الثانية ، بينما سرعة غاز الهليوم مثلا ١٥ر١ ميل فى الثانية . ومن السهل بفعل التصادم أن يكتسب الهليوم سرعة الافلات من جاذبية القمر فيغادره . وبسبب ضعف جاذبية القمر يعتقد علماء الفلك والحياة أنه خال من الجو ، وبالتالى فهو خال من الحياة . وان كان فيه من غازات فهى قليلة ، وشديدة التخلخل مما يجعل الحياة عليه مستحيلة فى رأى بعض العلماء .

اجواء الكواكب الاخرى فى المجموعة الشمسية

• **وعلى** هدى احجام الكواكب المحيطة بشمسنا ، نستطيع أن نقدر قدرتها على الاحتفاظ بالهواء حولها . فسرعة الجذب فى الشمس ٣٩٢ ميلا فى الثانية ، ومن المستحيل تقريبا أن يفلت منها أى غاز . واذا ما اغفلنا مسألة حرارتها ، فان الجو حولها يكون كثيفا للغاية .

واذا نحن قارنا كل كوكب من كواكب المجموعة الشمسية — من حيث حجمه وكتلته وسرعة افلات الغازات منه — بالارض ، **لوجدنا أن كوكب « الزهراء » هو أقربها شبها بالارض فى احتمال قدرته على الاحتفاظ بالهواء حوله ، فى حال مشابهة لما امتازت به الارض . واذا كان ثمة اختلاف ، فانه ينحصر فى أن كثافة الهواء الذى يحتمل أن يحيط بالزهراء ، تقل عن كثافة هواء الارض ..** ولو أننا أغفلنا العوامل الاخرى ، لوجدنا أن أكثر الاجواء كثافة هو جو الكوكب « المشترى » ، فى حين أن جو « المريخ » قليل الكثافة ، لصغر حجمه والضعف النسبى لجاذبيته . ولم نعرف بعد الى أى مدى تتأثر الحياة بهذا الاختلاف فى كثافة الهواء .

ولا نستطيع القول بأن معلوماتنا عن تلك الاجواء تامة

الصحة ، لاننا نراها من قاع الغلاف الهوائى حول الارض . ولهذا الغلاف تأثيره على الاشعة القادمة الينا ، اذ أنه يمتص جانبا منها ، مما يجعل دراستنا لها ناقصة . ومن أهم العناصر الناقصة للدراسة ، الاشعة القصيرة المعروفة باسم « ما فوق البنفسجية » . وهذه من معجزات الخلق ، اذ أن وصولها الى الارض يجعل استمرار الحياة متعذرا ، لانها تضر بالبصر وتحرق الاجسام الحية ! .. **وقد شاءت حكمة الخلق أن لا يكون الغلاف الهوائى درعا مانعا كل المنع ، بل انه يكتفى بتنقية هذه الاشعة من ضراوتها ، ويسمح لها بالنفاذ الى الارض لتكون احدى نعم الحياة ، اذ أنها بحالها هذه ، تحول دون اصابة الناس بأمراض الكساح ولين العظام .** وهذه البقية ــ التى تصل الينا من الاشعة فوق البنفسجية ــ ملموسة الاثر فى المصايف حيث يكتسب الناس تلك البشرة الصحية البرونزية اللون ، ولكن كثرة التعرض لها بغير وقاية ، يؤدى الى احتراق الجلد والتسلخ .

الغلاف الهوائى ودرجة الحرارة

• **وبالوسائل** العلمية والفنية المختلفة ، يستطيع الخبراء جمع كثير من المعلومات عن حالات الجو فى الكواكب المختلفة ، ومعرفة مدى تشابهها ، أو اختلافها عن حالة جو الارض . وللغلاف الهوائى حول اى كوكب أهميته فى تقدير درجة الحرارة السائدة فى هذا الكوكب ، لان الهواء يعتبر كغطاء يمنع تسرب الحرارة من الكوكب .. **فعدم وجود غلاف هوائى حول القمر يعتقد الخبراء أن درجة الحرارة تنخفض على سطحه الى ١٥٠ تحت الصفر فى حالة غياب الشمس ، ثم ترتفع الى ١٢٠ مئوية عندما تسقط عليه أشعة الشمس .**

والحرارة من العوامل التى تؤثر على جزئيات الغاز وتكسبها سرعة قد تؤدى الى افلاتها من جاذبية الكوكب ، كما أوضحنا

من قبل .. فاذا ارتفعت حرارة الارض الى درجة ٨٨ ـ مثلا ـ فان الهيدروجين يكتسب سرعة تتيح له مغادرة جونا .

وفى عصور تكوين الارض ، كانت درجة حرارتها مرتفعة جدا ، مما جعل العلماء يرجحون أن أكثر هوائها غادرها فى تلك الحقبة من الزمان .

جو الارض جديد

• **ويعتقد** بعض العلماء أن الجو الحالى جديد على الارض ، وانها فقدت كل هوائها الاصلى . ونشأ الغلاف الهوائى الحالى من التقلبات الطبيعيـة ، وتفاعـلاتها الكيمياوية التى أطلقت غازات الغلاف الهوائى الحالى من مواد أخرى كان متحـدا معها . فالاكسيجين كما نعرف يتوفر فى أكاسيد المعادن . ومن الملاحظ انه أكثر الغازات انتشارا فى غلافنا الهوائى ، وهو اكثرها نشاطا واتحادا من ســـواه من المواد ، بينما الغازات النادرة على الارض ـ كالهليوم والكزينون ـ يندر أن تتحد مع غيرها ، وبالتالى يندر انطلاقها من المواد الاخرى .

وهكذا فقدت الارض فى بدء حياتها جوها الاول الذى كان غنيا بالايدروجين والهليوم ، ثم صنعت جوها الخاص بينما كانت تبرد . وفى تلك الحقبة نشـأت المحيطات ، وظهرت الحياة النباتية . وكان جو الارض غنيا بغاز ثانى أكسـيد الكربون الخانق للحيوان ، ولكن النبات استعان بهذا الغاز فى حياته وحوله الى أكسيجين ، لتنشأ مملكة الحيوان ، وتتطور فتخرج الانســان ! .. وفى الوقت ذاته ـ وبفعل التقلبات الارضية من زلازل وبراكين ـ طوت القشرة الارضية جانبا كبيرا من غاباتها ، فحولته بالضغط والحرارة الى فحم حجرى ، استعان به الانسان فى خلق المدنية التى ننعم بها !

والجو ـ كما رأينا ـ من أهم عوامل نشوء الحياة وبقائها ، وبغيره نرى أن الحياة مستحيلة . وعلى هدى دراساتنا لاجواء

الكواكب ، نحاول أن نكون فكرة عن ألوان الحياة فيها ، فنقرر ان **الكواكب الصغيرة الحجم تفقد غازاتها باستمرار لان قوة جاذبيتها ضعيفة ، ومن ثم يستحيل أن تظهر عليها ألوان حياة شبيهة بالحياة على الارض ، وان جاز أن تظهر فيها ألوان حياة لا عهد لنا بها ، ولا نعرف أى شىء عن أسرارها !**

وبالدراسات المختلفة يرى الخبراء أن القمر يستطيع الاحتفاظ بثانى أكسيد الكربون وغيره من الغازات الثقيلة ، أما الاكسيجين والآزوت والهليوم وبخار الماء ، فلا يمكن أن يطول بقاؤها هناك ، بل سرعان ما تغادره ، وتنطلق فى فراغ الكون . ولو رفعت حرارة القمر الى درجة ١٠٠٠ ، فانه يفقد ثانى أكسيد الكربون فى بضع سنوات . ويعتقد العلماء أن القمر فقد الآن كل الغازات التى كانت تحيط به ، وان كان البعض يرى انه يحتفظ ببعض غازاته مما شهدوه على سطحه من قرائن تدل على وجود بعض منها

ولم يشهد القمر أى أنواع من الكائنات المفكرة فان سطحه مجموعة من المرتفعات والوديان والفوهات التى تشبه فوهات البراكين . وهى تحوى عدة ظواهر غريبة لا تدل على أن حياة عاقلة مدبرة نشأت هناك ، فتناولت سطحه بأى تهذيب أو تعديل لما تسطره الطبيعة من ظواهر !

الكوكب عطارد

● **ويأتى « عطارد »** بعد القمر من حيث الكتلة والقدرة على الاحتفاظ بالجو ، وتقدر سرعة الافلات منه بنحو ٢ر٤ ميل فى الثانية . ودرجة الحرارة فى الجزء الذى يتعرض منه للشمس تبلغ نحو ٤٠٠ درجة مئوية . وبفعل هذين العاملين يرى الخبراء انه فقد جوه فقدانا تاما . ولم يتمكن أى الراصدين من العثور على ظواهر توحى بوجود غازات على سطحه .

وعطارد هو أقرب الكواكب الى الشمس ويدور حولها فى

نحو ٨٨ يوما فى مدار بيضاوى تكون أقرب نقطة على بعد ٢٨٫٥ مليون ميل من الشمس ، أما أبعد أوضاعه عنها ، فعلى بعد ٤٣٫٥ مليون ميل . وهو أسرع الكواكب فى الاسرة الشمسية . وتتفاوت سرعته بين ٢٤ و ٣٦ ميلا فى الثانية ، تبعا لبعده أو قربه من الشمس . **وهو يتجه اليها دائما بوجه واحد ، ولهذا كان طول سنتنه هو طول يومه ، أى ٨٨ يوما من أيام الارض !**

وبسبب مداره البيضاوى ، يختلف توزيع الليل والنهار على سطحه ، فنرى ثلاثة أثمانه فى نهار أو ليل دائم ، بينما الربع الباقى معرض لانحرافات الشمس فى شروقها وغروبها فى الفصول المختلفة . ويعتقد الفلكيون أن الكوكب عطارد خال من الحياة ، فسطحه المعرض للشمس يشع حرارة تذيب معدنا كالرصاص ، ولا مجال فيه لتكوين الجزئيات المعقدة الضرورية لظهور الحياة . أما جوه البعيد عن الشمس فشديد البرودة مما يجعل أى تفاعل كيمياوى فى دور خمول لا يتفق مع أى الوان الحياة المعروفة ..

« الزهراء » .. توأم الارض

• **ويأتى** بعد عطارد فى البعد عن الشمس كوكب « الزهراء » ، وتسمى بتوأم الارض ، لانها أقرب الكواكب شبها بها من حيث الكتلة ، فيقدر قطر « الزهراء » بنحو ٧٧٠٠ ميل ، بينما قطر الارض ٧٩٢٧ ميلا . **أى أن قدرة كل منهما متساوية تقريبا فى جذب الغازات والاحتفاظ بغلاف هوائى حولها .**

و « الزهراء » هى أقرب الكواكب الى الارض ، باستثناء القمر ، وهى فى أقرب نقطها الينا تبعد ٢٦ مليون ميل ، أما أبعد نقطها عنا فيصل الى ١٦٠ مليون ميل .. وهى تقع بيننا وبين الشمس ، ولها ظواهر لمعان لم تلاحظ فى أى نجم أو

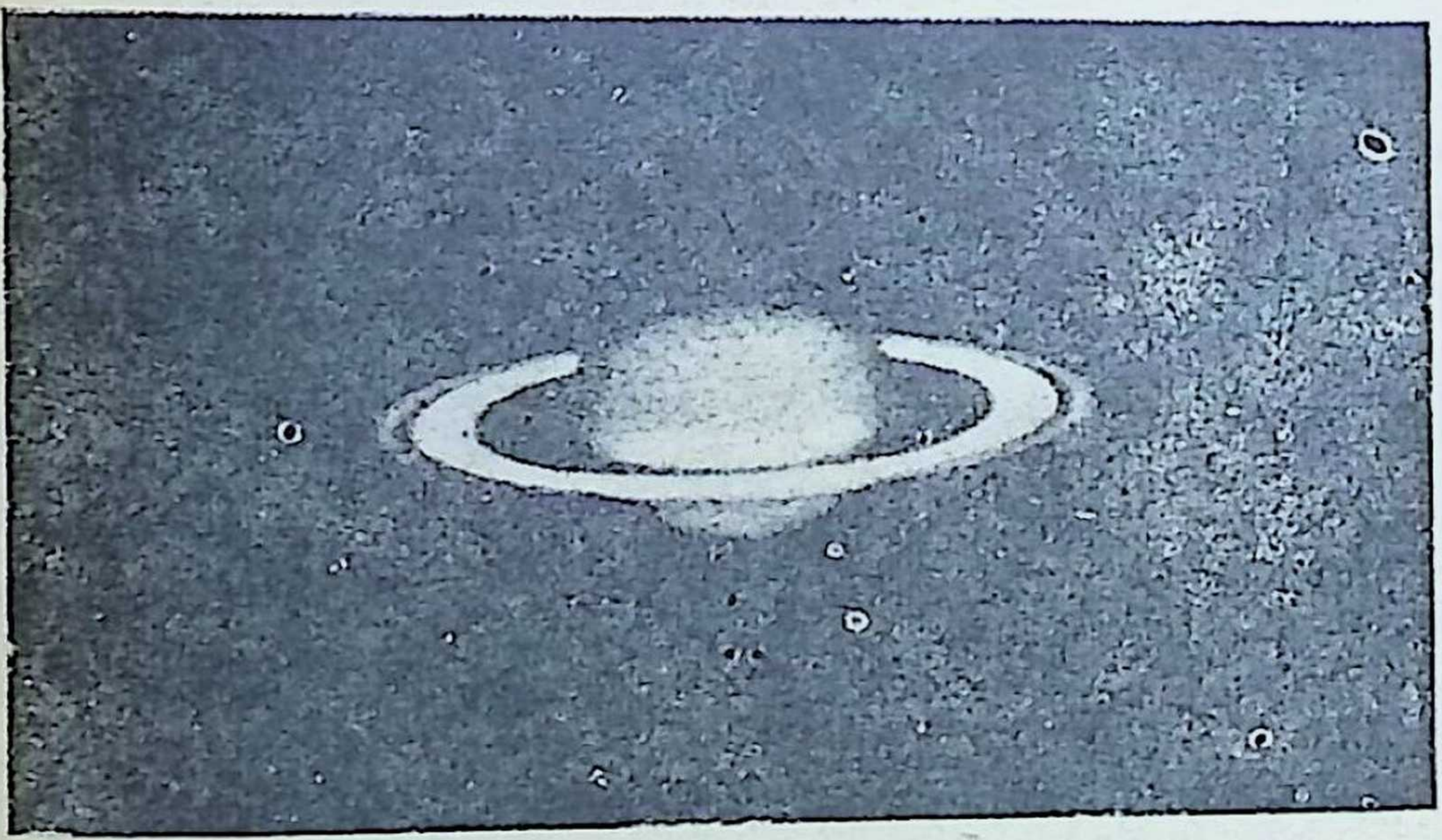

الزهراء وحولها حلقتها الفريدة ، ويقال انها كانت قمرا وتفتت

كوكب آخر . ويعتقد بعض الفلكيين أنها الكوكب الذى شهده المجوس عند مولد السيد المسيح !

وتقدر سنة الزهراء بنحو ٢٢٥ يوما ، أما يومها فمجال اختلاف كبير ، اذ يدعى البعض أن يومها لا يختلف كثيرا عن يوم الارض ، بينما يدعى آخرون أن يومها هو سنتها ، أى ٢٢٥ يوما من الايام الارضية . والسبب فى هذا الاختلاف البين أن سطح الزهراء محجوب عن الرؤية بسحب كثيفة . كما أن البعض يعتقدون أنها تعرضت لجاذبية شمسية جعلتها تتجه بوجه واحد الى الشمس

ويتفاوت تقدير درجة الحرارة على سطحها بين ٢٠ تحت الصفر و ٦٠ مئوية . وعندما فحص جوها بالمطياف ظهر أنه خال من الاكسيجين وبخار الماء ، ولكنه غنى جدا بغاز ثانى اكسيد الكربون مما دل على أن أرضها فى الغالب صحراوية ،

لان بخار الماء ضرورى لحياة النبات . ولو كان ثمة نبات فى « الزهراء » لحول ثانى أكسيد الكربون الى أكسيجين كما نعل على أرضنا التى طردت كل جوها عندما كانت درجة حرارتها مرتفعة

ويعلل الخبراء خلو جو « الزهراء » من بخار الماء الى أن الزلازل والبراكين توقفت هناك ، بينما كانت درجة حرارة الكوكب مرتفعة ، وبعد أن كان قد طرد ما على سطحه من غازات . وتذكر أن الارض أُنتجت بخار مائها بفعل الزلازل والبراكين التى استمرت فى عملها بينما كانت الارض تبرد ، وتقوى على حفظ الغازات الناشئة عن البراكين ، فحفظت بخار الماء الذى سبب نشوء النبات ، وهذا بدوره حول ثانى أكسيد الكربون الى أكسيجين . ويرى العلماء أن السحب التى تحجب جو الزهراء ليست فى الواقع الا أعاصير عاتية تثير الرمال والاتربة وتحجب كل سطح الكوكب !

هل أهل المريخ أرقى منا ؟

، ويلى « الزهراء » الارض ، ثم المريخ ، وتقدر سرعة الافلات من جوه بـ ٢ر٣ ميل فى الثانية ، وحرارته أقل من الارض لبعده عن الشمس . ويعتقد العلماء أنه يحتفظ بجو غنى ببخار الماء والغازات الثقيلة ، ولكنه فقير الى حد كبير فى الهيدروجين والهليوم والغازات الخفيفة . وهو يلف حول الشمس فى مدار بيضاوى يقطعه فى سنتين وخمسين يوما — بحساب الارض — ويدور حول محوره فى ٢٤ ساعة و ٣٧ دقيقة

وهو يبعد عن الارض مسافة تتفاوت من ٢٦ الى ٦٣ مليون ميل ، ويبلغ قطره نحو ٤٢١٥ ميلا ، أى أنه اطول قليلا من نصف قطر الارض . وأفضل وقت لرصده شهر اغسطس . ففى هذا الشهر يبدو واضحا لاهل الارض مرة فى

كل سنتين . ودراسته أيسر من دراسة كوكب الزهراء الذى يعد أقرب الكواكب الى الارض . فنحن نرى المريخ واضحا فى ضوء الشمس ، ولكننا لا نرى من الزهراء سوى هلال رفيع لا يفصح عن كثير من معالمها

ورغم دقة كثير من المعلومات التى ظفرنا بها عن المريخ ، فان الحديث عن الحياة فيه من المسائل العسيرة . وفيه راى الفلكيون كثيرا من الظواهر المحيرة التى اختلفوا فى تفسيرها ، ومنها تلك الخطوط الهندسية المنتظمة التى تظهر على سطحه فى بعض المواسم ، **فيرى فريق من الخبراء أنها مشروعات رى ضخمة ، ومجموعة قنوات تتشعب فى شتى أنحائه لتروى أراضيه ، وهى — فى عرفهم — عمل انسان تقدم الى حد كبير فى ميدان العلم والمعرفة ، وبز انسان الارض ، وتفوق عليه فى الابتكار وانشاء المشروعات الجبارة !** . ويعللون تقدم انسان المريخ على انسان الارض بأن الحياة فى المريخ سبقت الحياة على الارض ، مما أتاح لاهله فرصة السبق والنضج التطورى

على أن هذا الرأى ينهار أمام منطق علمى آخر ، وهو أن الخطوط الهندسية الدقيقة التى نشهدها على سطح المريخ قد لا تكون هندسية قط ، ولكنا نراها كذلك بفعل المسافة .. ويضاف الى هذا أن الخطوط التى تظهر على طول الكوكب وعرضه لم تسجل فى وقت واحد ، بل سجلت على مراحل ، وفى أوقات متباعدة ، لان الكوكب لا يكون فى أحسن أوضاع الرصد سوى وقت قصير لا يسمح بتسجيل هذه الخطوط فى وقت واحد

ومن الثابت لدى علماء الفلك أن للمريخ قطبين يغطيهما الجليد فى فصل الشتاء ، فاذا ما أقبل الصيف ذاب الجليد واختفى . وبه أيضا سحب تتجمع وتتناثر وفقا للمواسم المختلفة . **ومن المرجح أنه يشهد بعض ألوان الحياة التى يمكنها الاعتماد على كميات الاكسيجين القليلة التى بقيت**

فيه . ومن المحتمل أنه نشهد نوعا راقيا من الحيـــاة التى تطورت وتأقلمت بتغير جوه !

ووفقا لسنن التطور ، يرى الخبراء أنه كوكب فى طـريق الموت ، فان للتطور مدى محدودا يتعذر القـــول بتجاوزه ، وحالة المريخ الآن بجوه المتخلخل وأكسيجينه القليل لا تسمح للتطور بالاســـتمرار فى تغيير أسس الحياة وجعلها ملائمـة لهذا الجو البعيد عما ألفنا على سطح الارض !

كواكب ضخمة

• وتلى المريخ اربعة كواكب ضخمة ، هى « المشـــترى » و « زحل » و « يورانوس » و « نبتون » .. وكلها أكبر من الارض ، مما يدل على قدرتها على الاحتفاظ بغازاتها وجوها. وتبعا لبعدها عن الشمس ، فهى أبرد من الكواكب الســابقة لها ، ولهذا نجدها تحتفظ بجو كثيف حولها ، مما جعلهـــا تتشابه أمام أجهزة الباحثين . واقربها الينا هـو المشترى ، واقرب أوضاعه تبعد عنا ٣٦٧ مليون ميل ، بينما ابعدها عنا تصل الى ٦٠٠ مليون ميل .. ونحن نراه ــ عندما نرقبـه بالمنظار ــ قرصا بيضاويا لامعا تخطه عدة علامات فاتمة تبدو كأحزمة متوازية حوله . ومن الظواهر العجيبة فيها أنها تدور بسرعات متفاوتة ، فبعضها سريعة ، وبعضها بطيئة نسبيا ، وان كان معدل سرعاتها يصـــل الى ٢٠٠ ميل فى الساعة . **ويستنتج الفلكيون من دراستها أنها ظواهر جوية ، وان هذا الكوكب هو أسرع الكواكب فى دورانه حول محـوره فى ١٠ ساعات من الزمن .**

ويرجح الخبراء أن هذه الاحزمة الموازية لخط اســتوائه تيارات ضخمة تغطى مساحات شاسعة يتفاوت طولها مـن عشرة آلاف الى خمسة عشر ألف ميل . وفيها علامات تكاد تكون ثابتة ، ومنها البقعة الحمراء الكبيرة التى تمتد ٣٠ ألف

((المشترى)) وعلى سطحه الاحزمةالمتوازية

ميل فى شكل بيضاوى عرضه ٧ آلاف ميل . **ويقال أنها شوهدت فى عام ١٦٦٤ ولا تزال باقية حتى الآن ، وان كان لونها الاحمر لا يستقر على حال من الثبات !**

وهناك أيضا المنطقة السمراء التى تقع جنوب البقعة الحمراء ، وهى فى المنطقة الاستوائية الجنوبية للكوكب . وهى أسرع من البقعة الحمراء ، وعندما تمر بها وتسبقها ، فانها تجذبها خلفها عدة آلاف من الاميال . وألوان أحزمة المشترى من أبدع المناظر وأغربها من حيث التوزيع . واذا ما ظهرت الالوان الحمراء والخضراء والزرقاء فى النصف الشمالى ، فانها تختفى من النصف الجنوبى الذى يبدو عديم اللون ، واذا انتقلت الالوان الى النصف الجنوبى تجرد منها الشمالى !

ومضت فترة ساد فيها الاعتقاد بأن المشترى كوكب ملتهب ، ولكن الدراسات الاخيرة بالاجهزة الحديثة دلت على أن درجة حرارته لا تتجاوز ١٤٠ تحت الصفر . **وهى حرارة يتعذر على العقل البشرى أن يتخيل صلاحيتها لاى أنواع الحياة !**

وتتشابه أحزمة المشترى مع أحزمة أخرى حول زحل الذى اشتهر بالحلقة الفريدة حوله ، ويقال أنها عدد لا يحصى من الاجسام الدقيقة التى تلف حوله . وفى وسعك أن تقول أنها أقمار متناهية الدقة ، بل أن بعض الخبراء يقولون أنها كانت قمرا ، ولسبب ما اقترب من الكوكب ، فأصابه التفتت .

ويستبعد العلماء أن تكون هذه الحلقة مادة سائلة أو غازية ، لانها فى اى الحالتين كانت تتناثر وينحل ترابطها

ودرس الخبراء احزمة زحل ، فوجدوها أكثر انتظاما من احزمة المشترى ، وتختلف عنهـا فى خلوها من العـلامات الغريبة . على أن دراستها دلت على أن يوم زحل ــ أى دورته حول محوره ــ تبلغ ١٠ ساعات و ٣٨ دقيقـة أى أنه أبطأ قليلا من سلفه المشترى ، كما دل قياس الاشعاع الصادر من زحل على أن حرارته تنخفض الى درجة ١٥٥ تحت الصفر

« يورانوس » و « نبتون »

• بقى أمامنا من التوابع الضـخمة للشمس الـكوكبان يورانوس ونبتون ، وهما على بعد قصى لا يسمح بمعرفة كثير من امرهما . وكل ما شوهد منهما مظهر أحزمة متوازية مع خط استوائهما ، مما يوحى بتشابههما بالكوكبين السـابقين زحل والمشترى . ولم يتيسر للعلماء رؤية أى العلامات الثابتة لتقدير مدة دوران كل منهما حول محوره ، ولكنهم يستنتجون من اختلاف لمعانهما أن يوم يورانوس ١٠ ساعات و٤٥ دقيقة، ويحتمل ان يمتد اليوم الى ١٥ ساعة فى نبتون

وتقدر درجة الحرارة السائدة فى الكوكبين بأقل من ١٨٠ تحت الصفر . واذا ما انتقلنا الى مسـألة الوزن والحجم ، فاننا نعثر على ظواهر عجيبة ، فكثافة المادة فى كل التوابع الضخمة للشمس قليلة ، وهى فى كوكبنا الارضى ضعف كثافة الماء خمس مرات ونصف المرة . ولكنها فى المشترى ٣٤ر١ ، وفى زحل ٧١ر. ، وفى يورانوس ٢٧ر١ ، وفى نبتون ٥٨ر١ .

ومن الملاحظ أن كل هذه الكثافات أقل من كثافة أى من الصخور . وليس معنى هـذا أن هـذه الكواكب خالية من الصخور والمعادن ، بل ان العلماء يعللون هذه الظاهرة بضخامة جو هذه الكواكب وعمقها . فهى تبدو أمام عيوننا ضخمة ،

ولكنها كالاسفنج الذى يؤلف الهواء أكثر حجمه !

ومن الآراء التى تظفر بتقدير العلماء عن تكوين هـذه الكواكب ، رأى العالم « جفريز » ، الذى يقول بأنها تتألف من لب صخرى صغير الحجم ، وحوله قشرة من الجليـد الذى نشأ من تجمد بخار المـاء عندما انخفضت درجة الحرارة .. وحول القشرة غلاف آخر ضخم من الغـازات والسحب . وبالعمليات الحسابية قال الدكتور « روبرت ولدت » أن قطر اللب الصخرى فى كوكب المشترى يبلغ ٢٢ ألف ميل ويشغل ثمن حجم الكوكب . وحول هذا اللب قشرة من الجليد سمكها ١٦ ألف ميل ، ويليه غلاف من الغازات يمتـد ٦ آلاف من الاميـال .

ويبلغ قطر اللب الصخرى فى زحل ١٤ ألف ميل ، وحوله طبقة جليد سمكها ٦ آلاف ميل ، وحولها طبقات غازية تمتد ١,٦ ألف ميل . وبالاستنتاج والحساب يحاول العلماء معرفة مزيد عن هذه الكواكب الضخمة . ومن أهم الظواهر التى لفتت أنظارهم مسألة الضغط الجوى أو الغـازى فى كل منها .

وكل منا يحمل على كتفيه عامود هواء يمتد نحو ١٠٠ ميل ، ولكننا لا نحس بثقله لان ضغطه الخارجى يتلاشى أمام ضغطه الداخلى ، ولان أعضاء جسمنا صنعت بطريقة تتحمل بهـا الضـغطين !

ولو انتقلنا الى سطح كوكب كالمشترى ، لوجـدنا لضغط الهواء أثرا يخالف كل ما هو مألوف على كوكبنـا الارضى . فهناك يتضاعف الضغط الجوى نحو مليـون مرة بالنسـبة لضغطنا . فتزيد كثافة الغازات ، ونجد الهيدروجين والهليوم موادا صلبة كالحديد والنحاس . وتبعا للتحول فى كثافة المادة يتعذر علينا أن نتكهن بخواصها وصفاتها ، فهى شىء لم نره حتى فى المعامل التجريبية ، حين نرفـع الضغط علـى بعض المواد لنكسبها خواصا جديدة تساعدنا للوصول الى أغراضنا ،

ولكن أى معاملنا تعجز عن مضاعفة الضغط مليون مرة !
واذا ما اخترقنا الغلاف الهوائى لاى من هـذه الكواكب . فاننا سنرى عجبا .. ففى هذا الغلاف نجد مختلف الضغوط التى تقل كلما ارتفعنا عن السطح ، وبانخفـاض الضغط تتغير خواص المادة . وفى ضغوط معينة تتحول الغازات الى مواد صلبة وسائلة . وعلى هذا الاساس سنجد طبقة صلبة من الغازات ، وفوقها بحر منها ، وفى الاطراف نجد الغازات كما الفناها .

وثبت أن مكونات الكواكب الكبيرة تشـبه مكونات الشمس الى حد بعيد ، فأكثر المواد فيهـا هو الهيدروجين ، ويليه الهليوم ، فالاكسيجين ، فالازوت ، فالكربون وغيرها من المواد. أما بخار المـاء الضرورى للحياة ، فتجمد بفعل انخفاض درجة الحرارة ، وتحول الى جليد . ومن مجمـوع الدراسات يرى العلماء ان كل هذه الكواكب البعيدة عن الشمس ، لا تحمـل علامات الحياة كما عرفناها .. ولكنها قد تحمل أنواعا أخرى من الحياة لا نعرفها !

الهواية المثالية لابنتك .. أو ابنك

هل تريدين أن تصبح ابنتك مرموقة فى المجتمع ؟ .. وتمارس هواية رفيعة تشغل بها أوقات فراغها ، وتتسامى بأفكارها ؟

إذن شجعى المواهب الموسيقية فى ابنتك أو ابنك ، بتعليمهما العزف على البيانو .. فى

معهد البيانو والباليه والرقص الإيقاعى ، والغناء الكلاسيكى

المركز الرئيسى بالزمالك : ٢٣ ب شارع حسن صبرى شقة ٢٧

تديره نخبة من خريجات كلية لندن الملكية للموسيقى ، وكلية "ترينيتى" بلندن .

للاستعلامات : خابروا تليفون ٦١٦٢٤

المركز الرئيسى بالزمالك : ٢٣ ب شارع حسن صبرى ، شقة ٢٧

THE LOST
WORLD
BY
SIR ARTHUR
CONAN DOYLE
العالم المفقود
لنابغة القصة: سير آرثر كونان دويل

ماذا جرى فى الحلقة الاولى ؟ !

◆ قدم لك ((كتابى)) ـ فى عدده السابق ـ الحلقة الأولى من الترجمة الحرفية لهذه القصة التى تعتبر من روائع انتاج الروائى الانجليزى الأشهر ((سير آرثر كونان دويل)) ، مبتدع شخصية ((شرلوك هولمز)) .. وهى القصة المقررة على طلبة الشهادة الثانوية العامة .

وقد روى بطل القصة ـ فى الحلقة الأولى ـ كيف أن حبيبته طالبته بأن يخوض المخاطر ، ويكتسب تجارب وشهرة ، قبل أن يتقدم لطلب يدها . فغامر وقابل ((الاستاذ تشالينجر)) العالم الذى كان يرهبه الصحفيون والعلماء على السواء .. وكان ((تشالينجر)) قد عاد من رحلة فى أمريكا الجنوبية ، قائلا أن على ضفاف (الامازون) منطقة مجهولة ، تعتبر ((العالم المفقود)) حقا .. اذ لا تزال تعيش فيها حيوانات ماقبل التاريخ ، دون أن يمسها التطور والرقى الذى أصاب الكائنات على مر العصور .. وقد سفه العلماء هذا القول ، وسخر الناس من ((تشالينجر)) ، ولكنه ظل متشبثا بروايته . ودعا بطلنا الصحفى الى حضور محاضرة اعتزم أن يثير فيها الموضوع من جديد ..

والآن .. اليك الحلقة الثانية من الترجمة الحرفية لهذه القصة ..

الحلقة الثانية

٥ ـ سؤال !

◆ غادرت دار الاستاذ ((تشالينجر)) ، فلم البث أن وجدت نفسى فى (اينمور بارك) مرة أخرى . ولم يبق فى رأسى المتصدع سوى فكرة واحدة ، تلك هى انه كان ثمة صدق فى قصة هذا الرجل حقا ، وانها كانت قصة عظيمة الاهمية ، وانه كان من الممكن أن يباع عدد كبير من ((الجازيت)) اذا تسنى لى أن أحصل على اذن بنشرها . وكانت ثمة سيارة أجرة فى الانتظار عند طرف الطريق ، فقفزت اليها ، وانطلقت

الى ادارة الصحيفة . واذا « مكاردل » فى مركزه كالعهد به . فصاح فى ترقب ولهفة : « حسنا ، ترى ما الذى أسفرت عنه المحاولة ؟ لا تقل لى انه اعتدى عليك ! »

- لقد تعرضنا لخلاف بسيط فى البداية ، ولكنه لم يلبث أن أصبح أكثر تعقلا ، فنعمنا بحديث بديع . ولكننى لم أستخلص منه شيئا .. لا شيء للنشر !

- لست أضمن هذا . لقد أوتيت كدمة منه حول عينيك ، وهذه مادة تنشر . فلسنا نقبل حكم الارهاب هذا يا مستر مالون . يجب أن نلقن هذا الرجل درسا طيبا . سأكتب مقالة عنه غدا ، وليس عليك سوى أن تعطينى المادة ، وسوف اكشف حقيقته كغشاش مخادع

- لست أود أن أفعل ذلك يا سيدى

- ولم لا ؟

- لانه ليس مخادعا البتة

فصاح مكاردل مزمجرا : « ماذا ؟ ! ما أراك تقصد أن تقول انك صدقت هذا اللغو عن حيوانات ما قبل التاريخ ، وثعابين البحر الكبيرة

- الحق أننى لا أدرى عن هذه شيئا ، ولكنى أعتقد فعلا أن لديه شيئا جديدا

- اذن فاكتبه يا رجل ، بحق السماء !

وأوجزت قصة « تشالينجر » فى عبارات قلائل ، وأنبأته بوعدى أن لا أكتب اى شيء عنها ، فقال أخيرا : « حسنا يا سيد مالون .. مهما يكن الامر ، فليس ثمة تكتم بشأن الاجتماع العلمى الذى سيعقد الليلة . وما أحسب أن صحيفتى ستبغى نشر نبأه ، اذ أن « والدرون » قد ذكر فى الانباء عشر مرات من قبل ، ولا يدرى أحد أن تشالينجر سيتكلم الليلة .. ولسوف تكون انت هناك ، على آية حال ، ومن ثم فما عليك الا أن تكتب تقريرا وافيا عن الاجتماع ، وسأحتجز له فراغا

حتى منتصف الليل »

وكان يومى مليئا بالعمل ، ثم تناولت عشـــاء مبكرا مع صديقى « تارب هنرى » فى المنتدى . وأزجيت اليه ـ خلال العشاء ـ طرفا من مغامراتى مع تشالينجر ، فأنصت وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة ، وقهقهه ضاحكا عند سماعه أن الاستاذ قد أقنعنى . وما لبثت أن خطرت لى فكرة موفقة فسألته : « هل ستحضر الاجتماع ؟ »

فأجاب : « ان تشالينجر يكاد يكون أبغض رجل فى لندن ، فاذا ذهب طلبة الطب ، فانى واثق من أنه سيحدث شجار فى الاجتماع ، ولست أحب أن أزج بنفسى فيه »

ـ خليق بك أن تنصـــفه على الاقل ، بأن تسمعه يسرد قضيته

ـ لا بأس ، اننى رهن أمرك هذا المساء !

* * *

وعندما وصلنا الى قاعة الاجتماع ، وجدنا الحضور أكثر مما توقعنا بكثير .. واتضح من وجود الاساتذة ذوى اللحى البيضـــاء ، وسيل كثيف من ذوى المراكز الدنيا ، الذين يمشون على الاقدام ، ان جمهور الحضور ضم العامة والعلماء على السواء . واستطعت أن ارى ـ فى أعلى القاعةوفى أطرافها الخلفية ـ صفوفا من الوجوه التى تحمل طابع طلبـــة الطب المألوف . وكان مسلك الحضـــور ـ اذ ذاك ـ يتسم بالمرح والميل الى المزاح الشخصى ، مما بشر بأمسية سارة .

وهكذا ، انطلقت صيحة ترحاب مدوية ـ عنـــدما سار الاستاذ تشالينجر كى يتخذ مكانه فى الطرف الاقصى من الصف الاول على المنصـــة ـ حتى اننى بدأت أشك فى أن « تارب هنرى » كان مصيبا فيما قاله عن الشجار . ولم يكن الطلبة حضورا من أجل المحاضرة فحسب ، وانما لانه أشيع خارج

المكان أن الاستاذ المشهور سيشترك فيما يدور فى الاجتماع .. وكان ثمة ضحك مترفق بين المقاعد الامامية ـ التى كان يشغلها ذوو الثياب الانيقة ـ عند دخول تشالينجر ، وكأنما التظاهر الذى أبداه الطلبة فى تلك اللحظة ، لم يكن مستهجنا لديهم . وكانت ثمة رنة جارحة فى الضجة ، ومع ذلك فانها بدت لى كاستقبال صاحب لشخص يروق لهم ويستثير اهتمامهم ، أكثر منه لشخص بغيض أو محتضر . **على أن تشالينجر ابتسم فى ازدراء ، وجلس فى تؤدة ، ونفخ صدره الى الامام ، ومر بيده تحت لحيته ، وراح ينظر الى القاعة المزدحمة الممتدة أمامه** . وما أن خمد الضجيج الذى صاحب مقدمه ، حتى شق رئيس الاجتماع والمحاضر طريقهما الى المقدمة ، وبدأت الاجراءات . فتولى الرئيس تقديم المحاضر الى الجمهور ، وقال بضع كلمات غير واضحة ، وكأنه يكلم الكوب الذى كان أمامه ، ثم جلس .

ونهض السيد « والدرون » ـ المحاضر المعروف الذائع الصيت ـ وسط الترحاب العام ، وبدأ محاضرته . فعرض صورة موجزة للخليقة ، وحدثنا عن الكرة الارضية ، ككتلة هائلة من الغاز الملتهب ، تدور فى الفضاء . ثم صور تصلبها وتيبسها ، وتكون الجبال والبحار ، ثم ظهور الحياة على الارض . وأفضى هذا بالمحاضر الى سلم الحياة الحيوانية العظيم (أى تدرجها فى الرقى) ، مبتدئا عند أسفل درجاته بالمخلوقات البحرية الضعيفة ، ماضيا صعدا الى الزواحف والاسماك ، حتى وصل أخيرا الى الفأر الكنجارو (فأر له جيب يحمل فيه أطفاله كالكنجارو) ، وهو الذى أنجب الجد المباشر لجميع الثدييات ، وربما لكل امرىء من الحضور .

وسرى الضحك بين المستمعين ، والقى بعض طلبة الطب فكاهات رد عليها المحاضر ، معاملا مقاطعيه ببراعة . وعندما استتب الصمت ثانية ، عاد السيد « والدرون » الى الصورة

التى كان يرسمها للماضى : جفاف البحار ، وظهور الشاطىء الرملى ، واتجاه المخلوقات البحرية الى الالتجاء الى المساحات الطينية ، ووفرة ما كان فى انتظارها من غذاء ، وما ترتب على ذلك من نموها الهائل . وأردف : « ومن هنا جاء - سيداتى ، سادتى - ذلك النسل الرهيب من الزواحف الشبيهة بالسحالى ، الذى لا يزال يزعج عيوننا حين نراه فى متاحف التاريخ الطبيعى ، والذى انقرض - لحسن الحظ - قبل ظهور الجنس البشرى على سطح هذا الكوكب - لاول مرة - بزمن طويل »

ودوى من المنصة صوت كالزئير : « **سؤال !** » .. وكان السيد والدرون شخصا لا يحب اية مقاطعة حين يلقى محاضرة . فتوقف لحظة ، ثم رفع صوته وعاد يردد الكلمات ببطء : « الذى انقرض قبل مجىء الانسان » .. ودوى الصوت مرة أخرى : « **سؤال !** » . فنظر « والدرون » فى عجب ، مستعرضا صف الاساتذة الذين كانوا على المنصة ، حتى وقعت عيناه على شكل تشالينجر **الذى اضطجع فى مقعده مغمض العينين ، وعلى وجهه تعبير ينم عن اغتباط ، وكأنه كان نائما يبتسم فى نومه** . وابتسم « والدرون » ثم واصل محاضرته ، آملا أن لا يثير تشالينجر اية مقاطعة من « والدرون » كلمة « انقرض » أو « ما قبل التاريخ » ليصف الحياة فى تلك العصور ، كان ينبعث من الاستاذ عين الخوار. وبدأ الحضور يتوقعون مناسباته ، ويضجون فى طرب حين ينبعث .

★ ★ ★

ومع أن « والدرون » محاضر صلب المراس ، ورجل قوى ، فانه فقد سيطرته على نفسه وصبره ، فأخذ يتردد ، ويكرر عباراته مرة بعد أخرى ، حتى اذا لم يعد يطيق المقاطعة ،

تحول مهتاجا نحو تشالينجر ، وصاح وهو ينظر عبر المنصة : « هذا لا يطاق حقا ، ولا بد لى من أن أسألك يا أستاذ تشالينجر ، أن تكف عن هذه المقاطعات التى تنم عن جهل وعدم لياقة ! » . فقال الاستاذ : « **ولابد لى أن أسألك بدورى، يا سيد والدرون ، أن تكف عن الادلاء ببيانات لا تتمشى بدقة مع الحقائق العلمية ! »**

وأثارت هذه الكلمات عاصفة فى القاعة ، فأسرع الرئيس الى الوقوف ملوحا بكلتى يديه ، آمرا بالصمت. وصاح : « وجهات النظر الشخصية .. فيما بعد ، يا أستاذ تشالينجر ! » . فأحنى المقاطع رأسه ، وابتسم ، ومسح على لحيته ، ثم جلس . وتابع والدرون ملاحظاته ، وهو يرمى نظرة مغضبة - من وقت لآخر - نحو الاستاذ ، الذى بدا كما لو كان مستغرقا فى النعاس ، وعلى وجهه ابتسامة هانئة .

وفرغ المحاضر من حديثه أخيرا ، ولكن الحضور كانوا يتململون ويرتقبون فى لهفة . وجلس والدرون ، فقدم الرئيس الاستاذ تشالينجر ، الذى سار الى حافة المنصة ، وشرع يقول : « سيداتى ، سادتى .. لقد وقع الاختيار على لازجى الشكر للسيد والدرون للخطاب الخيالى جدا ، الذى انصتنا اليه لتونا . وان فيه لنقاطا لا أقرها ، وقد كان من واجبى أن أشير اليها وهى تثار . ولكن السيد والدرون - رغم هذا - قد أدى واجبه خير أداء . فأتاح لنا عرضا مبسطا ، طريفا ، لما يظن هو أنه تاريخ كوكبنا . ولكن السيد والدرون يخطىء جدا ، اذا حسب هذا ، لانه - هو - لم ير أبدا حيوانا مما يسميه حيوانات ما قبل التاريخ ، ومن ثم فان هذه المخلوقات لم تعد على قيد الوجود ، فى رأيه . انها فعلا أجدادنا - كما قال - ولكنها أجدادنا المعاصرين ، الذين لا يزال فى الامكان العثور عليهم - بكل ما لهم من اشكال مرعبة رهيبة - لو أن المرء أوتى النشاط والجلد ليبحث عن مواطنهم . **ان هذه**

المخلوقات ـ التى يفترض انتماؤها الى العصر اليوراسى ـ هذه المخلوقات المهولة التى تستطيع أن تتصيد وأن تلتهم أكبر حيواناتنا الثديية وأكثرها وحشية ، لا تزال على قيد الوجود ! »

فصاح بعض الحضور : « وكيف تعرف ؟ »

(تصفيق عام ، وصخب ، وصوت يصيح : « كذاب ! »)

ـ اننى لن أجادلكم فى الامر ، فهو لا يدعو الى الجدل . أن الحقيقة هى الحقيقة ، ولن يؤثر فى الامر ضجيج نفر من الشبان الحمقى ، وأخشى أن لا بد لى من أن أضيف : والكبار الذين يعادلونهم حماقة . اننى أنادى بأننى قد فتحت ميدانا جديدا فى العلم ، وأنتم تمارون فى ذلك **(صياح)** « ومن ثم فأنا أدعوكم الى الفحص . فهل لكم أن تختاروا من بين جمعكم واحدا أو أكثر ، ليذهبوا كممثلين لكم ، ويفحصوا باسمكم ما أقرره ؟ »

واذ ذاك ، نهض السيدسمرلى ـ استاذ التشريح المرموق ـ وسأل الاستاذ أن يعين خط عرض وخط طول البلاد التى توجد فيها حيوانات ما قبل التاريخ . فرد « تشالينجر » بأن المنطقة تقع على نهر (الامازون) ، ولكنه لم يكن يستطيع أن يدلى ببيان أكثر تفصيلا ، لاسباب خاصة وجيهة . على انه كان ـ مع ذلك ـ على استعداد لان يفضى بالتفصيلات ـ مع تحوطات واجبة ـ الى لجنة تختار من بين الحضور . وسأل السيد سمرلى أن ينضم الى مثل هذه اللجنة ، وأن يفحص بنفسه قصته . فوافق السيد سمرلى . **وعندما طلبوا اثنين آخرين من المتطوعين ، أسرعت أقدم نفسى موقنا من أن تلك كانت الفرصة التى تحدثت عنها « جلاديز » ، وكان خليقا بجلاديز أن تدعونى الى الذهاب ، ومن ثم فقد حققت رغبتها .**

ووقف كذلك رجل طويل ، فسأله الرئيس : « ما اسمك

يا سيدى ؟ »
ــ انا لورد جون روكستون . ولقد زرت (الامازون) من قبل ، وانى لاعرف المنطقة كلها ، ولدى مؤهلات خاصة لهذا التحرى

فقال الرئيس : « **ان للورد جون روكستون شهرة عالمية كصياد ورحالة . وفى الوقت ذاته ، من الخير ــ يقينا ــ أن يكون فى الحملة عضو من رجال الصحافة** » . فقال الاستاذ تشالينجر : « أسلم اذن بأن هــذين السيدين قــد انتخبا مندوبين عن هذا الجمع ليرافقا الاســتاذ سمرلى فى رحلته ليقرر مدى صحة قولى . وأتعهد كذلك بأن أضع فى متناولهم من المادة ما يمكنهم من أن يهتدوا الى طريقهم »

وهكذا تقرر مصيرنا وسط الهتاف والصياح . واذا عقلى نصف مبهور بالمشروع الهائل الجديد ، الذى برز أمامه بمثل هذه الفجاءة . وفيما كنت أخرج من القاعة ، شعرت بلمسة عند مرفقى . والتفت فوجدت نفسى أتطلع الى الرجل الطويل الذى تطوع لان يكون رفيقى فى هذه الرحلة العجيبة . وقال لى : « أرى ــ يا سيد مالون ــ اننا سنكون زميلين .. فما رأيك ؟ ان مسكنى عبر الطريق ، فلعلك تتكرم بأن تفسح لى نصف ساعة من وقتك ، اذ أن هناك امرا أو أمرين أتوق الى ان اقولهما لك ! »

٦ ــ « كنت أداة نقمة الرب »

• **اجتاز** اللورد جون روكستون واياى شارع (فيجو) ــ معا ــ فما أسرع ما بلغنا مسكنه . ودفع الباب ففتحه ، واضاء النور الكهربائى . وشــعرت ــ وانا أقف فى المدخل ، واجيل البصر حولى ــ بشعور عام من الراحة والاناقة اللتين تفوقان المألوف . كان بذخ الرجل المثرى ، ذى الذوق المرهف ، يمتزج بعدم الاناقة الناشىء عن الاهمال المألوف ، من الاعزب ،

فى كل مكان . وكانت فى وسط الحجرة منضـــدة ســوداء مذهبة ، تحمل أقداحا وانواعا من الشراب ، فشرع مضيفى فى ملء قدحين طويلين ، وبعد أن دعانى الى أحـــد المقـاعد الوثيرة ، وضع شرابى على مقربة منى . ثم جلس فى مواجهتى ، وتأملنى طويلا ، بنظرات ثابتة من عينيه البراقتين العجيبتين.

وألممت بدقائق وجهه الذى كان مألوفا لى لكثرة الصـــور التى رأيتها له . كان له أنف معقوف بشدة ، وخدان غائران ، يحملان آثار الاجهاد ، وشعر أحمر داكن ، تخف غزارته عند قمة الرأس . وكان له شاربان ، وثلة غير كثيفة من الشــعر على ذقنه البارزة . وكانت بشرته شديدة الحمرة ــ كالزهـــر ــ من أثر الشمس والهواء . أما حاجباه فكانا غزيرى الشــعر طويليه ، مما كان يضفى على تلكما العينين الباردتين بطبيعتهما مظهرا ضاريا . وكان يميل الى النحافة ، ولكنـــه كان قوى البنيان .. **والواقع أنه كثيرا ما أثبت أن ليس فى انجلتـــرا سوى قلائل قادرين على مثل ما كان يبذل من مجهـــودات عظيمـــة** . وكان طوله يتجاوز ست أقدام بقليل ، ولكنه كان يبدو أقصر من ذلك ، من جراء انحناء ظاهر فى كتفيـــه .. هكذا كان اللورد جون روكستون الشهير ، وهو يجلس أمامى يجز بأسنانه سيجاره ، ويراقبنى بنظرات دائبة ، فى صمت طويل .

وقال أخيرا : « حسنا .. لقد أقدمنا وفعلناها يا زميلى الفتى . أجل ، لقد قمنا بوثبـــة ، أنت وانا . وأحسب الآن انه لم يكن يساورك ــ حين ذهبت الى تلك القاعة ــ أى خاطر من هذا القبيل » . فقلت : « لم تكن لدى أية فكرة عنه ! »

ــ وكذلك أنا .. لا فكرة عنه .. وتصور اننى لم أعـــد من (أوغندا) الا منذ ثلاثة أسابيع ، وقد اســـتأجرت منزلا فى اسكتلندا ، وأبرمت العقد ، وكل شىء .. فماذا كان شـــأنك أنت ؟

ــ الواقع أن الامر كله فى نطـــاق عملى ، فأنا صحفى فى « الجازيت » .

ــ طبعا ، فقد قلت ذلك حين تطوعت . وبهذه المناسبة ، لدى مهمة صغيرة لك ، اذا ساعدتنى

ــ بكل سرور

ــ الا يهمك أن تخاطر ؟

ــ اى نوع من المخاطرة ؟

ــ حسنا ، أن لى صديقا يقيم فى الحجرة التى تعلو هذه. وهو صياد عظيم ، ومع أننى أستطيع أن أعادله على السهل بقصارى وسعى ، الا أنه يتفوق على فى المرتفعات . وعندما يكون بعيدا عن المران ، يسرف فى الشراب . وقــد أصيب بحمى ــ يوم الثلاثاء المــاضي ــ وأصبح منذ ذلك الحين مهتاجا كأنه مارد . ويقول الاطباء أنه سيموت ما لم يدخل جوفه بعض الطعام ، ولكن أحدا من خدمه لا يستطيع الاقتراب منه، **اذ أنه يرقد فى فراشه ، وعلى وسادته مسدس ، وهو يقسم بأن يغيب ست رصاصات فى أى امرىء يدنو منه . انه شديد العناد ــ جاك هذا ــ وسديد الرماية كذلك ، ولكنك لا تستطيع أن تترك بطلا رياضيا يموت هكذا .. فما رأيك ؟**

ــ ما الذى تقصد أن تفعله ؟

ــ حسنا ، ان فكرتى هى أن تداهمه أنت وأنا ، وهــو لا يستطيع ان يؤذى ــ فى أسوأ الظروف ــ سوى واحد منا ، بينما ينقض عليه الآخر . واذ ذاك نستطيع أن نوثق ذراعيه ، وأن نعطى هذا العزيز الحميم عشاء ينقذ حياته !

وما أظن اننى فذ الشجاعة ، بل اننى أوتيت خيالا ايرلنديا يجعل المجهول ، والشىء الذى لم يجرب من قبل ، أكثر ارهابا مما هو . بيد اننى نشأت على استبشاع الجبن ، وعلى الخوف من أن أسمى جبانا . ولهذا ، فمع أن كل عصب فى جسدى اجفل من الشخص الذى أطاشت الخمر عقله ، والذى تصورته

فى الحجرة العليا ، الا اننى أجبت ـ بصوت نم عن عدم اكتراث ـ بأننى كنت على استعداد . ونهضت عن مقعدى ، ونهض اللورد عن مقعده . ثم ربت صدرى مرتين أو ثلاثا ، وهو يبتسم ، ودفعنى الى مقعدى قائلا : « لا بأس يا فتى .. انك تصلح ! »

فتطلعت اليه مندهشا ، فقال : « **اعلم اننى أنظر الى تلك المهمة فى أمريكا الجنوبية كأمر خطير غاية الخطورة ، فاذا اصطحبت رفيقا ، فانما أريد أن يكون رجلا أستطيع أن أعتمد عليه . ومن ثم اختبرتك ، وأرى لزاما على ان اقول انك اجتزت الاختبار بنجاح** . واعلم أن الامر كله يعتمد عليك وعلى ، لان ذلك الكهل سمرلى سيحتاج الى من يرعاه منذ البداية . فعلينا الآن أن ندبر الامر . ها هى ذى مواعيد أقلاع البواخر ، فى الصفحة الاولى من صحيفة « التايمز » . هناك سفينة تقلع الى (بارا) فى يوم الاربعاء من الاسبوع المقبل ، فاذا استطعت والاستاذ تدبير شؤونكما ، فأعتقد أن علينا أن نستقلها .. فما رأيك ؟ .. حسن جدا ، سأتثبت منه . وماذا عن عدتك للرحلة ؟ »

ـ ان صحيفتى ستتكفل بذلك .

ـ هل تجيد الرماية ؟

ـ حوالى المتوسط فى مستوى جنود الجيش الاقليمى

ـ يا للرب الرحيم ! .. االى هذا الحد من السوء ؟ اعتقد أنك ستحتاج الى أن تحسن تصويب بندقيتك فى أمريكا الجنوبية ، اذ أننا قد نرى أشياء عجيبة قبل أن تقدر لنا العودة ، ما لم يكن صديقك الاستاذ مجنونا أو كذابا . فأى نوع من البنادق لديك ؟

* * *

وسار الى خزانة من خشب البلوط . واذ فتحها ، لمحت

صفوفا لامعة من انابيب البنادق ، وكأنها — فى تناسقها — انابيب ارغن . وقال : « سأرى ما أستطيع أن أعيرك اياه من اسلحتى » .

وأخرج مجموعة من البنادق البديعة ، واحدة فواحدة ، فكان يفتحها ، ويغلقها محدثا قرقعة فى الفتح والاغلاق ، ثم يرتبها ويردها الى مكانها فى الخزانة فى حنان الام اذ تحنو على طفلها . وراح يقول : « هذه هى البندقية التى استخدمتها ضد النخاسين فى (بيروفيا) منذ ثلاث سنوات . ولى أن اقول لك اننى كنت أداة نقمة الرب فى تلك الاصقاع ، وان كان لا يحتمل أن تجد ذلك فى أى كتاب مطبوع . هناك أوقات يتحتم فيها على كل امرىء — يا زميلى الشاب — ان يقف فى صف الحق الانسانى والعدالة ، والا فلن تشعر بنقاء الضمير ثانية . وهذا هو السبب فى اننى أثرت وحدى حربا صغيرة . أعلنتها بنفسى وشننتها بنفسى ، وانهيتها بنفسى . وكل ندبة من تلك الندوب شاهد على أحد قاتلى العبيد .. وما أكثرهم ! .. ماذا ؟ هذه الكبيرة ، تذكار لبيدرو لوبيز ، ملكهم جميعا ، وقد قتلته فى أعالى نهر (بوتومايو) . والآن ، ها هى ذى بندقية تصلح لك ! »

وتناول بندقية بديعة فأسلمنيها قائلا : « تستطيع أن تكل حياتك اليها ! » . ثم أغلق باب الخزانة الخشبية المتينة ، واستطرد وهو يعود الى مقعده : « وبالمناسبة ، ما الذى تعرفه عن الاستاذ تشالينجر ؟ » . فأجبته : « لم اره قبل اليوم اطلاقا ! »

— لا بأس ، كذلك انا .. من العجيب أن نرحل — نحن الاثنان — تحت أوامر ليس لنا أن نطلع عليها قبل الرحيل ، من رجل لا نعرفه . أعتقد أن اخوانه فى العلم لا يحبونه . كيف قدر لك أن تهتم بهذه المسألة ؟

ورويت له — فى ايجاز — كل قصة مقابلتى للأستاذ ،

فأصغى بانتباه . ثم سحب خريطة لامريكا الجنوبية ، وبسطها على المنضدة ، وقال فى لهجة صادقة : ((**اننى أعتقد أن كل كلمة قالها لك كانت صدقا . وتذكر أننى على علم بما أتكلم عنه . أن أمريكا الجنوبيـــة مكان أحبه ، فهى أكبر وأغنى وأعجب منطقة على كوكبنا . والناس لم يعرفوها بعد ، ولم يتبينوا ما قد تصير اليه !** .. لقد ذرعتهـــا من ادناها الى أقصاها ، بسبب الحرب التى شننتها عـلى تجار الرقيق . ولقد سمعت ــ حين كنت هناك ــ بعض قصص من نوع ما رواه لك الاستاذ ، عن تقاليد الهنود وما الى ذلك ، ولكن لابد لها من سند ، بلا ريب . وكلما ازددت معرفة بتلك البــلاد أيها الشـاب ، ازددت ادراكا لان كل شىء جائز .. أى شىء ! فلماذا لا يكون فى بلاد كهذه شىء جديد وعجيب ؟ .. ولمـاذا لا نكون نحن الذين نكتشفه ؟)) . وضحك طربا للفكرة .

ولعلى أطلت فى الحديث عن هذا الصديق الجديد ، ولـكن من المقدر أن يكون زميلى أياما عـديدة ، ومن ثم حاولت أن أتصوره كما رأيته أول مرة .. وما انتـزعنى من رفقتـه ــ أخيرا ــ سوى اضطرارى الى تقديم تقريرى عن الاجتماع . فتركته جالسا يلين بالزيت قفل بندقيته المفضلة ، وهـو يبتسم لنفسه اذ يتصور المغامرات التى كانت ترتقبنا . وكان من الجلى تماما انه اذا كانت الاخطار تتربص بنا ، فاننى ما كنت لاجد فى انجلترا كلها من هو أرصن عقلا ولا أشجع روحا ليشاطرنيها .

* * *

ورغم اننى كنت مكدودا ، بعد أحداث اليوم السـعيدة ، فقد جلست فى تلك الليلة الى ساعة متأخرة ، مـع مكاردل ــ رئيس تحرير الاخبار ــ أشرح له كل الموقف ، الذى رأى انه من الاهمية بحيث ينبغى أن يخطر به رئيسنا فى الصباح

التالى . وتم الاتفاق على أن أرسل مغامراتى فى شكل رسائل الى مكاردل ، ليعاد تحريرها للنشر ، أو لتحتجز ، وفقا لرغبات الاستاذ تشالينجر .

والآن يا قرائى الصبورين ، لن أستطيع ـ بعد هذا ـ أن اخاطبكم مباشرة . فمنذ الآن ، لن أخاطبكم الا خلال الصحيفة التى أمثلها . اننى أكتب هذه السطور الأخيرة فى قاعة الجلوس بالباخرة « فرانسيسكا » ، وسيعود بها مرشد السفينة ، لتبقى فى حوزة السيد مكاردل . لقد سرنا ثلاثتنا ـ الاستاذ سمرلى واللورد جون روكستون وانا ـ على رصيف الميناء فى هذا الصباح ، قاصدين الى معبرة السفينة الكبيرة التى كانت متأهبة لان ترفع مرساتها . وكان ثمة حمال يدفع أمامنا عربة تراكمت عليها الحقائب وقرابات البنادق . وفجأة ، وبمجرد أن بلغنا السفينة ، اذا بصيحة خلفنا ، واذا الاستاذ تشالينجر ، الذى كان قد وعد بأن يودعنا .. وقال : « **ليس لدى سوى كلمات قلائل أقولها لكم ، ومن الممكن جداً أن تقال هنا ، اذ اننى أؤثر أن لا أصعد الى سطح السفينة . اننى أرجو أن لا تتصوروا اننى مدين لكم ـ بأية حال من الاحوال ـ لقيامكم بهذه الرحلة . بل أود أن تفهموا أنها مسألة غير مهمة البتة بالنسبة لى ، وارفض أن أكون مدينا لكم بأى التزام شخصى !..** ان الحق حق ، ولن يؤثر عليه شىء مما يقدر لكم أن تثبتوه ، بأية حال . ان تعليماتى لتوجيهكم وارشادكم فى هذا المظروف المختوم . وسوف تفضونه عندما تصلون الى بلدة على نهر (الامازون) تدعى (ماناوس) ، ولكن ليس لكم أن تفضوه قبل التاريخ والساعة المثبتين على ظهره . فهل ترونني أفصحت بجلاء ؟ اننى أكل مراعاة شروطى هذه بحذافيرها الى شرفكم . أما أنت يا سيد مالون ، فلن أفر من أية قيود على رسائلك ، ولكننى أطالبك بان لا تبوح بأية تفصيلات معينة عن وجهتكم الحقيقية ، وبأن

لا ينشر شيء ممـــا تكتب حتى عودتكم . ومع السلامة يا سـيدى »

وهكذا نكص على عقبيه . وبعد دقيقة ، استطعت ـ من فوق الباخرة ـ أن أرى شكله القصير ، الربعة ، يتحرك على بعد ، وهو يشق طريقه عائدا الى قطاره .

وبعد ، فنحن الآن نجتاز القناة (بحر المانش) . وها هو ذا الجرس الاخير لتسليم الخطابات ، ولتوديع المرشـد . فليبارك الله كل من نخلفهم وراءنا ، وليردنا سالمين !

٧ ـ « غدا نختفى فى المجهول !

◆ بعد رحلة بحرية طويلة ، ولكنها مريحة ، ثم رحلة فى نهر (الامازون) ، بلغنا بلدة (مناوس) . وهناك اكرم السيد شورتمان ـ وكيل الشركة التجارية البريطانية البرازيلية ـ وفادتنا فى داره المريحة حتى اليوم الذى كنا مخولين ان نفض فيه خطاب التعليمات المسلم الينا من الاستاذ تشالينجر . وقد ألحقنا بخدمتنا ـ أثناء رحلتنا ـ نفرا من الناس الذين كان من الممكن ان يقوموا بدور ليس بالضئيل فيما قد يجرى . وكان اولهم زنجى هائل يدعى « زامبو » ، كان عملاقا ـ كأنه هرقل اسود ـ وكان اطوع من الجواد ، وفى مثل ذكائه تقريبا . وقد الحقناه فى خدمتنا فى (بارا) ، بناء على توصية شركة الملاحة ، التى تعلم على سفنها كيف يتكلم الانجليزية بعض الشيء . كذلك ضممنا الينا ـ فى بارا ـ « جوميز » و « مانويل » ، وهما اثنان من المخلطين (١) ، من أبناء اعالى النهر ، كانا قد اقبلا بحمولة من الخشب الاحمر . وكانا شابين متينى الجسم ، نامى اللحية ، ضاربى القوة ، فى نشاط ونحافة الاسد الامريكى . وقد قضى الاثنان عمريهما فى تلك المناطق من مياه اعالى (الامازون) ، التى كنا نوشك أن نرتادها ، وكانت هـذه الميزة هى التوصية التى دعت اللورد جون الى استخدامهما . وكانت لاحدهما ـ وهو جوميز ـ ميزة أخرى ، هى انه كان يستطيع ان يتحدث بالانجليزية بطلاقة . وكان هذان الرجلان على استعداد لان يعملا كخادمين خاصين لنا ، وان يقوما بالطهو ، او التجديف ، او ان يكونا ذوى نفع ـ أيا يكون ـ فى مقابل خمسة عشر دولارا فى الشهر . وبجانب هؤلاء ، اسأجرنا ثلاثة هنود من (بوليفيا) ، هم أمهر ابناء قبائل النهر طرا فى صيد السمك واستخدام القوارب . وقد اطلقنا على رئيس هؤلاء الثلاثة اسم « موجو » ـ وهو اسم قبيلته ـ كما

---

(١) من أبوين أسبانيين، وأمين من بنات تلك البلاد

عرف الآخران باسمى « جوزيه » و « فيرناندو » . وهكذا تكونت حملتنا الصغيرة – التى مكثت فى انتظار التعليمات فى (ماناوس) ، قبل الشروع فى بحثها الغريب – من ثلاثة من البيض ، واثنين من المخلطين ، وزنجيا ، وثلاثة من الهنـود .

وأخيرا ، حل اليوم والساعة ، بعد اسبوع ممل . وارجو ان تتصوروا حجرة الجلوس الظليلة فى دار السيد شورتمان ، على مسافة ميلين – نحو الداخل – من بلدة (ماناوس) . وكانت آشعة الشمس تتألق فى الخارج بوهج اصفر نحاسى ، وظـلال النخيل فى سواد النخيل ذاتها ووضوح حدودها . وكان الهواء ساكنا ، مليئا بالطنين السرمدى المنبعث من حشرات المنطقة الاستوائية .. وخلف الشرفة ، كانت ثمة حديقة صغيرة مشذبة . وكنا نجلس فى الداخل حول مائدة من الخيزران ، طرح عليها الخطاب المغلق المختوم ، وقد كتبت عليه بخط الاستاذ تشالينجر الكلمات : « تعليمات الى اللورد جون روكستون ورفيقيه . تفض فى (ماناوس) ، فى ١٥ يوليو ، فى الساعة الثانية عشرة تماما » .. وكان اللورد جون قد وضع ساعته الى جواره ، على المائدة .

وقال : « لا تزال أمامنا سبع دقائق ، فان الرجل العزيز دقيق جداً » .

فابتسم الاستاذ سمرلى فى استخفاف ، وهو يمسك الخطاب فى يده ، وقال : « ما الذى يحتمـل ان يترتب على ما اذا فضضناه الآن ، او بعـد سبع دقائق ؟.. انما هو جزء من هراء ، يؤسفنى ان اقول ان كاتبه مأفون ! » .

فقال اللورد جون : « آه ، على رسلك ، فلابد من ان نؤدى اللعبة وفقا للقواعد . ان المسألة مسألة تشالينجر ، ونحن هنا بحكم رغبته ، ومن ثم فسيكون نهجا بالغ السوء ، اذا نحن لم نتبع تعليماته بحذافيرها »

فصاح الاستاذ بمرارة : « يالها من مهمة بديعة ، لقد بدت لى حمقاء – وانا فى لندن – ولكننى مسوق الى أن أقول أنها تبدو – اذ ازددنا تعرفا بها – اكثر حماقة . اننا لا ادرى ما الذى بداخل المظروف ، ولكننى سأميل الى أن استقل اول مركب ميممة شطر مصب النهر ، فأستقل اول سفينة الى (بارا) ، اذا لم يكن فى الخطاب شىء محدد تحديدا تاما . فان لدى – على آية حال – عمل اكثر اهمية للدنيا من ان اطوف البقاع لاهدم حجج رجـل مجنون . والآن ياروكستون ، لقد حان الوقت يقينا . فقال اللورد جون : « حان الوقت ، وتستطيع ان تطلق الصافرة ! » (١)

وتناول المظروف ففضه بمبراته ، واخرج منه ورقة مطواة ، فتحها بعناية ،

(١) تعبير مجازى ، وكأنه يشبه الموقف ببدء مباراة ، او بتحرك قطار او سفينة ، اذ تنطلق صافرة تؤذن بذلك

ثم بسطها على المائدة .. وكانت ورقة بيضاء !.. وقلبها على وجهها الآخر ، فاذا به ابيض كذلك . وننظر كل منا الى الآخر فى صمت . وفجاة ، انطلق الاستاذ سمرلى فى ضحك ساخر ، وصاح : « انه اعتراف صريح ، فماذا تبغيان أكثر من هذا ؟.. ان الرجل كذاب معترف بنفسه ، وليس علينا سوى أن نعود الى الوطن ، وان نبلغ القوم حقيقته كمخادع ! » . فقلت مقترحا : « لعل الكتابة بحبر غير ظاهر » . فقال اللورد روكستون وهو يعرض الورقة للضوء : « ما اظن !.. لا يا صديقى الفنى ، لا جدوى من ان تخدع نفسك ، فما كتب على هذه الورقة أى شىء البته ! »

ودوى صوت من الشرفة : « هل لى ان ادخل ؟ » .. وتسلل عبر ضوء الشمس ، ظل شخص قصير .. انه ذاك الصوت !.. وذانكما المنكبان الهائلى العرض !.. وقفزنا على أقدامنا شاهقين مأخوذين ، اذ ظهر تشالينجر فى الفراغ أمامنا ، وقد ارتدى قبعة مستديرة من القش ، ذات شريط ملون . وقال وهو يستخرج ساعته : « اخشى اننى تأخرت بضع دقائق . فعندما اعطيتكم هذا المظروف ، لم انتو قط ان تفضوه ، اذ كان عزمى الاكيد ان اكون معكم قبل ان يحين الموعد ! »

فقال اللورد جون : « لزام على ان اقول يا سيدى ، ان ظهورك المباغت نجدة كبيرة لنا ، فقد بدا ان بعثتنا اوشكت ان تنتهى الى خاتمة مبكرة . وحتى الآن لا يسعنى ان افهم السر فى اضطرارك الى ان تدبرها بهذه الطريقة الشاذة » . ودخل تشالينجر – بدلا من ان يرد – وصافحنى واللورد جون ، وانحنى فى صمت للاستاذ سمرلى ، وغاص فى مقعد خيزرانى عميق ، فصدر من المقعد ازيز ، وترنح تحت ثقله .

وتساءل : « اكل شىء مهيأ لرحلتكم ؟ » فاجاب اللورد جون : « نستطيع أن نبدأ غدا »

– فليكن اذن . انكم لن تحتاجوا الآن الى خريطة لارشادكم ، اذ ستحظون بالميزة الكبرى ، وهى ان اتولى ارشادكم بنفسى . فلقد اعترفت – من البداية – ان اشرف بنفسى على تحرياتكم . اما الحيلة الصغيرة التى لعبتها عليكم ، بمسالة المظروف ، فمن الواضح اننى لو كنت قد انباتكم بكل نواياى ، لكان من المحتوم ان يطلب الى ان اسافر معكم ، وهو امر كنت خليقا بأن اعارضه بشدة » . فهتف سمرلى بحرارة : « ما كان هذا الطلب ليصدر منى يا سيدى ، طالما كانت ثمة سفينة اخرى تمخر الاطلسى ! »

(تابع هذه القصة المشوقة فى العدد القادم)

عزيزي القارئ ..

في هذه الأيام التي تحتدم فيها "حرب الأعصاب" بين المعسكرين الشرقي والغربي ، حول مشكلة جزر كيموي وتحرير (فورموزا) ، فيقف العالم كله معلوق الأنفاس ، على حافة الحرب الذرية المروعة ... يسرني أن أقدم لك بعد أيام - في العدد القادم من (مطبوعات كتابي) - أحدث قصة عالمية كتبها الروائي الفرنسي المعروف "موريس ديكوبرا" ، وقد صور فيها الدور الخطير الذي تلعبه غانيات مدينة (هونج كونج) العجيبة ، في مؤامرات التجسس الرهيبة التي تحاك خيوطها من جانب حكومة فورموزا التي تطلق على نفسها (الصين الوطنية) ، والتي يرأسها "شيانج كاي شيك" .. ضد حكومة (الصين الشعبية) بزعامة الرئيس "ماو تسي تونج" .. فإلى اللقاء على صفحات :

سفينة الملذات !

LE BATEAU DES MILLE CARESSES

إنها قصة تتسلل بك إلى أوكار تلك المستعمرة الغامضة التي تلتقي فيها أجناس الشرق والغرب ، وتستباح فيها كل القيم الخلقية ، في سبيل المطامع الشخصية أو السياسية !..

هناك ، بين الأزقة والحواري المخيفة القريبة من الميناء ، وفي زوارق الملذات المتناثرة على الشاطئ بالقرب من مصب نهر "اللؤلؤ" ، تدور أحداث هذه القصة الشائقة التي يعيش العالم في جوها هذه الأيام !

شركة فن الطباعة ٥٨١٤٩

يصدرها حلمي مراد

مطبوعات كتابي

الترجمة الكاملة الأمينة لشوامخ الكتب العالمية